ECSS
المركز المصري
للفكر والدراسات الاستراتيجية
EGYPTIAN CENTER FOR STRATEGIC STUDIES

شؤون عسكرية

MILITARY AFFAIRS

غـــزة وأمن البحـر الأحمر

ملامح من فنون الإنزال الجوي المظلي:
غزة نموذجًا

"عسكرة التفاعلات":
التواجد العسكري البحري للقوى الكبرى في البحر الأحمر

الحرب الروسية-الأوكرانية في عامها الثالث:
تطورات وسيناريوهات محتملة

تداعيات الحرب الإسرائيلية على غزة:
على الدعم العسكري الغربي لإسرائيل

ذكرى استشهاد الفريق أول "عبد المنعم رياض":
الجنرال الذهبي

معرض "إيديكس 2023" ...
الصناعات الدفاعية المصرية في طور جديد

العدد السادس

أبريـــل 2024

”تعاونكم أساس تقدمنا“

لا يجوز نسخ أو استعمال كل أو جزء من هذا الكتاب/المطبوعة/المجلة/ الإصدار، بأي شكل من الأشكال،
أو بأية وسيلة من الوسائل. سواء التصوير أو النقل الإلكتروني أو غيرها، دون إذن كتابي مسبق من الناشر.

شؤون عسكرية
MILITARY AFFAIRS
غزة وأمن البحر الأحمر
ecss.com.eg
/ecsstudies

ECSS المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية
EGYPTIAN CENTER FOR STRATEGIC STUDIES

المديـــر الـعـــام: **د. خـالد عكاشـــة**

نائب المدير العام : **اللواء/ محمد إبراهيـم**

المستشار الأكاديمي: لواء.أ.ح.د/ **محمد قشقوش**

تحريـــــر : **د. رغدة البهي**

الهيـــئة الأكاديميـــة

د. **دلال محمود**

لواء.د/ **محمد علام**

لواء.أ.ح.د/ **أسامة ابراهيم**

لواء.أ.ح.طيار/ **عماد عبد المحسن**

لواء.أ.ح.د/ **عزالدين عبد الرحمن عوف**

لواء.أ.ح.م/ **مجدي حجازي**

إخراج فني: **أحمد حسني**

المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية

شـــؤون عسكرية - العدد السادس - أبريـــل 2024

رقم الإيداع:

الترقيم الدولي:

العنوان: 100 شارع الميرغني مصر الجديدة، القاهرة، مصر.

الهاتف: 20226905861+ - 20226905862+ - 20226905863+

البريد الإلكتروني: info@ecss.com.eg

www.ecss.com.eg

المحتويات

08

الافتتـــاحية

09

ملـــف العـــدد: غـزة وأمـن البحـر الأحمـــر

- الأهمية الإستراتيجية للبحر الأحمر
- ملامح من فنون الإنزال الجوي المظلي: غزة نموذجًا
- تأكل الردع: لماذا تراجعت فعالية الضربات العسكرية ضد الحوثيين؟
- "عسكرة التفاعلات": التواجد العسكري البحري للقوى الكبرى في البحر الأحمر

29

دراســـــات

- الحرب الروسية-الأوكرانية في عامها الثالث: تطورات وسيناريوهات محتملة
- الطائرات المُسيَّرة ودورها في الحروب المعاصرة: بين الحاضر والمستقبل
- اتفاق إثيوبيا و"أرض الصومال": أسباب وتداعيات مساعي إثيوبيا لامتلاك ميناء على البحر الأحمر
- قراءة في قرارات محكمة العدل الدولية ضد إسرائيل

51

تقاريـــــر

- الأونروا والأوضاع الإنسانية في غزة: حدود الدور ومعوقاته
- موقف كل من جنوب إفريقيا والبرازيل تجاه إسرائيل
- تقييم دور حزب الله في حرب غزة وتأثيره الإقليمي
- تداعيات الحرب الإسرائيلية على غزة على الدعم العسكري الغربي لإسرائيل

68

بروفايـــــل

- ذكرى استشهاد الفريق أول "عبد المنعم رياض": الجنرال الذهبي

72

حالـــة التسلـح

- معرض "إيديكس 2023" ... الصناعات الدفاعية المصرية في طور جديد

الافتتاحية

يستمر **المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية** في متابعة أعداده الدورية من إصداره المعنون "شئون عسكرية"، والتي وصلت إلى العدد السادس، وهو رقم يكفي للإشارة إلى فلسفة هذا النوع من الإصدارات والدوريات العسكرية التي تجمع بين العلم العسكري البحت سواء الميداني أو التسليحي، الذي يذهب إلى التكتيكات ونظم التسلح من جهة، ولا يغفل الأدبيات العسكرية ذات الصلة من جهة أخرى. وهو ما يحتاجه الباحثون في الشأن العسكري الخاص والعام، وبخاصة في ظل التسارع والتقدم العلمي التقني والتكنولوجي المضطرد، وهو ما لمسته الأعداد السابقة التي أظهرت مدى الحاجة إلى استمرار تلك النوعية من الإصدارات وتطوير محتواها، مع الاهتمام بتطوير هيكلها لتحقيق أكبر درجة ممكنة من التكامل بين أجزائها؛ بما يفيد الباحثين المهتمين بالشأن العسكري. ولذلك، فقد جاء هذا الإصدار ليشمل: ملف العدد، والدراسات، والتقارير، وبروفايل لشخصيات عسكرية مهمة ومؤثرة من داخل التاريخ المصري أو من خارجه، بجانب حالة التسلح.

ولقد جاء **"ملف العدد"** عن الحرب على غزة وأمن البحر الأحمر؛ حيث ربطت الأحداث بينها بعد أن أدت الحرب الإسرائيلية على غزة إلى إشعال صراع بحري إقليمي جديد، بالتدخل الحوثي اليمني في جنوب البحر الأحمر وخليج عدن، والذي خرج عن نطاق الاستهداف البحري الإسرائيلي إلى أهداف بحرية مدنية وعسكرية أخرى بما فيها الولايات المتحدة وبعض حلفائها. وهو ما أوجب حتمية التطرق إلى الاهمية الاستراتيجية للبحر الأحمر، والوجود العسكري البحري لبعض القوى البحرية من سفن قتال أو كوادر بحرية من دول حليفة، كما تم تقديم ملمح عن الإمداد اللوجستي المظلي وتحدياته إلى شمال قطاع غزة شبه المعزول عن باقي القطاع، وذلك بواسطة مصر وبعض الدول الصديقة.

وقد شملت **"الدراسات"** تطورات الحرب الروسية-الأوكرانية في عامها الثالث، في ظل مواكبتها للتطور الكبير في عالم المُسيَّرات/الدرونز وما سيشهده المستقبل في هذا المجال، بالتوازي مع الحرب الإسرائيلية على غزة، وتوسع الحوثيين في استخدامها ضد إسرائيل وفي البحر الأحمر، مع رصد تطور وتداعيات أزمة بناء قاعدة بحرية إثيوبية -كدولة حبيسة- على ساحل أرض الصومال المنشقة عن الوطن الأم الصومال.

وتطرقت **"التقارير"** إلى الدور غير المباشر لتداعيات الحرب الإسرائيلية على غزة؛ حيث تم التعرض للتفاعل السلبي الإسرائيلي تجاه كل من البرازيل وجنوب أفريقيا نتيجة موقفهما الإيجابي بإدانة السلوك الإسرائيلي تجاه حرب غزة. كما تم التطرق إلى الموقف الإقليمي في الشرق الأوسط نتيجة موقف "حزب الله" تجاه حرب غزة والتصعيد الإسرائيلي في جنوب لبنان. كما اشتمل **"بروفايل"** العدد على شخصية عسكرية مصرية عالمية مهمة، ضحت بحياتها على الخطوط الأمامية في قناة السويس خلال حرب الاستنزاف، وهو الشهيد الفريق أول "عبد المنعم رياض"، والملقب بالجنرال الذهبي. وعن **"حالة التسلح"**، تم تقديم ملمح عن معرض "إيديكس" 2023 للصناعات الدفاعية، مع التركيز على الصناعات المصرية الحديثة في الطور الجديد للمعرض.

وسوف يحرص إصدار **"شئون عسكرية"** على تطوير محتوياته التخصصية تباعًا؛ ليغطي أكبر قدر من احتياجات الباحثين والمهتمين بالشأنين العسكري الاستراتيجي، كإحدى مهام ورسالات **المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية.**

المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية

ملـــف العـــدد:

يُعدّ البحر الأحمر واحدًا من أهم الممرات الملاحية العالمية التي توفر للقوى الإقليمية والدولية إمكانية الوصول إلى البحر المتوسط والمحيطات المفتوحة، وعبره يتم نقل ما لا يقل عن نصف حجم النفط العالمي. بيد أن الحرب الإسرائيلية على غزة ألقت بظلالها عليه؛ بعد أن دخل على خط التصعيد، سواءً على مستوى طبيعة وأنماط التفاعلات الموجودة به والتي غلب عليها "العسكرة"، أو على مستوى تداعياته والتي امتدت لتشمل التأثير على عمليات التجارة العالمية، بل والبنى التحتية في المنطقة. فمع استهداف الحوثيين لكثير من سفن البحر الأحمر تضامنًا مع غزة وتصميمًا على دخول المساعدات الإنسانية إلى القطاع، والتي اعتمدت في الآونة الأخيرة على عمليات الإسقاط المظلي على الرغم من تعدد التحديات التي تجابه ذلك، تبنت الولايات المتحدة إجراءات تصعيدية متعددة الأبعاد تجاه الحوثيين؛ لتجمع بين البعدين العسكري والسياسي، وإن كان الملمح الأبرز لها هو تأسيس تحالف "حارس الازدهار" كأحد أشكال القوات البحرية المشتركة متعددة الجنسيات، والذي تبعه أشكالًا عدة من وجود القوى الكبرى في المنطقة، والتي دللت في مجملها على تراجع قدرة الضربات العسكرية على ردع الحوثيين.

الأهمية الاستراتيجية للبحـــــر الأحمـــــر

يُعتبر البحر الأحمر واحدًا من أهم الممرات الملاحية العالمية، حيث يوفر للقوى الإقليمية والدولية إمكانية الوصول إلى البحر المتوسط والمحيطات المفتوحة. وعبره يتم نقل ما لا يقل عن نصف حجم النفط العالمي، مما يمنح موضوع الأهمية الاستراتيجية للبحر الأحمر وأمنه أولوية من الفكر الاستراتيجي العالمي ومن اهتمام الدول الكبرى في الكتب التاريخية المختلفة. وفي الحاضر، ومع إعادة تشكيل العالم في أعقاب الحرب الروسية-الأوكرانية في محاولة للتخلص من نظام القطب الأوحد والتحول إلى نظام متعدد الأقطاب، تزداد حدة التنافس الدولي خصوصًا في المناطق الأكثر تأثيرًا في العالم، ومنها منطقة الشرق الأوسط، بما فيها البحر الأحمر بصفة خاصة، لدوره المهم والمؤثر في الملاحة البحرية والتحكم في مصير التجارة العالمية.

لواء أ.ح.م/ مجدي حجازي

مستشار بالأكاديمية العسكرية

للدراسات العليا والاستراتيجية

لقـد باتـت الحـرب الإسـرائيلية علـى غـزة، والتـي بـدأت فـي السـابع مـن أكتوبـر عـام 2023، فرصـة تُسـتغل لإعـادة تشـكيل السياسـات الإقليميـة والدوليـة فـي المنطقـة، بحيـث تتغيـر فيهـا موازيـن القـوى تحقيقًـا لمصالـح عـدة أطـراف. ولا شـك أن الولايـات المتحـدة الأمريكيـة تسـعى للهيمنـة علـى تلـك المنطقـة، بمـا يخـدم حلفاءهـا، ويعـزز نفوذهـم السياسـي والأمنـي والعسـكري فـي المنطقـة، وبخاصـة أن كل القـوى العظمـى والإقليميـة حريصـة علـى التواجـد ولعـب دور بـارز فـي المنطقـة، وهـو مـا يؤكـد حجـم وأعـداد القواعـد العسـكرية فـي القـرن الأفريقـي، وحجـم القـوات البحريـة التـي توجهـت إلـى البحـر الأحمـر فـور انـدلاع الحـرب الإسـرائيلية علـى غـزة.

أولًا: جغرافيا البحر الأحمر

يتفـرد البحـر الأحمـر بموقـع جغرافـي متميـز يُضفـي عليـه أهميـة اسـتراتيجية، حيـث يتوسـط ضفـاف العالـم العربـي بـكل مـن آسـيا وأفريقيـا، ويربـط البحـر المتوسـط والمحيـط الهنـدي، وتقـع شـماله قنـاة السـويس التـي تعـد أهـم ممـر ملاحـي فـي العالـم، ويعـد أقصـر الطـرق بيـن شـرق العالـم وغربـه. وبشـكل عـام، يمتـد البحـر الأحمـر جغرافيًـا مـن شـبه جزيـرة سـيناء إلـى خليـج عـدن ليصـل فـي النهايـة إلـى المحيـط الهنـدي. فمـن الجانـب الشـمالي الشـرقي، يوجـد خليـج العقبـة ويتجـه إلـى الشـمال شـرق إسـرائيل والأردن، وفـي الجانـب الشـمالي الغربـي يوجـد خليـج السـويس الـذي يربـط البحـر الأحمـر بقنـاة السـويس، وتشـكل السـعودية واليمـن السـاحل الشـرقي للبحـر الأحمـر، وفـي الشـمال الشـرقي توجـد الأردن وإسـرائيل، بينمـا تشـكل مصـر والسـودان وجيبوتـي وإريتريـا (ويمكـن ضـم الصومـال لهـم) السـاحل الغربـي.

يبلـغ طـول البحـر الأحمـر مـن السـويس حتـى مضيـق بـاب المنـدب حوالـي 1900 كـم، ويصـل أقصـي عـرض لـه 204 كـم، بينمـا أقـل عـرض هـو 119 كـم عنـد بـاب المنـدب. وتصـل مسـاحة البحـر الأحمـر إلـى حوالـي 438 ألـف كـم3، ويبلـغ أقصـى اتسـاع لخليـج العقبـة حوالـي 30 كـم، وأقصـى اتسـاع لخليـج السـويس 80 كـم.

تمثـل الـدول العربيـة المكـون الرئيـس للـدول المشـاطئة للبحـر الأحمـر، إذ توجـد كل مـن اليمـن والسـعودية والأردن علـى الجانـب الشـرقي، وكل مـن مصـر والسـودان علـى الجانـب الغربـي، بينمـا تحتـل كل مـن جيبوتـي وإريتريـا المسـاحة الأقـل، بينمـا تتشـاطر إسـرائيل أقـل مسـاحة علـى خليـج العقبـة، وبذلـك يـكاد يكـون البحـر الأحمـر أول بحيـرة عربيـة خالصـة.

يشـكل البحـر الأحمـر الحـد الغربـي لشـبه الجزيـرة العربيـة فـي قـارة آسـيا، كمـا يشـكل الحـد الشـرقي لمصـر والسـودان وجيبوتـي فـي قـارة أفريقيـا. ويمنـح البحـر الأحمـر لمصـر موقعًـا جغرافيًـا اسـتراتيجيًا سياسـيًا متميـزًا بسـبب اتصالـه بالبحـر المتوسـط عبـر قنـاة السـويس.

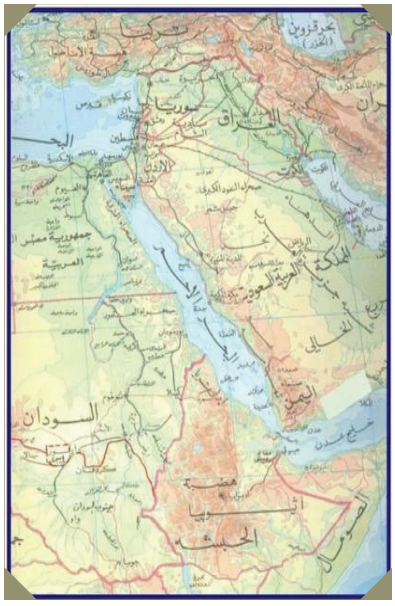

خريطة رقم (1): الموقع الجغرافي للبحر الأحمر والدول المطلة عليه

ثانيًا: المسطحات المائية المتفرعة من البحر الأحمر وأهميتها الاستراتيجية [1]

أ- الخلجـــــان:

يقـع خليـج العقبـة فـي الاتجـاه الشـمالي الشـرقي للبحـر الأحمـر بيـن خطـي عـرض (29،28) شـمالًا، ويحـده شـبه جزيـرة سـيناء غربًـا وسـواحل كل مـن السـعودية والأردن وإسـرائيل شـرقًا. وبالنسـبة للأردن، فـإن خليـج العقبـة هـو منفذهـا الوحيـد إلـى البحـر، وتباشـر مـن خلالـه تجارتهـا مـع العالـم الخارجـي، ويقـع عليـه ميناء العقبـة، وهـو الميناء الوحيـد للأردن، كمـا زادت أهميتـه بعـد إنشـاء الخـط الملاحـي العقبة/نويبـع فـي مصـر. وبالنسـبة للسـعودية، فـإن سـاحلها عليـه يصـل طولـه إلـى 132 كـم، ويتواجـد عليـه فـي الطـرف الشـمالي مـن الخليـج عـدة مـراسٍ. وبالنسـبة لإسـرائيل، فـإن خليـج العقبـة هـو منفـذ تجارتهـا مـع الـدول الأفريقيـة والآسـيوية. أمـا السـاحل المصـري علـى خليـج العقبـة فيصـل إلـى حوالـي 200 كـم، وقـد زاد مـن أهميتـه إنشـاء الخـط الملاحـي بيـن ميناءي نويبـع المصـري والعقبـة الأردنـي لربـط مصـر بالـدول العربيـة فـي آسـيا، كمـا بـرزت أيضًـا أهميتـه الاقتصاديـة والسـياحية لمصـر بعـد الاتجـاه لتعميـر هـذه المنطقـة.

ويُشـكل خليـج العقبـة أهميـة كبـرى اسـتراتيجية للأردن، فهـو منفذهـا الوحيـد إلـى البحـر، وتمـارس مـن خلالـه تجارتهـا مـع العالـم الخارجـي، وعليـه يقـع ميناؤهـا الوحيـد وهـو ميناء العقبـة. أمـا بالنسـبة لإسـرائيل، فعلـى الرغـم مـن أنهـا تملـك منافـذ أخـرى علـى البحـر المتوسـط، فإنهـا تعتبـر خليـج العقبـة موقعًـا حيويًـا لهـا مـن الناحيـة الاسـتراتيجية والعسـكرية والاقتصاديـة. وبالنسـبة لمصـر، فـان خليـج العقبـة يمثـل أهميـة اسـتراتيجية، إذ يقـدر طـول سـاحلها عليـه بحوالـي 200 كـم. وقـد زاد مـن أهميتـه الخـط الملاحـي بيـن ميناءي نويبـع فـي مصـر والعقبـة فـي الأردن. وبالنسـبة للمملكـة العربيـة السـعودية، فلهـا علـى السـاحل الشـرقي للخليـج 132 كـم، ويقـع ميناء حقـل السـعودي فـي الطـرف الشـمالي للخليـج، علاوة علـى عـدة مـراسٍ، ويوجـد فـي المدخـل الجنوبـي للخليـج جزيرتـا تيـران وصنافيـر.

أمـا منطقـة خليـج عـدن، فهـي امتـداد للمحيـط الهنـدي، وتقـع بيـن قارتـي آسـيا وأفريقيا، وتشـكل فـاصلًا طبيعيًـا بيـن دولتـي اليمـن والصومـال. ويُعـد ميناء عـدن اليمني هـو الميناء الرئيس في المنطقـة، ويقـع فـي بحـر العـرب بيـن اليمـن علـى السـاحل الجنوبي لشبه الجزيرة العربية والصومال في القرن الأفريقي في شمال غرب البلاد، ويتصل بالبحـر الأحمـر عـن طريـق مضيـق بـاب المنـدب. ويعتبـر خليـج عـدن جـزءًا لا ينفصـل عـن طـرق الشـحن والتجـارة العالميـة بيـن قنـاة السـويس مـن خلال البحـر المتوسـط والمحيـط الهنـدي. ومـن خلالـه تتدفـق الميـاه إلـى البحـر الأحمـر عـن طريـق مضيـق بـاب المنـدب، ويعتبـر واحـدًا مـن أكثـر الممـرات البحريـة ازدحامًـا فـي العالـم. وتكمـن أهميتـه فـي كونـه أقصـر طريـق عبـور بحـري علـى مـدار العـام بيـن غـرب وشـرق آسـيا، ورغـم تشـغيل طريـق البحـر الشـمالي عبـر القطـب الشـمالي تدريجيًـا، إلا أنـه لا يمكـن الاعتمـاد عليـه خلال أشـهر الشـتاء. ويمكـن اسـتخدام هـذا الموقـع عالـي القيمـة للأغـراض الاقتصاديـة والعسـكرية، كمـا يمكـن أن تعمـل دول منطقـة خليـج عـدن والبحـر الأحمـر كنقـاط شـحن لتسـهيل التجـارة بيـن الشـرق والغـرب، إضافـة إلـى اسـتضافة مرافـق الإنتـاج ذات الصلـة بشـكل ملائـم. كمـا أن هـذه المنطقـة تُعتبـر بـؤرًا رئيسـة لبعـض التهديـدات مـن القـوى غيـر النظاميـة أو غيـر الحكوميـة[2].

ويقـع خليـج السـويس فـي الاتجـاه الشـمالي الغربـي للبحـر الأحمـر بيـن خطـي عـرض (28-27) شـمالًا، حيـث يعتبـر الفاصـل بيـن قارتـي آسـيا وأفريقيـا، ويقـع بالكامـل داخـل حـدود مصـر، ويمتـد بطـول 380 كـم، وعرضـه يتـراوح بيـن 20- 50 كـم. ويزيـد مـن أهميتـه الاسـتراتيجية اتصالـه مـن أقصـى الشـمال بقنـاة السـويس التـي تصـل البحـر الأحمـر بالبحـر المتوسـط بطـول (190) كـم، وهـي أقصـر طريـق ملاحـي بيـن الشـرق والغـرب مقارنـة بطريـق رأس الرجـاء الصالـح. وعنـد نهايتـه فـي أقصـى الشـمال يبـدأ المدخـل الجنوبـي لقنـاة السـويس، وهـي الشـريان الوحيـد للنقـل البحـري العالمـي والإقليمـي للعديـد مـن المنقـولات، وأهمهـا البتـرول والـسلاح والسـلع الاسـتراتيجية مثـل القمـح. ويشـكل خليـج السـويس أهميـة اقتصاديـة لمصـر، حيـث تقـع بـه معظـم حقـول وآبـار النفـط المصري والثـروة السـمكية والمناطـق السـياحية. كمـا يُشـكل أهميـة عسـكرية لمصـر لأنـه يمثـل الاتجـاه الاسـتراتيجي الشـرقي لهـا. وتقـع شـبه جزيـرة سـيناء علـى سـاحله الشـرقي، كمـا يُمثـل أهميـة عسـكرية لإسـرائيل والتـي كانـت تركـز جهودهـا للسـيطرة علـى هـذا الخليـج فـي جميـع صراعاتهـا العسـكرية بهـدف التحكـم والسـيطرة علـى المنطقـة. ويُعتبـر خليـج السـويس ممـرًا ملاحيًـا مهمًـا، وهـو الامتـداد الطبيعـي لقنـاة السـويس مـن الجنـوب، وحلقـة الاتصـال بيـن البحريـن الأحمـر والمتوسـط، وبذلـك يتحكـم فـي الطـرق البحريـة المؤديـة إلـى القنـاة. ومـن الناحيـة الاقتصاديـة، تقـع فـي خليـج السـويس معظـم حقـول وآبـار البتـرول المصريـة، ويعـد مـن المناطـق الغنيـة بالأسـماك، إضافـة إلـى أن سـاحله الغربـي أصبـح مقصـدًا سـياحيًا مهمًـا ومـوردًا اقتصاديًـا لمصـر، كمـا يمثـل أهميـة عسـكرية خاصـة لمصـر كونـه الحـد الغربـي لشـبه جزيـرة سـيناء.

ب- المضايـــــق:

أما مضايق البحر الأحمر [3] ، فتشمل كلًا من مضيق باب المندب الذي يقع داخل المياه الإقليمية لجيبوتي وإريتريا في أفريقيا، بينما يقع داخل المياه الإقليمية لليمن في آسيا. ويستمد هذا المضيق أهميته الجيوستراتيجية باعتباره المنفذ الوحيد الذي يتحكم في المدخل الجنوبي للبحر الأحمر الذي تقسمه جزيرة «بريم» (ومساحتها 13كم2) إلى جزأين، أولهما: هو الممر الآسيوي، ويبلغ اتساعه 13 كم. وثانيهما: وهو الممر الأفريقي، ويبلغ اتساعه 20 كم، ويوجد داخله 6 جزر وشعاب مرجانية، تجعل المسافة الصالحة للملاحة 17 كم. إذ يمتد مضيق باب المندب إلى المياه الاقليمية لثلاث دول هي اليمن وجيبوتي وإريتريا، ويستمد أهميته من كونه المنفذ الوحيد المتحكم تمامًا في البحر الأحمر من الناحيتين العسكرية والتجارية.

أمـا مضيـق تيـران، فهـو المدخـل الرئيسـي لخليـج العقبـة مـن ناحيـة جنوبـه، ويعتبـر امتـدادًا للبحـر الأحمـر مـن ناحيـة الشـمال، ويتحكـم فـي المدخـل جزيرتـان هما تيـران وصنافيـر، ويقسـمانه إلى ثلاث ممـرات، ولا يصلـح للملاحـة البحريـة سـوى الممـر الواقـع بيـن جزيـرة تيـران وشـبه جزيـرة سـيناء غربًـا، ولا يتجـاوز عرضـه 6 كـم.

أمـا مضيـق جوبـال، فهـو المدخـل الرئيـس لخليـج السـويس مـن ناحيـة جنوبـه، ويبلـغ اتسـاعه حوالـي 32 كـم عنـد المدخـل، ويتواجـد بمدخلـه مجموعـة جـزر، هـي: جـوبلا، طويلـه، شاكر/شـدوان، أم قمـر. وينحصـر المضيـق بيـن رأس محمـد غربًـا وجـزر شدوان وجوبلا شرقًا. ويُعد مضيق جوبال المدخل الرئيـس إلـى خليـج السـويس، وتكمـن أهميتـه فـي تحكمـه التـام فـي الخليـج الـذي تنتشـر بـه حقـول النفـط. ويقـع فـي شـماله ميناء السـويس بمـا لـه مـن أهميـة اقتصاديـة وعسـكرية لمصـر، وبالتالـي فإنـه يـوازي فـي أهميتـه أهميـة خليـج السـويس.

ج- الجـــــزر: [4]

يتواجـد في البحـر الأحمـر حوالـي 379 جزيـرة، وهـو عـدد كبيـر نسـبيًا، إلا أن معظمهـا صغيـرة المسـاحة للغايـة، حيـث إن عـدد الجـزر التـي تزيـد مسـاحتها على 12 كـم2 لا يتعـدى 5 جـزر، وكل منهـا يتبـع إحـدى الـدول المطلـة علـى البحـر الأحمـر **وذلـك كالاتـي:**

- **جـزر المملكـة العربيـة السـعودية:** للمملكـة حوالـي 120 جزيـرة بالبحـر الأحمـر، وكلهـا ذات مسـاحات صغيـرة، وتُعـد جزيرتـا فرسـان والمجيـد مـن أكبـر الجـزر مسـاحة، حيـث تصـل مسـاحة الأولـى إلـى 450 كـم2 والثانيـة إلـى 220 كـم2، وتقـع تلـك الجـزر علـى مسـافات بعيـدة مـن الخطـوط الملاحيـة الرئيسـة، وهـي لا تشـكل ممـرًا مباشـرًا للملاحـة فـي البحـر الأحمـر، نظـرًا لعـدم تحكمهـا فـي مضايـق أو نقـاط اختنـاق. ويمكـن أن تكـون لهـا أهميـة عسـكرية لاسـتخدامها كمواقـع أمـن متقدمـة للدفـاع عـن السـاحل السـعودي.

- **جزر اليمن: يوجد بالبحر الأحمر جزر يمنية أهمها:** ميمون (بريم)، وجبل الطير، وحنيش، وزفر، وكمران، وأكبرهما مساحة جزيرة حنيش التي تقع جنوب جزيرة زفر مباشرة، وتبعد عن الساحل اليمني بمسافة 70 كم وعن ساحل إريتريا بمسافة 50 كم، وموقعها يشرف على الممر الملاحي لمسافة 10 كم وسطحها جبلي، وهي غير مأهولة بالسكان. أما الجزيرة الثانية فهي جزيرة بريم، ويُطلق عليها اسم آخر هو جزيرة ميمون، وتقع داخل مضيق باب المندب، وتبلغ مساحتها حوالي 13 كم2. وتبعد عن الساحل اليمني مسافة 13 كم وعن ساحل جيبوتي مسافة 35 كم، وسطحها صالح لسير العربات والمركبات، وتصلح كأرض هبوط للمروحيات الصغيرة، ويسكنها عدد قليل من السكان، وتُعرف جغرافيًا باسم «مفتاح باب البحر الأحمر». وتتضح الأهمية الاستراتيجية والعسكرية لجزيره ميمون (بريم) اليمنية من أهمية مضيق باب المندب. كما أنها تتحكم في المدخل الجنوبي للبحر الأحمر، وكلما اتجهنا شمالًا تقل هذه الأهمية، وكلما ازدادت الأهمية الاستراتيجية للجزر ازدادت الرغبة في السيطرة عليها من جانب القوى المحتلة.

- **الجزر المصرية:** توجد 26 جزيرة في المياه الإقليمية المصرية، تتفاوت مساحتها، ويختلف تكوينها الجيولوجي، ويقع أغلبها قريبًا من مداخل خليجي العقبة والسويس، حيث تزداد أهميتها العسكرية. **وأهم تلك الجزر ما يلي:**

1. **جـزر جوبـال:** وهـي مجموعـة صغيـرة مـن الجـزر، أهمهـا: جوبـال الكبيـرة، وجوبـال الصغيـرة. وتبعـد عـن رأس جمشـة بمسـافة 18 كـم، وتبلـغ مسـاحة جوبـال الكبيـرة 9.6 كـم2، ويصلهـا بجوبـال الصغيـرة حاجـز مرجانـي ضحـل. وتسـيطر الجزيرتـان علـى الممـرات الملاحيـة الرئيسـة عنـد المدخـل الجنوبـي لخليـج السـويس، وتشـير الدلائـل إلى أهميتها العسـكرية والاقتصادية سـواء لمصـر أو للتجـارة العالميـة.

2. **جزيـرة طويلـة:** وتقـع جنـوب جزيـرة جوبـال بمسـافة 3.2 كـم، ومسـاحتها حوالـي 19 كـم2، وهـي ذات أهمية اسـتراتيجية عسـكرية نظـرًا لوقوعهـا بيـن جزيرتـي جوبـال الكبيـرة وشـدوان وقربهـا مـن خـط الملاحـة الرئيـس.

3. **جزيـرة شـدوان:** ومسـاحتها حوالـي 38 كـم2، وتتألـف كتلتهـا الرئيسـة مـن الصخـور الجراتينيـة، ومنهـا سلسـلة جبـال. وأقصـى ارتفـاع لهـا 300م. وتمثـل الجزيـرة بدايـة المدخـل الجنوبـي لمضيـق جوبـال، وتشـرف علـى الممـر الملاحـي الرئيسـي. وهـي مُحاطـة بميـاه عميقـة 200م، وبهـا: منـارة بحريـة، ومنشـآت عسـكرية، ومهبـط طائـرات، ومرسـى بحـري. وللجزيـرة أهميـة اسـتراتيجية كبـرى اقتصاديـة وعسـكرية لمصـر ولجميـع دول العالـم.

4. **جزيـرة الجفاتيـن:** وهـي ثـلاث جـزر فـي مواجهـة السـاحل عنـد مدينـة الغردقـة، وأهمهـا جزيـرة جفتـون الكبيـر، وتبلـغ مسـاحتها حوالـي 13 كـم2، وتبعـد عـن مدينـة الغردقـة حوالـي 5 كـم، ولهـا أهميـة اسـتراتيجية لمصـر اقتصاديًـا، حيـث إنهـا مقصـد سـياحي مهـم.

- **جزر السودان:** تمتد الشعب المرجانية بالقرب من مجموعة الجزر المواجهة للساحل السوداني، وتشكل عائقًا طبيعيًا للملاحة البحرية بوجه عام، وإن كانت بعيدة عن الخطوط الملاحية وعددها 36 جزيرة، أهمها هي مجموعة جزر سواكن. وعسكريًا تعتبر مانعًا طبيعيًا ضد أي عمليات هجومية من جهة الساحل السوداني، فيما عدا بعض الممرات المؤدية إلى موانئ السودان.

- **جزر إريتريا: وتشمل:**

1. **جـزر (دهلـك):** وهـي عبـارة عـن مجموعـة جـزر صغيـرة أهمهـا جزيـرة دهلـك الكبـرى وتقـع شـرق ميناء (مصوع) بمسافة 35 كـم، وموقعهـا ذو أهميـة اسـتراتيجية، وأغلـب سـكانها مـن أصـل عربـي (اليمـن والسـودان) مـن المسـلمين، ويعملـون بالزراعـة والصيـد والرعـي. وتُعـد مانعًـا طبيعيًـا يصعـب اختراقـه، وترجـع أهميتهـا الاسـتراتيجية إلـى أن معظمهـا صالحـة للزراعـة، وكان يتمركـز في دهلـك حينما كانـت تابعـة لأثيوبيا وفي فتـرة الحـرب البـاردة قـوات سـوفيتية بحريـة وجويـة، وكانـت الجزيـرة مركـز مراقبـة بهـا أجهـزة اسـتطلاع ومراقبـة سـوفيتية.

2. **جزيـرة فاطمـة:** وتقـع شـمال غـرب بـاب المنـدب علـى مسـاحة 30 كـم شـمال غـرب جزيـرة بريـم اليمنيـة وشـرق ميناء عصـب، وتبلـغ مسـاحتها 8 كـم2، ولهـا أهميـة اسـتراتيجية اقتصاديـة وعسـكرية، فهـي تصلـح لاسـتخدامها كميناء عسـكري ولإنشـاء مطـار ورادارات بحريـة فيهـا.

3. **جزيـرة حالـب:** وتقـع جنـوب جزيـرة فاطمـة بمسـافة 5 كـم، وتبلـغ مسـاحتها حوالـي 22 كـم2، وبهـا قاعـدة بحريـة تصلـح لإنشـاء مطـار وميناء عليهـا. وموقعهـا يشـرف علـى الممـر الملاحـي شـمال مضيـق بـاب المنـدب، ويتضـح مـن موقعهـا أهميتهـا الاسـتراتيجية عسـكريًا واقتصاديـا والتـي تعتبـر جـزءًا مـن أهميـة مضيـق بـاب المنـدب.

4. **جزيـرة دويـرا:** وتسـتمد أهميتهـا مـن أنهـا أقـرب الجـزر الإريتريـة إلـى المدخـل الجنوبـي للبحـر الأحمـر، وتبعـد عـن الممـر الملاحـي بمسـافة 13 كـم، وهـي تشـكل تهديـدًا مباشـرًا لجزيـرة بريـم اليمنيـة [5].

ثالثًا: موانئ البحر الأحمر وأهميتها الاستراتيجية [6]

تشمل موانئ الساحل الشرقي للبحر الأحمر 6 موانئ في 4 دول، وذلك كما يلي:

1. المملكة العربية السعودية (2 ميناء: جدة، ونوبع).
2. الجمهورية اليمنية (2 ميناء: عدن، والحديدة).
3. المملكة الأردنية (ميناء العقبة فقط).
4. فلسطين المحتلة (إسرائيل) (ميناء واحد هو إيلات).

أما موانئ الساحل الغربي للبحر الأحمر فتشمل 11 ميناءً في 5 دول، وذلك كما يلي:

1. مصر (5 موانئ) (السويس، الغردقة، سفاجا، برنيس/ رأس بناس، القصير).
2. السودان (2 ميناء: بور سودان، وسواكن).
3. إريتريا (2 ميناء: صوع، وعصب).
4. جيبوتي (ميناء جيبوتي فقط).
5. الصومال (ميناء بربرة فقط).

ويبلغ إجمالي الموانئ في البحر الأحمر 17 ميناءً، موزعة على 9 دول منها 4 دول في آسيا و5 دول في أفريقيا. وتنبع الأهمية الاستراتيجية لها جميعًا من أهمية البحر الأحمر التي تكمن في استخداماته التي لا تكتمل إلا بعنصرين مهمين، هما: الممرات الملاحية الصالحة، والموانئ القادرة على استيعاب القطع البحرية التي تمر في البحر الأحمر. وبالتالي، فإن أهمية موانئ البحر الأحمر هي نفس الأهمية الاستراتيجية للبحر الأحمر من النواحي الاقتصادية والعسكرية والأمنية.

من أهم الموانئ على البحر الأحمر ميناء جدة بالسعودية، وهو أكبر وأهم موانيها، ويحتوي على أرصفة كبيرة وبأعماق كبيرة تستقبل أكبر سفن الحاويات في العالم، مما يجعل لهذا الميناء أهمية استراتيجية من النواحي الاقتصادية والعسكرية.

كما يبرز ميناء السويس في مصر والذي يقع على الطرف الشمالي لخليج السويس عند المدخل الجنوبي لقناة السويس، وإن كانت أهميته قد تراجعت بسبب افتتاح موانئ أخرى في البحر الأحمر. وللميناء أهمية اقتصادية وعسكرية مهمة لمصر، حيث تبلغ طاقته الاستيعابية 6.6 ملايين طن سنويًا.

ويعد ميناء بورتسودان من أهم وأشهر موانئ السودان، وهو بوابة السودان الأولى، لوقوعه على الشاطئ الغربي للبحر الأحمر، وله أهمية استراتيجية كبيرة للسودان، سواء من النواحي العسكرية أو الاقتصادية أو الأمنية، وبخاصة في ظل الظروف المحلية الراهنة.

ويُعد ميناء المخا اليمني أقدم موانئ شبة الجزيرة العربية، ومن أهم المراكز التجارية الواقعة على البحر الأحمر. وهو ميناء كبير المساحة مفتوح من جميع جوانبه، وتكمن أهميته في قربه من الممر الدولي بمسافة 6 كم، حيث يربط بين أوروبا وشرق أفريقيا وجنوب آسيا والشرق الأوسط. ويزيد من أهميته الاستراتيجية قربه من مضيق باب المندب ودول القرن الأفريقي وبحر العرب. وكل هذه المميزات جعلت منه ميناءً ذا أهمية استراتيجية ليس لليمن فحسب، بل أيضًا لعدد من دول العالم.

ويقع ميناء العقبة الأردني على الحدود مع فلسطين المحتلة، وله أهمية اقتصادية وسياحية كبرى للأردن، حيث يعد حلقة الوصل الرئيسة في حركة التجارة بين الأردن والعالم.

ويعرف ميناء جيبوتي محليًا بميناء دورالة، وهو الميناء الوحيد المعتمد -بمواصفات القانون الدولي- لأمن السفن والموانئ الأمريكية في شرق أفريقيا. وله أهمية اقتصادية كبرى لجيبوتي، وأهمية اقتصادية وعسكرية للعديد من دول العالم.

ويحظى ميناء مصوع في إريتريا بأهمية استراتيجية واقتصادية كبرى، حيث استأجرته مجموعة موانئ دبي ومعه مطار مجاور له في المدينة نفسها عام 2015 لمدة ثلاثين عامًا، وهذا دليل على أهميته الاستراتيجية عسكريًا واقتصاديًا وأمنيًا.

ويوجد ميناء إسرائيلي في فلسطين المحتلة، يقع في الجهة الشمالية لخليج العقبة ويطلق عليه أم الرشراش، وله العديد من المزايا الاستراتيجية لإسرائيل اقتصاديًا وعسكريًا، بسبب موقعه الحاكم في أقصى شمال خليج العقبة.

رابعًا: خلاصة تحليلية [7]

يصل البحر الأحمر بين البحار المفتوحة شمالًا وقناة السويس والبحار المفتوحة جنوبًا عبر باب المندب إلى خليج عدن في المحيط الهندي، وتزيد وظيفته هذه من أهميته الاستراتيجية، وبخاصة من الناحيتين الاقتصادية والعسكرية. ويمكن اعتباره بمثابة خط أنابيب لنقل النفط الخام من مصادر إنتاجه على الخليج العربي إلى أوروبا وأمريكا الشمالية. ويتضح من ذلك أن الخليج العربي، وإن كان يعد مركز ثقل من الناحية الاقتصادية، فإن أهميته تعتمد على باب المندب والبحر الأحمر وقناة السويس. وللبحر الأحمر أهمية أمنية كبرى سواء للأمن القومي العربي بصفة عامة أو للأمن القومي الوطني للبلاد المطلة على البحر الأحمر والقرن الأفريقي بصفة خاصة، وتلك الدوائر الامنية متداخلة، وإن كان مركز ثقلها الاستراتيجي هو البحر الأحمر.

وللبحر الأحمر أهمية خاصة اقتصاديًا وعسكريًا، إذ يختصر عاملي الوقت والمسافة مقارنة بطريق رأس الرجاء الصالح، وهذا العامل لا يؤثر على أهميته الاستراتيجية بالنسبة للدول المطلة عليه فحسب، بل يتعداها إلى جميع دول العالم سواء المصدرة للنفط أو الحبوب أو السلاح أو أي نوع آخر من التجارة، وكذا الدول المستوردة لتلك الأنواع، والدول التي تملك

السفن العملاقة لنقل هذه البضائع والمنقولات، فضلًا عن أهميته العسكرية سواء في سرعة تدخل الوحدات البحرية للانتقال من البحر الأحمر إلى المتوسط أو العكس.

لقد تحول البحر الأحمر إلى منفذ لنقل النفط كبديل لمنفذ الخليج العربي في حالات الضرورة، ومن مظاهر هذا التحول إنشاء العراق خطين للأنابيب، أولهما من حقول نفط الشمال في كركوك نحو الجنوب العراقي ثم إلى ميناء ينبع السعودي على البحر الأحمر، وثانيهما من حقول الجنوب ينبع على ساحل البحر الأحمر. كما أنشأت المملكة العربية السعودية خط (الجبيل - ينبع) لتنويع مراكز التصدير، فضلًا عن قيام مصر بتوسعة وتعميق قناة السويس، بما يسمح بمرور ناقلات النفط العملاقة نحو البحر المتوسط وموانئ أوروبا.

ختامًـــــا، يستمد البحر الأحمر أهميته الاستراتيجية من موقعه الجغرافي الذي وفر للقوى الإقليمية والدولية إمكانية الوصول إلى المحيطين الهندي والأطلسي، وقد زادت تلك الأهمية بعد اكتشاف النفط في دول الخليج العربية. كما تكمن أهميته في كونه يمثل نظامًا فرعيًا من إقليم الشرق الأوسط المضطرب والمثير للجدل، فهو يعتبر قناة وصل بين البحار والمحيطات المفتوحة، ومن هنا تزيد أهميته الاستراتيجية من النواحي العسكرية والاقتصادية والأمنية، ولما له من دور في التجارة العالمية بين أوروبا وآسيا. ويوجد في البحر الأحمر العديد من الممرات المائية الفرعية والجزر والخلجان والموانئ، وكلها ذات أهمية استراتيجية. ولا تتوقف أهمية البحر الأحمر وما يشمله من معالم عند الدول المطلة عليه، ولكنها تتعداهم لتطال العالم أجمع. وليس أدل على ذلك من اهتمام كل القوى العالمية الكبرى بإرسال عناصر من قواتها البحرية إليه فور اندلاع الحرب الاسرائيلية على غزة عقب عملية طوفان الأقصى الفلسطينية ضد إسرائيل في السابع من أكتوبر عام 2023.

المصـــــــادر

1. مركز البحوث والدراسات الاستراتيجية للقوات المسلحة، رؤية شاملة لتأمين البحر الأحمر في ظل التحديات والتهديدات المؤثرة على الأمن القومي العربي، بحث مراكز الدراسات الاستراتيجية للقوات المسلحة، القاهرة، 2019 ص ص 3-2.
2. القوى الاقليمية والدولية في باب المندب وخليج عدن، مركز أبعاد للدراسات والبحوث، 31 أغسطس 2023، متاح على: https://abaadstudies.org/strategies/topic/59969
3. محمد رضا فودة، باب المندب والأمن العربي الأفريقي، ندوة العرب في أفريقيا، القاهرة، 1987، ص ص. 476-475.
4. مركز البحوث والدراسات الاستراتيجية للقوات المسلحة، مرجع سبق ذكره، ص ص. 6-5.
5. موسوعة مقاتل من الصحراء، أمن البحر الأحمر، متاح على: http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Siasia2/AmnBahrAhm/index.htm
6. محمد زايد عبد الرحمن الشهري، الاستراتيجية العربية المقترحة لتامين حوض البحر الأحمر في ظل الصراعات الاقليمية والعالمية، الأكاديمية العسكرية للدراسات العليا والاستراتيجية، القاهرة، 2018، ص ص. 14-13.
7. موسوعة مقاتل من الصحراء، مرجع سبق ذكره.

ملامح من فنون الإنزال الجوي المظلي: غـــزة نموذجًـــا

عُرفت بدايات قوات المظلات خلال الحرب العالمية الأولى، ولكنها استُخدمت بنجاح وتوسع خلال الحرب العالمية الثانية؛ ولعل أشهرها وأكبرها هو عملية غزو نورماندي التي شهدت أكبر إسقاط مظلي في التاريخ حتى الآن، وذلك بقرابة ثلاث فرق (Divisions) أمريكية وبريطانية. وقد عُرفت أيضًا بقوات "الإبرار الجوي"، أي القوات التي تصل إلى الأرض (البر) عن طريق الجو بواسطة طائرات النقل أو الطائرات المروحية أو بالمزج بينهما. وقد يَستدعي ذلك مصطلحًا آخر وهو "الإبرار البحري"، أي الوصول إلى الأرض عن طريق البحر بوسائل ووسائط القوات البحرية.

لواء أ.ح.د/ محمد عبد الخالق قشقوش

عضو الهيئة الاستشارية

للمركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية

وقـد يُصنّـف النقـل بالاسـتراتيجي بغـرض إعـادة الانتشـار (Redeployment)، الـذي عـادة مـا يكـون بواسـطة طائـرات النقـل المتوسـطة أو الكبيـرة ذات المحـركات التوربينيـة أو النفاثـة وذات المـدى الطويـل (مثـل: طـرازات "سـي" الأمريكيـة أو "آنتينـوف" السوفيتية-الروسـية علـى سـبيل المثـال). وقـد يتـم الهبـوط والوصـول إلـى الأرض بوسـائل ووسـائط أخـرى (مثـل: الدلتـا، والخفافيـش الطائـرة) أو بواسـطة الطيـران الشـراعي (كمـا فـي بدايـات عمليـة طوفـان الأقصـى بغـزة)، أو عبـر الفضـاء (كالقفـز الحـر مـن طائـرات النقـل والمروحيـات)، بالسـباحة في الهـواء قبـل الهبـوط دون فتـح المـظلات إلا قـرب الأرض وفـي أماكـن محـددة وبدقـة كبيـرة. وقـد يتـم ذلـك لمهـام خاصـة أو لأغـراض رياضيـة، ولـذا توجـد اتحـادات رياضيـة متخصصـة فـي ذلـك علـى المسـتويات المحليـة والإقليميـة والدوليـة، ومنهـا "الاتحـاد المصـري للمـظلات والرياضـات الجويـة".

أولًا: المظلات في المدرستين العسكريتين الشرقية والغربية

تتعـدد تصنيفـات المـظلات تبعًـا لسـماتها وخصائصها المميزة، وهـو ما يمكن الوقـوف على أبـرز ملامحـه مـن خلال النقـاط التاليـة:

1. من حيث نوع الحمولة المُسقطة:

تختلـف المدرسـتان الشـرقية والغربيـة فـي رؤيتهمـا للمـظلات. فبالنظـر إلـى طبيعـة وتنـوع الحمولـة المُسـقَطة، فإنهـا تشـمل ثلاثـة مسـتويات هـي: الإسـقاط الخفيـف للأفـراد (القـوة البشـرية)، والإسـقاط المتوسـط للإمـدادات اللوجسـتية مـن خلال العبـوات (مثـل مـا نُفـذ لإمـداد غـزة)، والإسـقاط الثقيـل لبعـض الأسـلحة والمعـدات مـن خلال الأرضيـات أو الأرصفـة (Platforms) التـي تُحمـل وتُثبـت فـي أرضيـة الطائـرة بطـرق مختلفـة، تختلـف طبقًـا لنـوع طائـرات النقـل المسـتخدمة. وهـي المسـتويات التـي يمكـن الوقـوف عليهـا **تفصـيلًا مـن خلال النقـاط التاليـة:**

أ- الإسقاط الخفيف للأفراد: ويتـم عـادة بمظلتيـن؛ واحدة رئيسـية وأخـرى احتياطيـة أصغـر، ويرافـق القافـز سـلاحه الفـردي ومعداتـه الخفيفـة، ويتـم القفـز فـرادى مـن أجنـاب الطائـرة أو مـن خلفهـا. وفـي بعـض الحـالات، يتـم القفـز بشـكل جماعـي مـن خلال وضـع الجلـوس مـن جانبـي بعـض المروحيـات بعـد كشـف أجنابهمـا.

ب- الإسقاط المتوسط للعبوات: وهـي أوانـي وسـيطة مـن القمـاش الخـاص أو الجلـد أو الشـرائط، ذات أحجـام وأوزان محـددة، وفـوق كل منهـا مظلـة خاصـة، قـد تُثبـت فـي صـف أو أكثـر علـى أن يوضـع أسـفلها أحـد أنـواع مخففـات الصدمـة.

ج- الإسقاط الثقيل: ويشـمل أنواعًـا مختلفـة مـن العربـات والمعـدات والأسـلحة وبعـض أنـواع الدبابـات. ويلـزم لذلـك أنـواع مختلفـة ومتعـددة مـن المـظلات التـي يمكـن فصلهـا بأسـاليب مختلفـة بمجـرد الوصـول إلـى الأرض، كتحـرر قـوة الشـد بيـن الحمولـة والمظلـة (Release) أو القطـع الميكانيكـي، وذلـك لتجنـب (الجرجـرة) فـي حالـة وجـود ريـاح وخصوصًـا السـطحية.

هـذا، ويختلـف أسـلوب انـزلاق وتحـرر أرضيـات الإسـقاطين الثقيـل والمتوسـط مـن الطائـرات علـى اخـتلاف أنواعهـا وعلـى تعـدد تكتيـكات عمليـة الإسـقاط باخـتلاف المدرسـتين الشـرقية السـوفيتية والغربيـة؛ ففـي الأولـى، تُسـتخدم أرضيـات ذات عَجَـل مُسـمط بقُطْـر صغيـر، تعلـوه مخففـات الصدمـات (كعـش النحـل) -كنـوع مـن الكرتـون المقـوى مـثلًا- قبـل جسـم الـسلاح أو المعـدة أو المعـدات الرئيسـية، ثـم تأتـي مجموعـة المـظلات متعـددة القبـاء. أمـا فـي الأخيـرة، فتتكـون الأرضيـات مـن شـرائح مـن الألـواح المعدنيـة القويـة والتجميعيـة طبقًـا للطـول المسـتهدف لعـدد الأرضيـات وطـول غرفـة تحمـل الطائـرة. ونظـرًا لعـدم وجـود عَـجَلات كبيـرة، فتنزلـق الأرضيـات علـى مجموعـة عـجلات صغيـرة (Rollers) متراصـة ومتتاليـة فـي أرضيـة غرفـة التحميـل.

2. من حيث الاستخدام الرئيسي (الإسقاط أو الاقتحام الجوي):

وتبعًـا لكيفيـة اسـتخدام المـظلات، فـإن هنـاك نوعيـن رئيسـيين؛ أولهمـا: الإسـقاط المظلـي الخفيـف والمتوسـط والثقيـل (كمـا سـبق القـول)، وثانيهمـا: الاقتحـام الجـوي باسـتخدام المروحيـات بكثافـة للاقتـراب مـن الأهـداف قبـل اقتحامهـا. وفـي هـذه الحالـة، تهبـط المروحيـات هبوطًـا كاملًا إلـى سـطح الأرض إن كان الهـدف هو تفريغ الأسـلحة والمعـدات التابعـة. أمـا إن كان المسـتهدف هـو إنـزال الأفـراد فحسـب، فيمكـن تعليـق المروحيـة فـي الهـواء (Hovering) قـرب سـطح الأرض بمـا لا يزيـد علـى 2-1.5 متـر لسـرعة الإخلاء، وبخاصـة إن كانـت الأرض رخـوة أو غيـر مسـتوية. وقـد تتـم أعمـال المـظلات بالمـزج بيـن الإسـقاط بالمـظلات والإنـزال بالمروحيـات، وعـادة مـا يتـم ذلـك فـي المسـتويات الأكبـر أو الظـروف الخاصـة.

3. المـزج بيـن النقـل الاسـتراتيجي الإداري والقتالـي التابـع:

يشـتمل النقـل الاسـتراتيجي وإعـادة الفتـح (Redeployment) لأعمـاق ومديـات كبيـرة علـى شـقين هما: الإداري، والقتالي. ويُعـرف الأخيـر بقـوة تنفيـذ المهمـة (Task Force)، وعـادة مـا يسـبق الشـق الإداري للإعـداد اللوجيسـتي، ويمكـن أن يسـتخدم طائـرات النقـل الكبيـرة أو العملاقـة مثـل الأمريكيـة "سـي 5 جلاكسـى" أو الروسـية "أنتينـوف225-"، كمـا يُمكـن اسـتخدام القـوات والسـفن البحريـة. وهنـاك تناسـب عكسـي بيـن طاقـة التحميـل مـن جهـة، وبيـن زمـن النقـل مـن جهـة أخـرى؛ فالطائـرات تنقـل حمولتهـا فـي وقـت أسـرع، ولكـن بطاقـة نقـل أقـل، عكـس السـفن التـي تنقـل حمولتهـا فـي وقـت أبطـأ، ولكـن بطاقـة نقـل أكبـر. ولدينـا مثـال حـرب رمضان-أكتوبـر 1973 والنقـل الاسـتراتيجي جـوًا وبحـرًا، حيـث أمـدت الولايـات المتحـدة إسـرائيل، وأمـد الاتحـاد السـوفيتي كلًا مـن مصـر وسـوريا بأسـبقية سـورية جويـة.

ثانيًا: إمداد غزة بالطعام بالإسقاط المظلي (خلال طوفان الأقصى)

كانـت ولا تـزال تجربـة إمـداد غـزة بالطعـام بالإسـقاط المظلـي صعبـة فـي ظـروف اسـتثنائية أصعـب؛ فالثلـث الشـمالي مـن قطـاع غـزة والمسـتهدف بالإمـداد المظلـي ذو كثافـة بشـرية غزاويـة أقـل، ولكـن سـكانه منتشـرون بشـكل عشـوائي علـى مسـاحة كبيـرة شـبه مدمـرة نتيجـة الاسـتهداف الإسـرائيلي، كمـا أنهـا شـبه خاليـة مـن المرافـق والبنـى التحتيـة وخصوصًـا الطعـام ومياه الشـرب ومـواد الإسـعافات الأوليـة. والأسـوأ مـن ذلـك هـو عـدم تمكيـن شـاحنات النقـل المصريـة والصديقـة مـن الوصـول إلـى شـمال قطـاع غـزة، نتيجـة عراقيـل التفتيـش الإسـرائيلية، وعـدم وجـود خطـة دقيقـة للتفريـغ والتصنيـف والتوزيـع؛ حيـث تنتهـي رحلـة الشـاحنات قـرب ديـر البلـح فـي طريقهـا مـن بوابـة رفح-مصـر إلـى مدينـة رفح-غـزة ثـم خـان يونـس. مـع وجـود القـوات الإسـرائيلية في كل قطـاع غـزة تقريبًـا، وتزايـد كثافـة تحركاتهـا مـن الشـمال إلـى الجنـوب عبـر القطـاع.

1. تحديـات وصعوبـات مـا قبـل إسـقاط الطعـام علـى شـمال غـزة:

يفـرض الموقـف الجيو-اسـتراتيجي لشـمال قطـاع غـزة عـدة تحديـات؛ حيـث محدوديـة عـرض القطـاع الـذي يتـراوح بيـن 7-6 كـم مـن ناحيـة، ومحاذاتـه لسـاحل البحـر المتوسـط، ممـا يقلـل مـن زمـن مـرور الطائـرات، وإن عَـرّضَ ذلـك العبـوات لاحتماليـة السـقوط فـي البحـر، خصوصًـا تلـك القريبـة مـن المخيـم الكبيـر بالشـاطئ مـن ناحيـة ثانيـة. كمـا طالـت تلـك التحديـات أعمـال التخطيـط والتجهيـز لمجهـود النقـل الجـوي الـذي أتـى معظمـه مـن مصر والأردن ثـم الإمـارات وقطـر وفرنسـا والولايـات المتحـدة، وقـد تنضـم دول أخـرى مسـتقبلًا. وقـد تـم الاتفـاق علـى أن يبـدأ الإسـقاط -ومعظمـه ليلـي- بالدخـول مـن فـوق البحـر المتوسـط إلـى المجـال الجـوي لشـمال قطـاع غـزة (أي مـن الغـرب إلـى الشـرق)، فـي اتجـاه مضـاد لاتجـاه الريـح السـائدة الشـمالية الشـرقية تقريبًـا، مـا يُحـدّ مـن الانتشـار الموسـع لعبـوات الطائـرة نتيجـة تضافـر مقاومـات ثلاث هـي: اندفـاع العبـوات بعـد الإسـقاط مباشـرة نتيجـة قصورهـا الذاتـي، ومقاومـة الريـح السـائدة عكـس اتجـاه الإسـقاط، وأخيـرًا تأثيـر الجاذبيـة الأرضيـة. علـى أن تخـرج الطائـرات مـن الجنـوب إلـى الشـمال بمحاذاة غـرب شـاطئ قطـاع غـزة مـع الأخـذ فـي الاعتبـار لـكل مـن: الارتفاعـات، وسـرعة الريـح وخصوصًـا الريـح السـطحية، وكذلـك حسـابات إحداثيـات نقطـة بـدء وزمـن الإسـقاط (GPS)، وحسـابات الطقـس ومتابعاتهـا، مـع التنسـيق بيـن أطقـم الطائـرات (طياريـن وملاحيـن وفنييـن) مـن جهـة، وأطقـم المـظلات للإعـداد والإسـقاط مـن جهـة أخـرى.

وقـد تـم الإعـداد وتجهيـز العبـوات وإعـداد المنزلقـات الأرضيـة للطائـرات بالأسـلوب الغربـي الأمريكـي؛ نظـرًا لتوحيـد نـوع الطائـرة "سـي- 130"، عـدا بعـض الطائـرات الأمريكيـة مـن طـراز "سـي- 17" علـى أن يتـم خـروج العبـوات فـي صـف إسـقاط واحـد أو صفيـن، مـع حسـاب العلاقـة بيـن حجـم ووزن العبـوات بمظلاتهـا.

2. تحديـات وصعوبـات مـا بعـد إسـقاط الطعـام علـى شـمال غـزة:

وتتضمـن تلـك التحديـات عـدم وجـود عناصـر بشـرية عربيـة أو أمريكيـة بمعداتهـا علـى الأرض للتجهيـز المسـبق لمنطقـة الإسـقاط لتسـهيل تمييزهـا نهـارًا أو لـيلًا، ومـن ثَـمَّ دخـول الطائـرات إليهـا، وعـدم وجـود محطـات أرصـاد أرضيـة خفيفـة خاصـة لمتابعـة ورصـد الريـاح السـطحية، كمـا لـم يتوفـر عنصـر بشـرى عربـي أو غـزاوي للمعاونـة فـي أعمـال التجميـع وفـك العبـوات وتصنيفهـا تمهيـدًا لتوزيعهـا، خاصـة مـع عـدم المعرفـة الدقيقـة بكيفيـة انتشـار بقايـا سـكان شـمال غـزة المسـتهدفين بالإمـداد داخـل بقايـا المناطـق السـكنية المتضررة، مقارنـة بالمناطـق المفتوحـة أو شـبه المفتوحـة والأكثـر مناسـبة للإسـقاط الجـوي.

3. تحديـات وصعوبـات تأميـن الطائـرات بطيئـة السـرعة:

تـم اسـتبعاد إمـداد قطـاع غـزة -ومـا شـابهه- بالمروحيـات (الهليكوبتـر) أساسًـا؛ نظـرًا لصعوبـة تأميـن الطائـرات بطيئـة السـرعة، رغـم سـهولة تحميلهـا وتفريغهـا فـي أقـرب مـكان مـن الهـدف دون الحاجـة إلـى أعمـال الإسـقاط، ممـا يجنـب صعوباتهـا الميدانيـة.

4. إمكانيـة الإمداد اللوجستي لقطاع غزة بحرًا:

رغـم سـهولة فكـرة إمـداد غـزة بـرًا عبـر أسـاطيل الشـاحنات المصريـة والصديقـة، مقارنـة بفكـرة الإمـداد الجـوي المسـقط والمحـدود أو البحـري المزمـع بواسـطة الولايـات المتحـدة، تبقـى العراقيـل الإسـرائيلية بدعـوى التفتيـش عائقًـا كبيـرًا يحـد مـن كميـة وسـرعة الإمـدادات الحيويـة إلـى غـزة، وخصوصًـا الطعـام ومياه الشـرب والأدويـة. كمـا أن ضعـف السـيطرة وترتيـب الأولويـات

النوعيـة والمكانيـة يجعـل الإمـدادات -التـي سُـمح بعبورهـا- تغطـي فقـط ثلثـي عمـق القطـاع، دون وصـول الشـاحنات إلـى الثلـث الشـمالي، حيـث تـم إمـداده جـوًا بالإسـقاط المظلـي.

كمـا أن ميناء غـزة البحـري لا يعـدو أن يكـون مرفـًا محـدودًا لأعمـال الصيـد. لذلـك، اقترحـت قبـرص الإمـداد البحـري مـن خلال ميناء لارناكا القبرصـي (210 ميـل بحـري مـن غـزة)، وهـو مـا يمكـن أن تنفـذه الولايـات المتحـدة بتكتيـكات الأرصفـة البحريـة العائمـة، حيـث شـرعت فـي بـدء إرسـال بعـض السـفن مـن ميناء فرجينيـا إلـى ميـاه وسـاحل قطـاع غـزة، وهـو مـا قـد يسـتغرق 60 يومًـا، وهـي مـدة طويلـة فـي ظـل الأوضـاع الإنسـانية المتدهـورة فـي قطـاع غـزة، ولا سـيما إن طالـت مـدة الحـرب. كمـا اقترحـت الولايـات المتحـدة بقـاء وتطويـر تلـك الأرصفـة البحريـة العائمـة لتكـون نـواة لمرفـق تجاري-بحـري.

5. المعوقات الإسرائيلية:

يجـب الوضـع فـي الاعتبـار المعوقـات والسـلوك الـذي سـبق أن مارسـته إسـرائيل، حيـث في أعقـاب اتفاقيـة أوسـلو علـى اختـلاف تداعياتهـا أجهضـت فكـرة بنـاء ميناء بحـري فـي غـزة، كمـا دمـرت مطـار ياسـر عرفـات جنـوب غـرب قطـاع غـزة (الـذي أُقيـم علـى أنقـاض مطـار بريطانـي خلال الحـرب العالميـة الثانيـة 1941، وبـدأ العمـل فـي نوفمبـر 1998). كمـا اسـتقبل المطـار ضمـن مـا اسـتقبل طائـرة الرئيـس الأمريكـي الأسـبق "بيـل كلينتـون"، قبـل أن توقـف إسـرائيل العمـل بـه عـام 2001، وقبـل أن يتـم تدميـره جزئيًـا عـام 2002 وكليًـا بتجريـف ممراتـه عـام 2006 لمنـع اسـتخدامه كليًـا بعـد وصـول حمـاس إلـى السـلطة فـي قطـاع غـزة؛ حيـث توقفـت المحادثـات الإسـرائيلية مـع السـلطة الفلسـطينية فـي هـذا الشـأن.

وختامًـا، قـدم المقـال فكـرة مختصـرة عـن بعـض فنـون وتكتيـكات قـوات المـظلات أو القـوات المنقولـة جـوًا، حيـث تختلـف تلـك التكتيـكات وأسـاليب الاسـتخدام طبقًـا للتقنيـات وفلسـفة الاسـتخدامات المتعـددة، سـواء بالإسـقاط باسـتخدام المـظلات أو الاقتحـام باسـتخدام المروحيـات. وقـد شـرح المقـال مثـال الإسـقاط المظلـي المصـري والصديـق لإمـداد شـمال قطـاع غـزة بعبـوات الإمـدادات الحرجـة كالطعـام والـدواء، حيـث لا تصـل الشـاحنات البريـة شمالًا؛ نظرًا للتعنـت الإسـرائيلي. كمـا تعـرض لإمكانيـة الإمـداد بحـرًا لقطـاع غـزة؛ نظـرًا لزيـادة طاقـة الإمـداد البحـري، طبقًـا لمقتـرح الولايـات المتحـدة، باسـتخدام موانـئ قبـرص والأرصفـة الأمريكيـة العائمـة، تمهيـدًا لتحويلهـا إلـى مرافـق بحريـة اقتصاديـة غزاويـة، بعـد فشـل المرفـق الغـزاوي الجـوي بعـد تدميـر إسـرائيل لمطـار غـزة خلال عـام 2006 وبعـد وصـول حمـاس إلـى حكـم القطـاع، وتوقـف الحـوار الإسـرائيلي مـع السـلطة الفلسـطينية.

تآكل الردع: لماذا تراجعت فاعلية الضربات العسكرية ضد الحوثيين؟

يرتبـط الـردع بالتلويـح باسـتخدام القـدرة التقليديـة لإيقـاع التأثيـر المطلـوب فـي الخصـم وتحقيـق أهـداف مطلوبـة ومحـددة عجـزت أدوات السياسـة الأخـرى عـن تحقيقهـا. وفـي هـذا الصـدد، يُعرفـه الجنـرال "أندريـه بوفـر" علـى أنـه "منـع دولـة معاديـة مـن اتخـاذ قـرار باسـتخدام أسـلحتها -أو بصـورة أعـم- منعهـا مـن العمـل أو الـرد إزاء موقـف معيـن باتخـاذ مجموعـة مـن التدابيـر والإجـراءات التـي تشـكل تهديـدًا كافيًـا حيالهـا، والنتيجـة التـي يـراد الحصـول عليهـا بواسـطة التهديـد هـي نتيجـة سـيكولوجية نفسـية [1]. وعليـه، يتضـح مـن هـذا التعريـف أن الـردع يُسـتخدم كسياسـة وكأسـلوب فـي العمـل الاسـتراتيجي. أمـا الـردع كسياسـة، فهـو ينصـرف إلـى نقـل موقـف معيـن أو نيـة مـا إلـى الخصـم مـن أجـل العـدول عـن فعـل يريـد المباشـرة بـه، ويتمثـل جوهـره فـي محاولـة صانعـي القـرار فـي دولـة مـا إجبـار صانعـي القـرار فـي أخـرى علـى التجـاوب مـع مطالبهـم [2].

د. رغدة البهي

رئيس وحدة الأمن السيبراني،

بالمركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية

وعلى الرغم من تعدد ممارساته في الواقع العملي من ناحية، ونجاحاته في كثير من الأحيان من ناحية أخرى، فإن تطبيقه في مواجهة أحد الفاعلين من غير الدول -على شاكلة الحوثيين في اليمن- يواجه تحديات جمة، يمكن معها الدفع بتآكل الردع.

أولًا: ردع الفاعلين من غير الدول

يعتمد الردع على ركنين أساسيين: أحدهما مادي والآخر معنوي؛ ففي حين ينطوي الأول على تأمين كل مقتضيات القدرة ومستلزماتها على إنزال العقاب على نحو لا يقبل الشك، يتضمن الثاني معنى سيكولوجيًا-نفسًيا غايته إيقاع التأثير النفسي في الخصم من خلال إقناعه بجدوى الانصياع للطرف الرادع. وبخلافه، فإن الخصم سيتلقى عقابًا لن يكون بمقدوره تحمل كلفته، وامتناع الخصم عن المباشرة بالعمل هو في الواقع متأتى من نتيجة إدراكه بكلفة المخاطر التي قد يتعرض لها، وبذلك ينطوي الردع على عملية حسابية أو موازنة عقلانية تقارن بين المغانم التي يمكن الحصول عليها أو المنافع التي يمكن جنيها، والخسائر التي يتوجب دفعها أو تحملها من جرّاء الإقدام على عمل لا يكون موضع رضا أو قبول من قبل الطرف الرادع. فالردع هو أولًا وقبل كل شيء فعل يستهدف عقل الخصم وليس فعله، حيث ينتج التأثير على إدراكه امتناعًا عما ينوي القيام به. ويكون التهديد باستخدام القوة جزءًا متممًا ولا غنى عنه لإيقاع التأثير المرغوب في الخصم [3].

وهناك من يعرف الردع بأنه: "منع جهة أو طرف من القيام بعمل أو سلوك عن طريق التهديد". وعلى الرغم من أن هذا التعريف يحدد الردع بامتلاك الإمكانات المادية بغية التحكم في الآخرين وفرض إرادته عليهم (أي استخدام دبلوماسية القوة)، فإنه لم يُشر إلى وسائل التهديد التي يمكن أن تكون معنوية، مع وجوب التركيز على أن التهديد لغة تتطلب من الرادع والمرتدع أن يفهما بعضهما بعضًا من خلال "الإدراك" الذي يُعد مسئولية ثنائية تؤمن من خلال إيصالات مباشرة وغير مباشرة لفهم الرسائل الرادعة.

وعليه، يمكن القول إن أدوات الردع عديدة ومختلفة وتتراوح بين الإيحاء أو إفهام الطرف الآخر بعدم الرضا عن موقف أو نشاط معين مصحوبًا بإمكانية التحرك لوقفه بالركون إلى ما يمتلكه الطرف الأول من قدرات مادية ومعنوية تتيح له عرض القوة أو التلويح باستخدامها لإيقاع أقصى تأثير نفسي يضع الطرف الذي يراد ردعه في موقف يضطر معه إلى الامتناع عن القيام بفعل ما. وهذا يعني أن الردع لا يُشترط فيه أن يعتمد على القوة العسكرية فحسب. وهو علاقة تنشأ بين طرفين لدرء مخاطر الحرب المحتملة بالمحافظة على القوات والأسلحة بمستوى تأهب كمي ونوعي، وبشكل قادر على إقناع الخصم بأن تكلفته ستفوق أي مكاسب يطمح إلى تحقيقها. وهو ذات المعنى الذي يذهب إليه من يعرّف الردع على أنه "منع الأطراف من اللجوء إلى القوة لتحقيق أغراضها، أو هو فن عدم استخدام القوة على الرغم من اتخاذ القرار باستخدام أسلحتها أو منعها من الإقدام على الفعل أو رد الفعل إزاء موقف معين" [4]. ومما سبق، يمكن القول إن القدرة المادية ليست بالكافية على الرغم من أهميتها الحاسمة، إذ تزداد أهمية الجوانب النفسية التي تؤثر في الطرف الآخر، وتحمل درجة عالية من المصداقية التي تدفعه إلى الاستجابة [5].

كما يمكن القول إن الردع يفترض أن الدولة هي فاعل عقلاني يستعين بحسابات المكسب والخسارة فيما يخوضه من صراعات؛ فإن كانت الخسائر المتكبدة أكبر من المكاسب المتوقعة، سترتدع الدول عن الإقدام على خطوات عدوانية في مواجهة خصومها. وبذلك، تجد نظرية الردع جذورها في نظريات الاختيار العقلاني ونماذج اللعبة النظرية لصنع القرار؛ إذ تفترض أن قادة الدولة يقارنون بين الفائدة المرجوة من استخدام القوة العسكرية والخسائر المتكبدة من ورائها. ومن ثَمّ، يقع اختيارهم على ما يُعظّم منفعتهم العامة. وتركز نظرية الردع العقلاني على الكيفية التي تقلل بها التهديدات العسكرية من الفوائد المتوقعة لاستخدام القوة بإقناع المهاجم بأن نتيجة المواجهة العسكرية ستكون مكلفة وغير ناجحة [6].

أو بعبارة أخرى، تفترض نظريات الاختيار العقلاني أن الهدف الأساسي هو تعظيم الفائدة المتوقعة، ولكن منظري الاختيار العقلاني يدركون أن الفائدة يمكن أن تختلف من فاعل إلى آخر. وقد يدرك فاعل ما المخاطر المتوقعة ورغم ذلك يُقدِم على الفعل الذي يرغبه. وانطلاقًا من هذا، تتأسس نظرية الردع على نظريات الاختيار العقلاني التي يمكن في إطارها التنبؤ بالسلوك الاستراتيجي العقلاني [7]. كما تفترض النظرية أن الردع يعمل بين الدول القومية لكونها الفاعل الرئيس في العلاقات الدولية، ويُفترض كونها كيانات عقلانية بيروقراطية تحتكر الاستخدام العسكري للقوة، وهي كيانات شرعية يمكنها أن تشن الحرب، وتوقع اتفاقات دولية، وتتخذ قرارات عقلانية لحماية مصالحها القومية [8].

ولكن.. ماذا عن الفاعلين من غير الدول؟ وماذا عن الدول الفاشلة التي لا تتبع النموذج العقلاني الرشيد في صناعة قراراتها؟ هل تنطبق نظرية الردع على الفاعلين من غير الدول ممن يلجأون لاستخدام العنف؟ وهل يمكن أن ينجح الردع في مواجهة الإرهاب التقليدي؟ ولماذا ظهر الردع كاستراتيجية بارزة في مواجهة الإرهاب؟ وهل يُسفر استخدام القوة العسكرية لردع تلك التهديدات عن ظهور تهديدات جديدة من الإرهاب العالمي؟ وهل يمكن اختراق الصناديق السوداء لهؤلاء الفاعلين لمعرفة أطرهم المرجعية وكيفية صنع القرار والعدسة التي ينظرون من خلالها للرسائل الرادعة؟.

عدد من الأسئلة السابقة لها إجابات عنها في البحوث التي أجريت مُؤخرًا على ردع الفاعلين من غير الدول [9]، ويجدر القول إنه لا يوجد اتفاق بين الأدبيات على فعالية الردع في مواجهتهم؛ ففي حين يرى أحد الاتجاهات أن الردع يمكن تطبيقه على هؤلاء الفاعلين، يُشكك اتجاه ثاني وأخير في إمكانية ذلك. وإن انقسم الاتجاه الأول في نفسه بين ثلاثة اتجاهات فرعية، يمكن النظر لكل منها بوصفه اقتراب لكيفية تطبيق الردع. إذ ينادي أولها: بالردع غير المباشر، أي بالضغط على أطراف ثالثة تدعم الإرهاب بدلًا من ردع الإرهابيين أنفسهم. ويُطالب ثانيها: بالعودة إلى مفهوم الردع بالإنكار. ويدعو ثالثها: إلى توسع مفهوم الردع واستكشاف مصادر جديدة للردع غير العسكري مثل الردع من خلال نزع الشرعية [10].

وفي إطار الاتجاه الرئيسي الثاني، تشير الأدبيات إلى افتقار نظرية الردع للوضوح بشأن طبيعة الفاعلين والحالات التي يُمكن أن تنطبق عليها. إذ تبدأ النظرية بافتراض الصراع بين طرفين، وأن أحدهما يسعى إلى اتخاذ إجراءات غير مواتية للآخر. وباستثناء تلك الافتراضات الأساسية، لا تقدم النظرية إلا القليل فيما يتعلق بتطبيقاتها، وتترك صناع السياسة غير متأكدين من استراتيجيات الردع المناسبة [11].

ثانيًا: ردع الحوثيين.. تراجع الفاعلية

يصعب ردع الفاعلين من غير الدول لصعوبة التأثير في إرادتهم، لأنهم على استعداد للتضحية بأرواحهم -في بعض الحالات- لتنفيذ أهدافهم، متأثرين في ذلك بعمليات تعبئة ممنهجة وتوجهات أيديولوجية يصعب التأثير فيها. فما هي طبيعة الخسائر غير المحتملة التي يمكن أن تردعهم بما في ذلك التنظيمات الإرهابية أو الذئاب المنفردة أو الأرامل السوداء؟ فإن كانت التضحية بأرواحهم خسائر مقبولة ولا بأس بها في سبيل تحقيق أهدافهم، فلن يكون هناك ما يردعهم، فلا يتمتع شيء بقيمة أكبر من الأرواح والأنفس.

وتأسيسًا على ذلك، تبنت الولايات المتحدة إجراءات تصعيدية متعددة الأبعاد تجاه الحوثيين؛ لتجمع بين البعدين العسكري والسياسي. فعلى صعيد أولهما؛ تقود الولايات المتحدة بمشاركة كل من بريطانيا وأستراليا والبحرين وكندا وهولندا تحالف "حارس الازدهار" الدولي، كما بدأت الولايات المتحدة منذ 12 يناير 2024 في تبني سياسة "الضربات المحدودة" تجاه الحوثيين، متمثلة في تنفيذ عمليات محددة الأهداف قليلة التكلفة ضدهم. وعلى صعيد ثانيهما؛ أعادت إدارة الرئيس الأمريكي "جو بايدن" في 17 يناير 2024 تصنيف الحوثيين كتنظيم إرهابي للضغط عليهم، وصولًا إلى وقف التصعيد الحالي من قبلهم في منطقة البحر الأحمر [12].

وعمومًا، فإن "حارس الازدهار" هو أحد أشكال القوات البحرية المشتركة متعددة الجنسيات، بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية والقوة 153 التابعة لها، وتعمل في مجال مكافحة النشاطات غير المشروعة في البحر الأحمر والقرصنة وتجارة المخدرات وتأمين حركة الملاحة. ويتمثل هدفها الأساسي في تدمير القدرات العسكرية للحوثيين في اليمن بغرض حماية الملاحة في البحر الأحمر، وذلك بعد أن نفذ الحوثيون أكثر من ثلاثين هجومًا على سفن دولية وتجارية في المنطقة منذ منتصف نوفمبر 2023، دون أن يلوح في الأفق أي مؤشر على انتهاء تلك الهجمات، وإن أصر الجانب الأمريكي على تنفيذ أهداف التحالف باتخاذ مزيد من الإجراءات لتحييد التهديدات، والرد على الهجمات، وضمان استقرار وأمن منطقة البحر الأحمر، وتأمين طرق التجارة الدولية [13]. ويمكن القول إن الهدف الأساسي من هذا التحالف هو التأسيس لوجود أمريكي دائم في المنطقة، وبخاصة في ظل التنافس الدولي المحتدم على تعزيز الحضور في تلك المنطقة الاستراتيجية المهمة، بجانب إظهار ردود أفعال حاسمة على هجمات الحوثيين، بما يضمن تقليل الضرر الناجم عنها، ومنع تجاوز الخطوط الحمراء الأمريكية، متمثلة في التأثير على حركة التجارة الدولية. ومن ثَمّ، يتركز نشاط "حارس الازدهار" في الجزء الجنوبي من البحر الأحمر ومضيق باب المندب وخليج عدن، حيث المناطق المتاخمة لمواضع الهجمات الحوثية [14].

والجدير بالذكر أنه قبل الضربات الأخيرة، التي نفذتها الولايات المتحدة وبريطانيا على مواقع تقع تحت سيطرة الحوثيين، حاولت الجهود الدبلوماسية الدولية تهدئة الوضع في البحر الأحمر، لكنها قوبلت برفض الحوثيين الذين يسيطرون على المناطق الأكثر اكتظاظًا بالسكان في اليمن. وتأتي هجماتهم تضامنًا مع الفلسطينيين، فيستهدفون أي سفينة ضمن نطاق حدود اليمن البحرية الإقليمية، مما يعرض أفراد طواقم هذه السفن والبضائع للخطر. وقبل الضربات الأخيرة أيضًا، أظهر الحوثيون قدرتهم على مواجهة الجيش السعودي بفضل الدعم الإيراني الذي حول الحوثيين من جماعة صغيرة إلى قوة قتالية مدربة ومزودة بمعدات حديثة، بما في ذلك المروحيات والصواريخ والطائرات المُسيَّرة [15].

وعمومًا، تمكنت الولايات المتحدة من شن سلسلة من الضربات الجوية المشتركة ضد أهداف الحوثيين في اليمن، كان منها موقع تخزين تحت الأرض وصواريخ للحوثيين ومنشآت مراقبة. وقد شاركت طائرات مقاتلة أمريكية من حاملة الطائرات "يو إس إس أيزنهاور" في بعض الضربات. كما انضمت أربع طائرات "تايفون" تابعة لسلاح الجو الملكي البريطاني، يدعمها زوج من ناقلات "فوييجر"، إلى القوات الأمريكية، وقد استخدمت قنابل بافيواي 4 الموجهة بدقة لضرب أهداف متعددة في موقعين عسكريين بالقرب من مطار صنعاء. وبموجب عملية "بوسيدون آرتشر" التي سمُيت حديثًا، أصابت الضربات التي تقودها الولايات المتحدة أهدافًا جديدة، بعد أن نفذت في السابق عددًا من الضربات الوقائية على مواقع إطلاق الحوثيين. وقد دمرت هذه الهجمات الصواريخ بينما كانت تستعد للإطلاق. وقدرت بعض التقديرات أن ما لا يقل عن 30% من مخزونات الصواريخ الحوثية قد دمرت أو أصيبت [16].

ورغم ذلك، فإن الإجراءات الأمريكية تفتقر للفعالية بالنظر إلى جملة من الأسباب منها أن استهداف مخازن الذخيرة والبنية العسكرية للحوثيين لن يؤثر في إمداداتهم العسكرية في ظل اعتمادهم على الأسلحة الإيرانية المهربة من ناحية، وتعدد مصادر تمويلهم بما في ذلك الجبايات والضرائب المحلية التي تُستخدم بدورها في شراء الأسلحة من ناحية ثانية، وقدرتها على امتلاك أسلحة محلية الصنع من ناحية ثالثة. وهو ما يعني أن الحوثيين الذين يتلقون الدعم والتدريب والمشورة والسلاح من إيران عازمون على مواصلة هجماتهم على السفن التي يشتبهون في ارتباطها بإسرائيل أو الولايات المتحدة أو المملكة المتحدة دون أي علامات للتراجع.

وهو ما يعني بدوره أن تحليل المكسب والخسارة ونموذج الفاعل العقلاني والسعي لتعظيم المكاسب والحد من الخسائر المتكبدة الذي بني عليه جوهر الردع لا يمكن أن ينطبق على الحوثيين. فالكيفية التي يُفكرون بها، ويتخذون بها القرارات، ويدركون بها المخاطر، ويحددون بها الأهداف، لا تعدو كونها صناديق سوداء يصعب اختراقها، والمتحكم الأول فيها هو إيران. وعليه، فإن الاستخدام المكثف للقوة العسكرية -على الرغم من أهميته- يقف عاجزًا أمامهم، ومما يُدلل على ذلك الحرب السعودية ضدهم، والتي استمرت لما يزيد على ثماني سنوات؛ فتحولت إلى حرب طويلة الأمد. وعادة ما تقف الجيوش النظامية عاجزة أمام حروب العصابات والطبيعة الجبلية الوعرة، وتوظيف وسائل التواصل الاجتماعي، والتقدم التكنولوجي الذي يتسم به كثير من الفاعلين من غير الدول في الوقت الراهن.

وعمومًا، يقتضي الردع القدرة على إرسال رسالة رادعة أو على الأقل إظهارها، ومن ثَمّ التواصل الفعال بين الرادع والمرتدع لإيضاح الخطوط التي لا يجب تجاوزها، وهو الأمر الذي لا يمكن أن ينطبق على الحوثيين، فقد أوضحوا بطرق شتى كيف أن الضربات العسكرية لم تثنهم عن استهداف حركة الملاحة في البحر الأحمر، بل وتوعد زعيم الحوثيين "عبد الملك الحوثي" بتوسيع نطاق الهجمات ضد السفن الإسرائيلية والأخرى المرتبطة بإسرائيل في طريق رأس الرجاء الصالح، كما أكد أن عمليات الحوثيين التي تستهدف منذ أشهر السفن في البحر الأحمر وباب المندب وبحر العرب -دعمًا للفلسطينيين في قطاع غزة- ستتواصل. وعلى الجانب الأمريكي، تعددت التصريحات التي أكدت تراجع فعالية الضربات العسكرية ضد الحوثيين. ومن بين تلك التصريحات، أكد قائد الأسطول الخامس للبحرية الأميركية اللواء "جورج ويكوف" أن الحوثيين لم تردعهم بعد حملة الضربات التي تقودها الولايات المتحدة وتهدف إلى تدمير قدراتهم، ولا يزالون يواصلون مهاجمة السفن التجارية الدولية، وهو ما يؤكد أن الولايات المتحدة قد تلجأ إلى خيارات دبلوماسية للضغط عليهم، وصولًا إلى وقف هجماتهم على سفن الشحن التجارية الدولية. فعلى الرغم من إسقاط العشرات من المُسيَّرات الحوثية والصواريخ المضادة للسفن، فإن الهجمات العسكرية لم تردعهم أو توقف هجماتهم.

ختامًـــــا، يمكن الدفع بأن السبب الرئيس في تراجع قدرة الضربات العسكرية على ردع الحوثيين في زيادة الآمال المعقودة على القوة العسكرية، والتي تتراجع فعاليتها في كثير من الحالات، وبخاصة مع توظيفها في الوقت الذي تتعامل فيه الولايات المتحدة مع مختلف ملفات المنطقة بشكل مجزأ؛ بمعنى التعامل مع كل حالة من حالات التصعيد الراهنة بشكل منفصل، وكأن ما يحدث في اليمن أو حتى في لبنان ينفصل عن الحرب الجارية في قطاع غزة، دون إدراك أن وقف إطلاق النار والحرب وحل الدولتين هو مفتاح الاستقرار في المنطقة.

المصـــــــادر

1. أندريه بوفر، الردع والاستراتيجية، ترجمة: أكرم ديري (بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 1970) ص. 31.
2. Walter J. Petersen, Deterrence and Compellence a Critical Assessment of Conventional Wisdom, International Studies Quarterly, Vol. 30, No. 3, 1986, pp. 269-294.
3. إسماعيل صبري مقلد، الاستراتيجية والسياسة الدولية: المفاهيم والحقائق الأساسية (بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، 1985) ص. 181.
4. أمين حامد هويدي، الصراع العربي الإسرائيلي بين الرادع التقليدي والرادع النووي (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1987) ص. 32.
5. سوسن العساف، استراتيجية الردع العقيدة العسكرية الأمريكية الجديدة والاستقرار الدولي (بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2008) ص ص. 35-34.
6. Paul K. Huth, Deterrence and International Conflict: Empirical Findings and Theoretical Debates, Annual Review of Political Science, Vol. 2, No. 1, 1999, pp. 27-28.
7. Richard Ned Lebow & Janice Gross Stein, Rational Deterrence Theory: I Think, Therefore I Deter. World Politics, Vol. 41, No. 2, 1989, p. 210.
8. إسماعيل صبري مقلد، العلاقات السياسية الدولية دراسة في الأصول والنظريات، الطبعة الرابعة (القاهرة: المكتبة الأكاديمية، 2010) ص ص. 515-514.
9. Paul C. Telleen, Deterrence and Nuclear Terrorism, Submitted to the Faculty of The School of International Service of American University in Partial Fulfillment of The Requirements for The Degree of Master of Arts in International Affairs, 2008, https://search.proquest.com/docview/304684671/previewPDF/F78FC17620D04486PQ/1?accountid=37552
10. Jeffrey W. Knopf, Terrorism and the Fourth Wave in Deterrence Research. In: Andreas Wenger & Alex Wilner. (Eds.). Deterring Terrorism Theory and Practice (United States: Stanford University Press, 2012), pp. 21-33.
11. Alexander L. George and Richard Smoke. Alexander L. George & Richard Smoke, Deterrence in American Foreign Policy: Theory and Practice (New York: Columbia University Press, 1989) p. 181.
12. محمد فوزي، هل استعادت الولايات المتحدة الردع المفقود تجاه الحوثيين؟، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، يناير 2024، متاح على: https://acpss.ahram.org.eg/News/21111.aspx
13. سيلين غيريت وكيت فوربس، هل يجرُ الحوثيون الولايات المتحدة وحلفاءها إلى حرب لا يمكنهم الانتصار فيها؟، بي بي سي، 28 يناير 2024، متاح على: https://www.bbc.com/arabic/articles/cnenxmxen8xo
14. محمد فوزي، مرجع سبق ذكره.
15. سيلين غيريت وكيت فوربس، مرجع سبق ذكره.
16. الولايات المتحدة وبريطانيا تشنان هجمات هي الثامنة من نوعها على الحوثيين في اليمن، بي بي سي، 23 يناير 2024، متاح على: https://www.bbc.com/arabic/articles/cq5xrqlvewno

«عسكرة التفاعلات»: التواجد العسكري البحري للقوى الكبرى في البحر الأحمر

دخلت جبهة البحر الأحمر -بشكل تدريجي- على خط التصعيد الذي شهدته منطقة الشرق الأوسط، على خلفية العمليات العسكرية الإسرائيلية على قطاع غزة، في أعقاب عملية "طوفان الأقصى" في السابع من أكتوبر 2023. وعلى الرغم من كون التصعيد في منطقة البحر الأحمر خضع لمبادئ "التدرج في التصعيد"، وتبني أنماط محسوبة من العمليات في بادئ الأمر، إلا أنه تحول حاليًا إلى أحد أخطر الجبهات التصعيدية الموجودة في المنطقة، سواءً على مستوى طبيعة وأنماط التفاعلات الموجودة به والتي غلب عليها "العسكرة"، أو على مستوى تداعياته والتي امتدت لتشمل التأثير على عمليات التجارة العالمية، بل والبنى التحتية في المنطقة. في هذا السياق، تحاول هذه الورقة الوقوف على الملامح الرئيسة للبيئة الأمنية في البحر الأحمر على خلفية هذا التصعيد، والمؤشرات الرئيسية التي تُنذر باحتمالية تفاقم الأوضاع، جنبًا إلى جنب مع الوقوف على المحددات التي تحكم تحركات الأطراف المختلفة المنخرطة في هذا التصعيد، وإشكالات التعامل الغربي مع التصعيد الحوثي في المنطقة.

أ. محمد فوزي

باحث بالمركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية

أولًا: مؤشرات التصعيد

اتخذ مسار التصعيد في منطقة البحر الأحمر طابعًا تدريجيًا، بدأ عبر الانخراط الحوثي في تداعيات الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة، وبات أحد أبرز التحديات التي تواجهها منطقة الشرق الأوسط في الوقت الراهن. وبشكل عام، يمكن تناول المحطات الرئيسة لهذا التصعيد على النحو التالي:

1. **انخراط تدريجي للحوثيين:** بدأ التصعيد الحوثي بعد ثلاثة أيام فقط من اندلاع العمليات العسكرية الإسرائيلية ضد قطاع غزة، في أعقاب عملية "طوفان الأقصى"، وذلك عندما هدد زعيم حركة أنصار الله (الحوثيين) عبد الملك الحوثي، في 10 من الشهر نفسه، بإطلاق صواريخ وطائرات مُسيَّرة باتجاه إسرائيل [1]. وقد ربط هذا التهديد والتصعيد الحوثي بمدى وطبيعة العمليات الإسرائيلية في غزة، فضلًا عن انخراط الولايات المتحدة بشكل عسكري في دعم إسرائيل. ومنذ ذلك الحين، بدأ الحوثيون بالفعل في تنفيذ بعض الهجمات التي استهدفت إسرائيل عبر طائرات مُسيَّرة وصواريخ بعيدة المدى.

ويمكن القول إن الحوثيين بدأوا بالفعل، منذ 19 أكتوبر 2023، في الانتقال من دائرة "التحذير المشروط" إلى دائرة الانخراط في التصعيد الذي تشهده المنطقة، فقد أطلقوا 5 صواريخ كروز تسلموها من إيران، كما أطلقوا أيضًا نحو 30 طائرة من دون طيار في اتجاه إسرائيل [2]. وفي 19 نوفمبر 2023، بدأوا في استهداف الملاحة البحرية في البحر الأحمر خصوصًا السفن المتجهة من وإلى إسرائيل [3]، الأمر الذي أتبعه تحولات استراتيجية كبرى في البيئة الأمنية لمنطقة البحر الأحمر، خصوصًا مع استمرار هجماتهم التي تُقدر بالعشرات.

2. **تحولات مهمة في مسار التصعيد الحوثي:** على الرغم من التركيز الحوثي الواضح على استهداف الملاحة البحرية، إلا أن مسار هذا التصعيد و"بنك أهدافه" آخذ في الاتساع، وهو الأمر الذي يمكن الاستدلال عليه في ضوء بعض المؤشرات والمتغيرات المهمة؛ أولها، ما تم الإعلان عنه في 29 فبراير 2024 من تعرض أربع كابلات إنترنت بحرية من الكابلات الرئيسة التي تربط قارتي أوروبا وآسيا قبالة سواحل اليمن على البحر الأحمر لأضرار مساء 26 فبراير 2024، وهي: (TGN-EA)،(Seacom)[4]،(AAE-1)،(EIG).

ولقد ذكرت مصادر إسرائيلية أن الحوثيين هم من استهدفوا تلك الكابلات، وبخاصة أن تهديدات سابقة قد صدرت عن أذرع إعلامية لهم على وسائل التواصل الاجتماعي تلوح باستهدافها في إطار التصعيد الجاري في البحر الأحمر جرَّاء استمرار العدوان الإسرائيلي على غزة.

ويرتبط ثانيها بإعلان زعيمهم في 22 فبراير 2024 أن الحوثيين سيتجهون إلى تصعيد هجماتهم في مقابل التصعيد الإسرائيلي في غزة، معلنًا "دخول سلاح الغواصات في إطار هذا التصعيد الجاري" [5]. أما ثالثها فتمثل في إعلان "الحوثي" في 14 مارس 2024 عن منع عبور السفن ذات الصلة بإسرائيل من المحيط الهندي نحو طريق رأس الرجاء الصالح [6]. وهي المؤشرات التي عبرت من جانب عن طبيعة الأسلحة المستخدمة من جانبهم وطبيعة أهدافهم المستهدفة، ومن جانب آخر عن اتساع الحيز الجغرافي للتصعيد الحوثي.

ثانيًا: اتجاهات "عسكرة" البحر الأحمر

جنحت القوى الكبرى في تعاملها مع التطورات التي تشهدها منطقة البحر الأحمر إلى التعامل معها من منظور عسكري/أمني، سواءً من خلال تعزيز وجودها العسكري في الممر الاستراتيجي المهم، أو من خلال الاعتماد على آلية خلق تحالفات وهياكل أمنية جديدة، تضمن ردع التحركات الحوثية من جانب، وتأمين سلاسل الإمداد وحركة التجارة عبر البحر الأحمر من جانب آخر. وقد تجسد هذا النمط المهم من التعامل مع تطورات البحر الأحمر في جملة من المؤشرات الرئيسة التي **يمكن تحليلها على النحو التالي:**

- **تأسيس تحالف "حارس الازدهار":** أعلنت الولايات المتحدة في 19 ديسمبر 2023، عن تأسيس تحالف "حارس الازدهار". وقد أعلن البنتاجون في 21 ديسمبر 2023 عن موافقة أكثر من 20 دولة على المشاركة فيه، منها بريطانيا وكندا وفرنسا وإيطاليا وهولندا والنرويج وإسبانيا والبحرين وسيشل واليونان وأستراليا، إضافة إلى الولايات المتحدة، في حين فضلت دول أخرى عدم الكشف عن مشاركتها. وينضوي هذا التحالف تحت مظلة "القوات البحرية المشتركة" متعددة الجنسيات بقيادة الولايات المتحدة، و"القوة 153" التابعة لها، والتي تعمل في مجالات: مكافحة النشاطات غير المشروعة في البحر الأحمر والقرصنة وتجارة المخدرات، وتأمين حرية الملاحة. وقد تشكل التحالف بهدف تأمين الملاحة في المنطقة وحماية السفن التجارية التي تعبره من هجمات الحوثي على وجه الخصوص [7].

وجنبًا إلى جنب مع تركيز هذا التحالف على التعامل في إطار "رد الفعل" مع هجمات الحوثيين في منطقة البحر الأحمر، وهو ما تجسد بشكل واضح في نفي واشنطن أكثر من مرة انخراطه في الهجمات ضد الحوثيين في اليمن، تحركت واشنطن في إطار تنفيذ هجمات استباقية ضد الحوثيين في المناطق الخاضعة لسيطرتهم باليمن، وذلك منذ 12 يناير 2024. وقد نفذت واشنطن عشرات الهجمات الاستباقية تجاه الحوثيين، وإن كانت هجمات 12 يناير هي الأهم على مستوى التصعيد العملياتي الأمريكي ضد الحوثيين؛ حيث نفذت واشنطن، إلى جانب بريطانيا، هجمات استباقية ضد مواقع الحوثيين في خمس محافظات يمنية، هي: صنعاء، والحديدة، وتعز، وصعدة، وحجة. وقد كان الملاحظ بخصوص تلك العمليات أنها ركزت من جانب على استهداف مراكز

تصنيـع مُسيَّرات ومخـازن أسـلحة، إضافـة لأنظمـة الـرادار والدفـاع الجـوي ومواقـع التخزيـن والإطلاق للهجـوم أحـادي الاتجـاه علـى الأنظمـة الجويـة بـدون طيـار وصواريـخ كـروز والصواريـخ الباليسـتية، مـا يعنـي أن العمليـات ركـزت فعليًـا علـى اسـتهداف القـدرات العسـكرية للحوثييـن. كمـا كان مـن الملاحـظ أن تلـك الهجمـات رغـم كثافتهـا لـم تخلـف سـوى خسـائر قليلـة نسـبيًا، وهـو الأمـر الـذي عكـس حـرص الولايـات المتحـدة علـى إيصـال رسـائل مفادهـا قدرتهـا علـى اسـتهداف القـدرات القتاليـة والعسـكرية للحوثييـن، وحرصهـا علـى تقليـل أضرارهـا وعـدم التسـبب فـي رد فعـل يفاقـم التصعيـد فـي البحـر الأحمـر.

- **تدشـين "قـوة أسـبيدس" الأوروبيـة:** أعلـن الاتحـاد الأوروبـي فـي 19 فبرايـر 2024 عـن تأسـيس قـوة بحريـة جديـدة بهـدف حمايـة الملاحـة فـي البحـر الأحمـر، وذلـك تحـت اسـم "قـوة أسـبيدس" الـذي يعـود إلـى كلمـة يونانيـة قديمـة تعنـي الـدرع أو الحمايـة. ووفقًـا للاتحـاد الأوروبـي، سـتبلغ ميزانيـة تلـك المهمـة نحـو 8 ملاييـن يـورو؛ توفرهـا خزانـة الاتحـاد الأوروبـي. وفـي المرحلـة المقبلـة، سـتُوضع خطـة عمليـات وقواعـد اشـتباك، وتُشـكّل القوتـان البحريـة والجويـة اللتـان سـتتوليان مهمـة تسـيير الدوريـات فـي ميـاه البحـر الأحمـر. ولقـد أشـار الاتحـاد الأوروبـي إلـى أن القـوة الجديـدة سـتكون نشـطة علـى طـول خطـوط الاتصـال البحريـة الرئيسـة فـي مضيقـي بـاب المنـدب وهرمـز، وكذلـك الميـاه الدوليـة فـي البحـر الأحمـر وخليـج عـدن وبحـر العـرب وخليـج عمـان والخليـج، وسـيكون قائـد العمليـة هـو العميـد البحـري "فاسـيليوس جريباريـس"، وسـيكون قائـد القـوة هـو الأدميـرال "سـتيفانو كوسـتانتينو"، علـى أن يكـون مقـر العمليـة فـي لاريسـا باليونـان [8].

ويبـدو أن هـذا التحـرك الأوروبـي كان محكومًـا بجملـة مـن المحـددات الرئيسـية؛ **أولهـا**: نظـر العواصـم الأوروبيـة إلـى التصعيـد الحوثـي فـي منطقـة البحـر الأحمـر علـى أنـه يمثـل تهديـدًا اسـتراتيجيًا خصوصًـا فـي ضـوء تأثيراتـه علـى حركـة الملاحـة البحريـة والتجاريـة فـي هـذا الممـر البحـري الاسـتراتيجي. **وثانيهـا**: التركيـز علـى هـدف تأميـن اسـتقرار الممـرات الملاحيـة خصوصًـا فـي ضـوء المقاربـة الأوروبيـة الجديـدة لخلـق بدائـل للغـاز الروسـي، ومـن هنـا أصبـح أمـن الطاقـة الأوروبـي مرتبطًـا بشـكل كبيـر باسـتقرار الممـرات المائيـة الحيويـة، وفـي القلـب منهـا البحـر الأحمـر، **وثالثهـا**: تبنـي تحـركات فاعلـة لـردع الحوثييـن وحمايـة الملاحـة البحريـة دون التسـبب فـي اتسـاع رقعـة الصـراع، ومـن هنـا يمكـن فهـم الطابـع "الدفاعـي والتأمينـي" لهـذه القـوة الأوروبيـة الجديـدة. **ورابعهـا**: أن الحسـابات الأوروبيـة لا تقتصـر علـى حـدود التعامـل مـع تطـورات اللحظـة الراهنـة ومـا تشـهده مـن تحديـات أمنيـة فـي المنطقـة، وإنمـا تمتـد لتشـمل الوجـود الدائـم فـي المنطقـة، بمـا يضمـن تعزيـز الأمـن البحـري، وتشـكيل مـظلات أوسـع للتعـاون مـع دول المنطقـة.

- **إرسـال الأسـطول الـ 46 الصينـي للبحـر الأحمـر:** أكـدت وكالـة الأنبـاء الصينيـة، فـي تقريـر لهـا بتاريـخ 24 فبرايـر 2024، إبحـار أسـطول عسـكري مـن ميناء فـي مدينـة تشـانجيانغ السـاحلية بمقاطعـة قوانغدونغ بجنـوب الصيـن، لتولـي مهمـة مرافقـة الأسـطول البحـري الـ45 فـي خليـج عـدن والميـاه الواقعـة قبالـة سـواحل الصومـال [9]، ووفقًـا لوكالـة الأنبـاء الصينيـة، يتكـون ذلـك الأسـطول مـن مدمـرة الصواريـخ الموجهـة "جياوتسـوه" وفرقاطـة الصواريـخ "شيويتشـانغ" وسـفينة الإمـداد الشـامل "هونغهـو"، كمـا يضـمُّ أكثـرَ مـن 700 ضابـط وجنـدي، مـن بينهـم عشـرات مـن أفـراد القـوات الخاصـة، إلـى جانـب وجـود مروحيتيـن علـى متنـه.

ويمكـن القـول إن تعزيـز الوجـود العسـكري الصيني في البحر الأحمـر -على النحو الـذي تقدم- يمثـل نقطـة تحـول في المقاربـة الصينيـة للتعامـل مـع التطـورات التـي تشـهدها البيئـة الأمنيـة للبحـر الأحمـر، مـن تبنـي نهـج "الدبلوماسـية المكثفـة" إلـى تعزيـز الحضـور العسـكري. ويمكـن تفسـير هـذا التحـول فـي المقاربـة الصينيـة فـي ضـوء جملـة مـن المحـددات الرئيسـة؛ **أولهـا**: تأثـر الصيـن بشـكل مباشـر بالتوتـرات فـي المنطقـة. وقـد كان السـفير الصينـي لـدى اليمـن "شـاو تشـنغ" قـد أكـد هـذا فـي تصريحـات صحفيـة أدلـى بهـا يـوم 22 فبرايـر 2024 فـي الريـاض، حيـث أكـد أن بلاده تأثـرت بعمليـات الحوثييـن المتصاعـدة فـي البحـر الأحمـر[10]. **وثانيهـا**: عـدم رضـاء الصيـن عـن ممارسـات الحوثييـن، حتـى وإن لـم يـرق الموقـف الصينـي إلـى حـد القطيعـة معهـم أو المواجهـة مـع إيـران علـى إثـره. وثالثهـا: أن الصيـن تُـدرك أن المخاطـر الأمنيـة المتزايـدة فـي البحـر الأحمـر يمكـن أن تـؤدي إلى تعطيـل طـرق التجـارة الحيويـة بالنسـبة لهـا، وبخاصـة فيمـا يتعلـق بتأخيـر وصـول الشـحنات، وارتفـاع تكاليـف الشـحن؛ نظـرًا إلـى توجـه أغلـب السـفن التجاريـة نحـو الإبحـار عـن طريـق رأس الرجـاء الصالـح؛ لتجنـب هجمـات الحوثييـن. وهـو الاعتبـار الـذي يدفـع باتجـاه تعزيـز الوجـود الأمنـي الدفاعـي والتأمينـي الصينـي فـي المنطقـة. ورابعهـا: قلـق الصيـن مـن التحـركات العسـكرية الغربيـة فـي المنطقـة، إذ تنظـر الصيـن إلـى حالـة "العسـكرة" التـي تطغـى علـى تفاعـلات البحـر الأحمـر علـى أنهـا تُعـزز مـن نفـوذ الولايـات المتحـدة علـى حسـاب التمـدد الناعـم للصيـن المعتمـد علـى الاسـتقرار والجوانـب الاقتصاديـة.

ثالثًا: تداعيات خطيرة لمسار التصعيد في البحر الأحمر

يمكـن القـول -فـي ضـوء الاسـتعراض السـابق لملامـح البيئـة الأمنيـة فـي منطقـة البحـر الأحمـر خلال الأشـهر الأخيـرة- إن تفاعـلات المنطقـة جمعـت بيـن بعـدي "التصعيـد الحوثـي" وتنامـي الجنـوح نحـو "العسـكرة" في إطـار مقاربـات القـوى الدوليـة للتعامـل مـع تهديـدات الحوثييـن، بيـد أن تلـك المقاربـات تحمـل فـي طياتهـا العديـد مـن الإشـكالات سـواءً علـى مسـتوى تحقيـق الـردع المفقـود للحوثييـن، أو علـى مسـتوى التداعيـات المحتملـة، وهـو مـا يمكـن تحليلـه علـى النحـو التالـي:

1. **العجـز عـن ردع الحوثييـن:** سـاهمت التحـركات العسـكرية الغربيـة فـي منطقـة البحـر الأحمـر بشـكل كبيـر فـي اسـتنفار حركـة "الحوثـي"، وبالتالـي تصعيـد التوتـرات فـي المنطقـة. ويمكـن القـول إن الإشـكالات الرئيسـية

التي واجهت المقاربة الغربية للتعامل مع التهديد الحوثي ترتبط بعدد من الاعتبارات الرئيسة؛ أولها: إهمال مسألة أن التصعيد في المنطقة يرتبط بالحرب الإسرائيلية على قطاع غزة، وبالتالي فإن نقطة الانطلاق لاستعادة التهدئة في البحر الأحمر، وفي المنطقة بشكل عام، تبدأ من وقف إطلاق النار في قطاع غزة. وثانيها، يرتبط بغلبة الطابع "الدفاعي" على الهياكل الأمنية الجديدة، كذلك فإن الجهود الرامية لإضعاف القدرات العسكرية للحوثيين أو تحجيم مواردهم المالية تظل غير فاعلة؛ إذ أنهم يعتمدون في تسليحهم بشكل رئيس على الأسلحة المهربة إيرانية الصنع، بجانب الجبايات والضرائب المحلية التي يفرضوها في مناطق سيطرتهم، جنبًا إلى جنب مع علاقاتهم الكبيرة بعدة تنظيمات وميليشيات مسلحة، بالإضافة لامتلاكهم القدرات المالية والتقنية التي تمكنهم من امتلاك أسلحة محلية الصنع، أيضًا فإن العمليات الاستباقية ضدهم لن تؤثر كثيرًا عليهم، في ضوء اعتمادهم على أسلحة ومنصات إطلاق بدائية يمكن نقلها بسهولة.

2. **احتمالية توسع أهداف الحوثيين:** جنبًا إلى جنب مع عدم مساهمة التحركات الغربية، والتي قامت بشكل رئيس على مقاربات أمنية وعسكرية في ردع الحوثيين، فإنها قد تدفع -في الوقت نفسه- باتجاه اتساع نطاق "بنك الأهداف الحوثية" سواءً على مستوى استهداف البنى التحتية للاتصالات في المنطقة، أو على مستوى استهداف الوجود العسكري الغربي في بعض دول الجوار. وقد يلجأ الحوثيون -في الفترات المقبلة- إلى توسيع النطاق الجغرافي لعملياتهم عبر استهداف السفن التي تمر من المحيط الهندي نحو طريق رأس الرجاء الصالح، وهو ما هددوا به بالفعل كما سبقت الإشارة.

3. **تحول البحر الأحمر إلى ساحة للتنافس الدولي:** إن إحدى التداعيات المهمة التي صاحبت التصعيد الحوثي في البحر الأحمر، وكذا المقاربة الغربية العسكرية للتعامل مع هذا التهديد، تمثلت في عودة البحر الأحمر كساحة رئيسة للتنافس -وربما مستقبلًا المواجهة- بين القوى الإقليمية والدولية، وقد تجسد ذلك في عدد من المؤشرات الرئيسة، منها حرص الولايات المتحدة على تثبيت وجودها في البحر الأحمر عبر تحالف "حارس الازدهار"، وكذا الاتحاد الأوروبي عبر قوة "أسبيدس"، وثانيها استنفار رد الفعل الصيني لتعزيز الوجود العسكري في البحر الأحمر عبر الأسطول الـ 46. إضافة إلى ما أكدته صحيفة "وول ستريت جورنال" مطلع مارس 2024 من أن إيران ضغطت على السلطات السودانية للسماح ببناء قاعدة بحرية إيرانية دائمة على ساحل البحر الأحمر ، الأمر الذي تسعى إيران إلى توظيفه جيوسياسيًا واستخباراتيًا.

وختامًا، يمكن القول إن البيئة الأمنية لمنطقة البحر الأحمر تشهد حاليًا وضعًا هو الأكثر تأزمًا منذ سنوات، فمن جانب تتصاعد وتيرة العمليات العسكرية سواءً من قبل الحوثيين أو من قبل بعض القوى الدولية وعلى رأسها الولايات المتحدة، ومن جانب آخر يوجد جنوح متزايد من قبل العديد من الفاعلين الدوليين والإقليميين نحو تعزيز الوجود العسكري في البحر الأحمر، وهي كلها مؤشرات تهدد الاستقرار الأمني في الممر الاستراتيجي المهم، وتؤثر بشكل مباشر على الملاحة البحرية وحركة التجارة الدولية.

المصـــــــــادر

1. النص الكامل لكلمة عبد الملك الحوثي حول "طوفان الأقصى" والرد الإسرائيلي، سي إن إن، 11 أكتوبر 2023، متاح على: https://arabic.cnn.com/middle-east/article/2023/10/11/houthi-speech-full-text-yemen-israel-hamas
2. Iranian-Backed Militias Mount New Wave of Attacks as U.S. Supports Israel, WSJ, October 24, 2023, Available at: https://www.wsj.com/world/middle-east/iranian-backed-militias-mount-new-wave-of-attacks-as-u-s-supports-israel-d51364d4
3. الجيش الإسرائيلي يعلن اختطاف سفينة شحن جنوبي البحر الأحمر، سي إن إن، 19 نوفمبر 2023، متاح على: https://arabic.cnn.com/middle-east/article/2023/11/19/israeli-military-says-a-cargo-ship-has-been-hijacked-in-southern-red-sea
4. Houthis may sabotage western internet cables in Red Sea, Yemen telecoms firms warn, The Guardian, February, 05, 2024, Available at: https://www.theguardian.com/world/2024/feb/05/houthis-may-sabotage-western-internet-cables-in-red-sea-yemen-telecoms-firms-warn
5. الحوثي يعلن إدخال "سلاح الغواصات" وتصعيد العمليات في البحر الأحمر، الجزيرة نت، 22 فبراير 2024، متاح على: https://2u.pw/gXQ4rnQ2
6. الحوثيون يتوعدون باستهداف السفن المرتبطة بإسرائيل في طريق رأس الرجاء الصالح، بي بي سي، 15 مارس 2024، متاح على: https://www.bbc.com/arabic/articles/cd18vmj1l78o
7. ما هي احتمالات انضمام أطراف عربية إلى «حارس الازدهار»؟، الشرق الأوسط، 22 ديسمبر 2023، متاح على: https://2u.pw/CooDXUy
8. Security and freedom of navigation in the Red Sea: Council launches EUNAVFOR Aspides, European Council, Feb, 19, 2024, Available at: https://www.consilium.europa.eu/en/press/press-releases/2024/02/19/security-and-freedom-of-navigation-in-the-red-sea-council-launches-new-eu-defensive-operation/
9. أسطول صيني في الطريق إلى البحر الأحمر، الشرق الأوسط، 24 فبراير 2024، متاح على: https://2u.pw/cv5Zuk4
10. الصين.. تأثرنا بعمليات الحوثيين في البحر الأحمر، العربية نت، 23 فبراير 2024، متاح على: https://2u.pw/722avpEp
11. Iran Tried to Persuade Sudan to Allow Naval Base on Its Red Sea Coast, WSJ, March 3, 2024, Available at: https://www.wsj.com/world/middle-east/iran-tried-to-persuade-sudan-to-allow-naval-base-on-its-red-sea-coast-77ca3922

دراســـــات

يسلط قسم "دراسات" الضوء على تطورات الحرب الروسية-الأوكرانية في عامها الثالث، في محاولة للوقوف على تطوراتها وسيناريوهاتها المستقبلية. كما يسلط الضوء على التطور النوعي الذي شهدته الطائرات المُسيَّرة على اختلاف أنواعها وعلى تعدد مهامها وتنوع استخداماتها ذات التأثيرات المباشرة في القدرات العملياتية للجيوش وطبيعة الحروب الراهنة والمستقبلية. كما يقف هذا القسم بالشرح والتحليل على مذكرة التفاهم التي وقعها رئيس الوزراء الإثيوبي "آبي أحمد" مع رئيس أرض الصومال "موسى بيهي عبدي"، لتُمنح بموجبها إثيوبيا -وهي دولة غير ساحلية- إمكانية الوصول التجاري والعسكري المباشر إلى البحر الأحمر، بعد أن وافقت أرض الصومال على استئجار ميناء عسكري في خليج عدن و20 كيلومترًا من ساحلها لصالح إثيوبيا لمدة 50 عامًا. وأخيرًا، يحلل هذا القسم موقف محكمة العدل الدولية كإحدى الهيئات المهمة والرئيسة في الأمم المتحدة تجاه إسرائيل، وما يخص قراراتها في القضية التي رفعتها دولة جنوب أفريقيا أمامها.

الحرب الروسية-الأوكرانية في عامها الثالث: تطورات وسيناريوهات محتملة

اشـتدت الأزمـة بيـن روسـيا وأوكرانيـا فـي أعقـاب موافقـة الرئيـس الأوكرانـي "فلاديميـر زيلينسـكي" فـي 14 سـبتمبر 2020 علـى اسـتراتيجية الأمـن القومـي الأوكرانيـة الجديـدة، والتـي نصـت علـى تطويـر شـراكة مميـزة مـع الناتـو بهـدف الحصـول علـى عضويتـه. وكذلـك وقـع الرئيـس الأوكرانـي فـي 24 مـارس 2021 مرسـومًا بالموافقـة علـى اسـتراتيجية إنهـاء الاحـتلال وإعـادة دمج/اسـترجاع الأراضـي المحتلـة لشـبه جزيـرة القـرم المتمتعـة بالحكـم الذاتـي ومدينـة سيفاسـتوبول، ممـا جعـل روسـيا تتخـذ بعـض الإجـراءات الدبلوماسـية لمجابهـة المسـاعي الأوكرانيـة فـي ظـل توطـد علاقاتهـا مـع الغـرب.

لواء أ.ح.م/ مجدي حجازي
مستشار بالأكاديمية العسكرية
للدراسات العليا والإستراتيجية

وبشـكل عـام، يمكـن القـول إن الحـرب الروسـية-الأوكرانية هي حرب فريدة من نوعها منذ الحرب العالمية الثانية؛ من حيث عدد الدول المتورطة فيها بشكل مباشر/معلن، أو بشكل غير مباشر/غير معلن باستراتيجية وفلسفة الحرب بالوكالة؛ في ظل الإصرار الغربي والأمريكي على احتواء الطموح الروسي وتوسعة الناتو ليشمل بعض دول الاتحاد السوفيتي السابق.

أولًا: أسباب وتصنيف الحرب الروسية-الأوكرانية

دخلت الأزمة الروسية-الأوكرانية مرحلة جديدة من التصعيد بعد اعتراف الرئيس الروسي "فلاديمير بوتين" في 21 فبراير 2022 باستقلال جمهوريتي دونتيسك ولوغانسك شرقي أوكرانيا بمحاذاة الحدود الروسية. وفي أعقاب ذلك بيومين، وتحديدًا في 24 فبراير 2022، أطلقت روسيا هجومًا عسكريًا شاملًا ضد أوكرانيا، ولا سيما مع إصرارها على الانضمام لحلف الناتو والاتحاد الأوروبي، وهو ما ترى فيه روسيا تهديدًا مباشرًا لأمنها القومي. ومن ثَمّ، أعلنت روسيا أن هدفها من اجتياح أوكرانيا هو: اسقاط النظام الأوكراني، ونزع سلاح أوكرانيا، ومنع انضمامها إلى الناتو، وإجبارها على الاعتراف بضم روسيا لشبه جزيرة القرم واستقلال لوغانيسك ودونيتسك.

ولقد تعددت الرؤى والأسباب التي فسرت الحرب الروسية-الأوكرانية، وإن أتى في مقدمتها التقارب الأوكراني-الغربي، ورغبة أوكرانيا في الانضمام إلى حلف الناتو، وهو ما حذرت منه موسكو طيلة سنوات عدة. وكذا رغبة أوكرانيا في الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي، إلى جانب سعيها لامتلاك السلاح النووي. وقد صنفت روسيا تلك الرغبات الأوكرانية بأنها لا تتوافق مع مصالحها الأمنية، ولا سيما أن روسيا ترى أن أوكرانيا جزءًا لا يتجزأ من تاريخها وثقافاتها منذ تفكك الاتحاد السوفيتي واستقلال أوكرانيا عام 1991.

كما أن الوضع في إقليم الدونباس الأوكراني يثير استياء موسكو؛ حيث تقمع أوكرانيا السكان الناطقين باللغة الروسية رغم أنهم يشكلون أغلبية السكان. ومن ثَمّ، تصف روسيا هذا الوضع بالعنصري، وبخاصة مع استمرار أوكرانيا منذ ثماني سنوات في قصف الإقليم واستهداف المدنيين دون الالتزام باتفاقات "مينسك"، وإن تعرض هذا السبب لانتقادات عدة، وسط تحليلات تصفه بالذريعة الروسية لشن الحرب على أوكرانيا. وعمومًا، وبالنظر إلى الأسباب السابقة مجتمعة، يمكن القول إن موسكو لم تقبل بأي إجراء يهدد مصالحها أو أمنها القومي، ولم تتردد في الرد بكل الأشكال والطرق والوسائل، ومن الأدلة على هذا، الغزو الروسي لشبه جزيرة القرم عام 2014 [1].

وتُعدّ الحرب الروسية-الأوكرانية من الحروب المعقدة التي يصعب توصيفها بدقة؛ لوجود العديد من العوامل المتداخلة المؤثرة فيها. فمن المنظور الجغرافي، فإن تلك الحرب تُعد نزاعًا إقليميًا، وإن تجاوزت آثارها السياسية والاقتصادية والعسكرية شتى دول العالم. كما أنها حرب تقليدية مباشرة بين دولتين، وإن تلقت أوكرانيا مساعدات وتمويلًا عسكريًا واقتصاديًا هائلًا من دول الناتو وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية. وقد حملت الحرب الروسية-الأوكرانية بعضًا من سمات حروب الجيل الرابع وحروب الجيل الخامس والحروب بالوكالة والحروب السيبرانية والعمل العسكري غير الحركي إلى جانب استخدام التقنيات المستجدة مثل الذكاء الاصطناعي. كما شهدت تلك الحرب عودة الدبابات لساحات القتال، إلى جانب الخنادق وقوات المشاة، إضافة إلى بعض الأسلحة التقليدية التي استُخدمت في الحروب منذ أكثر من مائة عام. وتشير الدلائل والمؤشرات إلى أنه يمكن وصف هذه الحرب بأنها حرب استنزاف غير مباشرة بهدف إرهاق روسيا وإضعافها وتوريطها في حرب طويلة ذات آثار اقتصادية كبرى، تفقد على إثرها روسيا جزءًا كبيرًا من قواها ونفوذها في النظام الدولي [2].

ثانيًا: مؤشرات القوة العسكرية في الجيشين الروسي والأوكراني

يمكن رصد الفارق النوعي بين الجيشين الروسي والأوكراني من واقع بعض المقارنات الكمية، **وذلك كما يلي** [3]:

- بينما يحتل الجيش الروسي المرتبة الثانية بين أقوى جيوش العالم، يحتل الجيش الأوكراني المرتبة الثانية والعشرين عالميًا.
- يبلغ تعداد جنود الجيش الروسي في الخدمة (850) ألف مقاتل (القوة الخامسة على المستوى العالمي). وفي المقابل، يصل تعداد أفراد الجيش الأوكراني إلى (200) ألف جندي (المرتبة العشرين عالميًا).
- تبلغ ميزانية الدفاع الروسية حوالي 154 مليار دولار أمريكي (المرتبة الثالثة بين دول العالم)، فيما تقدر ميزانية الدفاع الأوكرانية بحوالي 12 مليار دولار أمريكي (المرتبة 20 بين دول العالم).
- بينما يمتلك الجيش الروسي حوالي (4200 (طائرة حربية (المرتبة الثانية عالميًا)، يمتلك الجيش الأوكراني حوالي (3200) طائرة حربية (المرتبة 31 عالميًا).
- يمتلك الجيش الروسي حوالي (12500) دبابة، ليتصدر جيوش العالم، متفوقًا على نظيره الأوكراني الذي يمتلك حوالي (2600) دبابة، ويحتل المرتبة 13 عالميًا.
- يمتلك الأسطول البحري الروسي حوالي (600) قطعة بحرية منها (50) كاسحة ألغام، بينما يضم الأسطول البحري الأوكراني حوالي (40) قطعة بحرية فقط.
- تمتلك روسيا حوالي (1200) مطار، في حين تمتلك أوكرانيا حوالي (190) مطارًا فقط.

وبتحليل ما سبق، وعلى المستوى العددي، فإن هناك خللًا واضحًا في ميزان القوة العسكري لصالح روسيا. وبإضافة المقارنة النوعية وبتحليل كفاءة الأسلحة والمعدات ومدى تطورها وقدراتها القتالية، يتضح التفوق الكامل الكمي والنوعي لصالح القوات الروسية وهذا ما تدركه تمامًا الولايات المتحدة الأمريكية والقوى الغربية الذين قرروا دعم الجيش الأوكراني لحماية مصالحهم.

ثالثًا: تطورات الحرب الروسية-الأوكرانية خلال عامين (فبراير 2022 - فبراير 2024)

يمكن تقسيم المراحل التي مرت بها الحرب خلال عامي 2022 و2023 إلى أربع مراحل، **وذلك على النحو التالي**[4]:

1. **المرحلة الأولى (منذ بداية الحرب إلى نهاية مارس 2022):** اتسمت تلك المرحلة بتكثيف الهجمات الروسية على كييف ومدن الشمال الأوكراني في مقاطعة خاركيف، مستهدفة احتلال العاصمة، وتغيير نظام حكم الرئيس زيلينسكي الموالي للغرب. وقد تعثرت العمليات العسكري الروسية حول كييف بسبب العوائق اللوجستية والمقاومة الأوكرانية مدعومة بمساعدات غربية وأمريكية هائلة. وقد أدى ذلك إلى تغيير روسيا لاستراتيجيتها العسكرية، مما دفع الحرب إلى المرحلة الثانية.

2. **المرحلة الثانية (من نهاية مارس 2022 إلى أخر اغسطس 2022):** برزت، خلال تلك الفترة، أهم ملامح الاستراتيجية العسكرية الروسية المعدلة، والتي ركزت على استكمال سيطرة روسيا على إقليم الدونباس شرقي أوكرانيا وتأمين ممر أرضي في جنوب أوكرانيا يربط الإقليم بشبه جزيرة القرم التي ضمتها روسيا إليها عام 2014.

وقد حققت روسيا نجاحًا كبيرًا في هذه المرحلة بسيطرتها الكاملة على مقاطعة لوهانسك في أواخر يوليو 2022 والتقدم العملياتي في مقاطعة دونيتسك مسيطرة على نحو 80% من مساحتها واحتلال أجزاء واسعة من الجنوب الأوكراني بما في ذلك مدينة ماريوبول الساحلية ذات الأهمية الاستراتيجية البالغة، وفرض حصار بحري على السواحل الأوكرانية على البحر الأسود وبحر أزوف. ومن ثَمّ، شرعت موسكو في اتخاذ تدابير عملية لإجراء استفتاء شعبي في إقليم الدونباس وأجزاء من جنوب أوكرانيا بغرض ضمها إلى روسيا. وقد اتسم سلوك القوات الأوكرانية في هذه المرحلة برد الفعل ومحاولة تعطيل التقدم الروسي في مقاطعتي خرسون وذابور جيا الجنوبيتين مع البدء في الاستعدادات اللازمة لشن هجوم مضاد.

3. **المرحلة الثالثة (من أول سبتمبر 2022 إلى نهاية مايو 2023):** وقد بدأت هذه المرحلة مع بدء الهجوم الأوكراني المضاد ضد القوات الروسية في الشمال والجنوب، وإن ركز على الجبهة الشمالية (مقاطعة خاركيف). وقد حققت القوات الأوكرانية نجاحًا كبيرًا، حيث استعادت أراضي كبيرة في مقاطعة خاركيف والمدينة نفسها في غضون أيام. وفي الجنوب تمكنت القوات الأوكرانية من استعادة مدينة خيرسون غرب نهر دينبرو، وهي العاصمة الإقليمية الأوكرانية الوحيدة التي استولت عليها روسيا في المرحلة الثانية من الحرب. وقد بلغت مساحة الأراضي التي استعادتها القوات الأوكرانية حوالي (10000) كيلو متر مربع، وبالمقابل اضطرت القوات الروسية إلى الانسحاب إلى خطوط خلفية أكثر تأمينًا.

ولقد كانت أولى النتائج المباشرة للهجوم الأوكراني المضاد هو اقتصار القتال على جبهتي الشرق والجنوب؛ بعد أن أصبحت الجبهة الشمالية في يد القوات الأوكرانية، ولكن تحول القتال إلى حالة من الجمود والاستنزاف. وقد صمم الكرملين في أعقاب تلك المرحلة على الإسراع بضم إقليم الدونباس ومقاطعتي خيرسون وزابوريجيا إلى روسيا الاتحادية، وهو ما تم في أواخر سبتمبر 2022. وباستثناء كوريا الشمالية وبيلاروسيا، لم يحظ ضم المقاطعات الأوكرانية الأربع بتأييد دولي، وأدانت الجمعية العامة للأمم المتحدة بأغلبية كبيرة الإجراءات الروسية، وطالبت موسكو بعكس مسارها بشأن محاولة الضم غير القانونية، وسارعت كثير من الدول والمؤسسات الغربية إلى فرض عقوبات اقتصادية جديدة على موسكو من جهة، وإعلان زيادة مساعداتها العسكرية لكييف من ناحية أخرى.

4. **المرحلة الرابعة (من أول يونيو 2023 إلى نهاية فبراير 2024):** في أوائل يونيو 2023، شنت أوكرانيا هجومًا مضادًا ركز على مقاطعة دونتيسك وزابوريجيا اللتين تمثلان الممر البري إلى شبه جزيرة القرم. وقد كان الهدف من الهجوم هو تحرير مناطق واسعة من الأراضي المحتلة والوصول إلى ساحل بحر أزوف غرب ماريوبول وتقسيم القوات الروسية في جنوب أوكرانيا إلى قسمين عن طريق قطع اتصالها البري الوحيد، ومن ثَمّ تغيير مسار الحرب. ويبدو أن القوات الأوكرانية واجهت مقاومة كبيرة من الدفاعات الروسية الحصينة، وتكبدت خسائر فادحة نتيجة التفوق الجوي الروسي وحقول الألغام. والواقع أن الهجوم المضاد الأوكراني

هـذه المـرة لـم يحقـق أهدافـه كاملـة، حيـث اسـتولت القـوات الأوكرانيـة علـى 14 قريـة فقـط فـي المقاطعتيـن، وتوقـف الهجـوم المضاد دون تحقيـق أي مكاسـب كبيـرة، وإن كانـت أوكرانيـا قـد كثفـت هجماتهـا علـى الجسـور المجـاورة المؤديـة إلـى شـبه جزيـرة القـرم والسـفن الروسـية فـي البحـر الأسـود، وشـنت هجمـات بالمُسـيّرات داخـل الأراضـي الروسية بما في ذلك موسكو نفسها، وقد كانـت إقالـة القيـادات العسـكرية الأوكرانيـة دليـلًا علـى فشـل الهجـوم الأوكرانـي، ومـن ثَمّ عـادت حالـة الاسـتنزاف والجمـود لتهيمـن علـى الوضـع العسـكري.

رغـم أن التقييـم العـام لهجـوم صيـف 2023 الأوكراني كان فاشلًا، فإن جبهة البحر الأسود بما في ذلك شبه جزيرة القرم مثلت أهم مصادر نجاح القوات الأوكرانية، فقد استمرت الهجمات الجوية بالمُسيّرات والصواريخ الأوكرانية على القرم برغم تكـرار التحذيـرات الروسـية مـن أن الهجـوم علـى القـرم خـط أحمـر، وتمكنـت أوكرانيـا مـن إغـراق عـدد مـن السـفن الحربيـة الروسـية فـي منطقـه بحـر أزوف. وقـد جعلـت الهجمـات الأوكرانيـة مـن الصعـب علـى البحريـة الروسـية الحفـاظ علـى وجودهـا فـي شـمال غـرب البحـر الأسـود وأجبرتهـا علـى سـحب الجـزء الأكبـر مـن أسـطولها مـن شـبه جزيـرة القـرم إلـى الموانـئ الروسـية الآمنـة نسـبيًا في الجزء الشرقي من البحر، وهذا من شأنه إعاقة القـدرة الروسـية علـى قصـف الأراضـي الأوكرانيـة باسـتخدام السـفن الحربيـة التابعـة لأسـطول البحـر الأسـود، فـضلًا عـن تعطيـل الخدمـات اللوجسـتية للقـوات الروسـية فـي شـبه جزيـرة القـرم وجنـوب أوكرانيـا، كمـا أن الهجمـات البحريـة الأوكرانيـة مكنـت كييـف مـن كسـر الحصـار المفـروض علـى موانيهـا علـى البحـر الأسـود واسـتئناف صادراتهـا ولا سـيما تصديـر الحبـوب إلـى الخـارج.

رابعًا: تحليل الوضع العسكري الراهـــــن[5]

مـع بدايـة عـام 2024، أخـذت القـوات الروسـية زمـام المبـادرة، وكثفـت عملياتهـا الهجوميـة علـى طـول محـور لوهانسـك- خاركيـف ومقاطعـة دونيتسـك، بهـدف اسـتعادة المكاسـب الأوكرانيـة التـي تحققـت فـي صيـف 2023 والاسـتيلاء علـى أراضٍ جديـدة فـي إقليـم الدونبـاس والاسـتيلاء علـى مـا تبقـى مـن مقاطعـة لوهانسـك والتوجـه غربًـا إلـى شـرق خاركيـف وشـمال دونيسـتك.

لقـد تحولـت الحـرب فـي الأشـهر الأخيـرة إلـى حـرب اسـتنزاف متبادلـة، وأصبحـت خطـوط القتـال شـبه متجمـدة علـى خطـوط القتـال التـي يبلـغ طولهـا حوالـي (600) ميـل، حيـث لا يبـدو أن القـوات الروسـية أو الأوكرانيـة لديهـا القـدرة علـى تحقيـق اختـراق كبيـر. وهنـاك اشـتباكات مسـتمرة علـى جميـع الجبهـات، فيمـا يشـبه الحـرب الموضعيـة لكـن دون تغييـر "خريطـة السـيطرة علـى الأرض" التـي مـن أهـم معالمهـا سـيطرة روسـيا علـى نحـو 18% مـن مسـاحة أوكرانيـا بمـا فـي ذلـك شـبه جزيـرة القـرم.

لقـد بلـغ حجـم الخسـائر البشـرية نحـو 530 ألـف قتيـل وجريـح منهـم حوالـي 30 ألـف مدنـي والباقـي نصـف مليـون عسـكري مـن الطرفيـن. وطبقًـا لعـدد مـن المصـادر، تزيـد الخسـائر فـي العسـكريين الـروس عـن مثيلهـم مـن الأوكرانييـن، بينمـا تزيـد خسـائر المدنييـن الأوكرانييـن عـن مثيلهـم مـن الروسـيين. ويقـدر عـدد اللاجئيـن فـي أوروبـا بنحـو 6.5 ملاييـن شـخص، ويتـوزع اللاجئـون فـي ألمانيـا (التـي تعـد الوجهـة الرئيسـية لهـم)، ثـم بولنـدا والتشـيك وروسـيا ورومانيـا وسـلوفاكيا والمجـر.

لقـد تحولـت دفـة الصـراع فـي الفتـرة الأخيـرة لصالـح روسـيا التـي تمتلـك حاليًـا زمـام المبـادرة فـي معظـم مسـرح الحـرب، ربمـا باسـتثناء الجبهـة الجنوبيـة لا سـيما مقاطعـة خرسـون. وتتسـم القـدرات العسـكرية الروسـية بالاسـتدامة النسـبية، وتواصـل هجماتهـا الصاروخيـة بالمُسـيّرات لإربـاك الدفاعـات الجويـة الأوكرانيـة، وقـد حققـت القـوات الروسـية مكاسـب تكتيكيـة علـى محـور خاركيـف- لوهانيسـك ومقاطعـة دونتيسـك؛ كان أكبرهـا السـيطرة علـى مدينـة أفديفيـدكا (معقـل أنصـار روسـيا قبـل أيـام مـن حلـول الذكـرى السـنوية الثانيـة للحـرب يـوم 24 فبرايـر 2024).

تواصـل القـوات الروسـية الضغـط علـى الدفاعـات الأوكرانيـة المنهكـة فـي محـاور متعـددة مـن خـط المواجهـة فـي مقاطعـات دونتيسـك ولوهانسـك وزابوريجيـا، ويمكنهـا تأميـن مزيـد مـن المكاسـب التكتيكيـة فـي الجبهـة الشـرقية ومحـور لوهانسـك/خاركيف، ولكـن مـن غيـر المرجـح أن تكـون قـادرة علـى الاسـتيلاء علـى مزيـد مـن الأراضـي فـي مقاطعـة خاركيـف والتقـدم نحـو الحـدود الإداريـة لأقاليـم يوهانسـك ودونتيسـك.

لقـد هاجمـت القـوات الأوكرانيـة الأصـول اللوجسـتية البحريـة والجويـة الروسـية فـي منطقـة بحـر أزوف، ممـا أدى إلـى انخفـاض وتيـرة عمليـات الطيـران التكتيكـي الروسـي، كمـا اضطـرت موسـكو إلـى إخـلاء المئـات مـن سـكان بيلغـرود مـع توالـي الهجمـات الأوكرانيـة علـى المقاطعـات الحدوديـة الروسـية.

تعانـي القـوات الأوكرانيـة مـن حالـة مـن الإرهـاق ونقـص أعـداد المجنديـن المدربيـن تدريبًـا جيـدًا وفـي الأسـلحة والمعـدات والذخائـر فـي ظـل تضـاؤل الاحتياطيـات. وتواجـه أوكرانيـا تحديـات فـي تجديـد قواتهـا وصعوبـة فـي اسـتبدال القـوات المنهكـة علـى الخطـوط الأماميـة بقـوات أخـرى جاهـزة ومدربـة مـن الخلـف. وتسـتطيع القـوات الأوكرانيـة بوضعهـا الحالـي القيـام بعمليـات هجوميـة بريـة،

ولا تـزال لديهـا القـدرة علـى شـن الهجمـات بالمُسيّرات، كما تواجه القوات الأوكرانية نقصًا كبيرًا في صواريخ الدفاع الجوي.

في ظل تضاؤل الدعم العسكري الأمريكي والغربي لأوكرانيا، حصلت روسيا على مزيد من الصواريخ الباليستية والمدفعية والذخائر من إيران وكوريا الشمالية. وسياسيًا، يلاحظ أن اتجاه روسيا نحو تدعيم شراكاتها مع هاتين الدولتين يزيد من أزمة علاقاتها مع أمريكا والدول الغربية.

خامسًا: السيناريوهات المحتملة لنهاية الحرب

في ضوء الأسباب والمراحل والتطورات السابقة، يمكن الدفع بجملة من السيناريوهات المحتملة لنهاية تلك الحرب، وهي السيناريوهات التي يمكن الوقوف على أبرزها من خلال النقاط التالية:

1. **السيناريو الأول:** التوصل إلى حل دبلوماسي أو تسوية: وهو سيناريو متوقع؛ نظرًا لطول مدة الحرب واستنزاف موارد الأطراف المشاركة. ويمكن أن تقضي تلك التسوية بوقف إطلاق النار وإعادة ترسيم الحدود والحفاظ على الوضع الذي سيتم الوصول إليه في حينه. ولكن من المرجح أن يلقى هذا السيناريو رفضًا أوكرانيًّا؛ حيث ترى حكومة كييف أنه يجب سحب جميع القوات الروسية كشرط أساسي لأي مفاوضات، وعلى الجانب الآخر تشترط موسكو أن تكون أوكرانيا محايدة تمامًا، ومحدودة في قوتها العسكرية، ومجبرة على الاعتراف بضمها لجميع الأراضي المحتلة واتباع السياسات التي توافق عليها روسيا فقط، مما يعني تطبيق مبدأ السيادة المشروطة. وتعليقًا على هذا، قد يحدث هذا السيناريو بعد فترة من الزمن؛ نتيجة لإرهاق القوتين عسكريًا واقتصاديًا، بجانب تنازل كل طرف عن بعض شروطه وصولًا إلى حل سياسي وسط.

2. **السيناريو الثاني:** الحد من التمويل الغربي لأوكرانيا وامتثال أوكرانيا لشروط روسيا: هناك اعتقاد كبير لدى أغلبية المحللين بأن طول المدة الزمنية يخدم أوكرانيا والغرب على حساب روسيا. ولا شك أن الدول الممولة لأوكرانيا تستنزف وبشدة، خصوصًا مع استمرار الأزمة الاقتصادية العالمية، كما أن شعوب الدول الغربية ترى أن بلادهم أولى بتلك الأموال، مما قد يزيد من احتمالات حدوث هذا السيناريو، وقد يعجل به الانتخابات الرئاسية الأمريكية القادمة، وخاصة في حالة عدم فوز الرئيس الأمريكي "جو بايدن". فمن المتوقع أن تقرر القيادة الأمريكية الجديدة إما قطع الامدادات وإما تقليلها بشكل كبير، وهذا بالتالي سيؤثر في موقف كييف، وقد يجبرها على الامتثال لشروط روسيا والتي ستنص على ضم بعض أو كل المناطق التي زحفت إليها الجيوش الروسية في الجنوب الشرقي الأوكراني، إلى جانب الاحتفاظ بشبه جزيرة القرم مع وضع بعض الاشتراطات العسكرية والدبلوماسية على كييف [6].

3. **السيناريو الثالث:** تحول الحرب إلى حرب استنزاف طويلة: يرجح المحللون هذا السيناريو بحكم استمرار الأوضاع على ما هو عليه في ظل عدم مقدرة أي طرف على حسم الحرب، وما يدعم هذا السيناريو هو السياسة التي اتبعتها الدول الغربية تجاه الحرب الروسية-الأوكرانية منذ بداية الحرب، والتي تمثلت في الموازنة بين مساعدة أوكرانيا كي لا تسقط بيد روسيا ورغبتها في تجنب المواجهة المباشرة مع روسيا. وتأمل دول الغرب في استمرار ذلك السيناريو لأطول فترة ممكنة، ولكن قد يؤدي عامل الارهاق المتبادل وضجر الشعوب سواء المتحاربة أو المؤيدة والداعمة إلى عدم تحقيق هذا السيناريو [7].

4. **السيناريو الرابع:** اقتراب هزيمة روسيا: ويدور هذا السيناريو حول إضعاف روسيا بشكل كبير وإرهاقها عسكريًا واقتصاديًا، مما يؤدي إلى هزيمتها في الحرب، ويدفعها إلى أحد حلين: أولهما: قبول الهزيمة والامتثال لشروط أوكرانيا والغرب، وثانيهما: وهو الأكثر ترجيحًا، وهو استخدام روسيا لكل السبل المتاحة لتجنب تلك الهزيمة. فقد صرح "بوتين" من قبل أن الأسلحة النووية لن تُهزم تحت أي ظرف، وألمح أن الأمر إن توقف على استخدام الأسلحة النووية، فلن يتردد في استخدامها. وهذا التهديد حقيقي وقابل للتطبيق، ولذلك يهدف الغرب إلى استنزاف روسيا وإضعافها بدلًا من هزيمتها كليًّا؛ فالغرب يدرك جيدًا معنى هزيمة روسيا واستخدامها لأسلحتها النووية والتأثيرات السلبية التي ستتركها مثل هذه المتغيرات في النظام الدولي، فهذا السيناريو مطروح، ولكنه مستبعد حتى وقتنا هذا [8].

الخاتمـــة:

تُعد الحرب الروسية-الأوكرانية حربًا فريدة من نوعها؛ فهي مرآة عاكسة للمواجهة بين روسيا والغرب على النفوذ والهيمنة في أوروبا الشرقية. ومن حيث النتائج، فقد تسببت في دمار هائل في أوكرانيا، وأثرت سلبًا في الاقتصاد العالمي، بل إن بعض الدول المستوردة للسلع الاستراتيجية من أوكرانيا (القمح) قد تأثر أمنها القومي نتيجة الخلل في أمنها الغذائي. كما أن هذه الحرب أعادت رسم خريطة التحالفات في أوروبا، وأعادت للأذهان فكرة الحرب التقليدية جنبًا إلى جنب مع الحروب الحديثة من الجيلين الرابع والخامس، وكذا فكرة الحرب بالوكالة. ويظل السيناريو الأقرب لها هو الاتفاق السياسي خلال شتاء أو ربيع 2024 تحت ضغط شعوب الدول الغربية، ثم شعوب روسيا وأوكرانيا.

المصـــــــادر

1. روسيا وأوكرانيا: ما سبب الحرب بين البلدين، بي بي سي، 22 فبراير 2022، متاح على: https://www.bbc.com/arabic/world-60471536

2. NATO's response to Russia's invasion of Ukraine, Nato, 21 Mar. 2024, https://www.nato.int/cps/en/natohq/topics_192648.htm

3. أحمد جلال محمود عبده، السياسة الأمريكية تجاه التدخل الروسي في أوكرانيا انعكاساتها على حلف الناتو، مجلة كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، العدد 16، القاهرة، 2022، ص. 420.

4. أسماء حداد، الحروب الهجينة، الأزمة الأوكرانية نموذجًا، مجلة مدارات سياسية، الجزائر، مركز الدار المعرفي للأبحاث والدراسات، ديسمبر 2017، ص. 115.

5. أحمد تاج الدين، أنماط الأسلحة الحديثة في الحرب الروسية الأوكرانية، تقديرات مصرية، القاهرة، المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية. العدد 39، إبريل 2022، ص. 44.

6. عائشة إبراهيم الحوسني، أيمن الدسوقي، أفاق الحرب الروسية-الأوكرانية في عامها الثالث، ترينذز للبحوث والدراسات، 2024، متاح علىhttps://aba-inter.com/post

7. عمرو علاء، تطور مفهوم الحرب في ضوء الحرب الروسية الأوكرانية، السياسة الدولية، القاهرة، متاح على: https://www.siyassa.org.eg/News/19680.aspx

8. أحمد عقيل عيد، مستقبل الحرب الروسية الأوكرانية، تحليل السيناريوهات، المركز الديمقراطي العربي، متاح على: https://democraticac.de/?p=89702

الطائرات المُسيَّرة ودورها في الحروب المعاصرة: بين الحاضر والمستقبل

شـهد العالـم فـي بدايـة القـرن الواحـد والعشـرون تطـورًا تكنولوجيًـا وعلميًـا هـائلًا، وكان لـه الأثـر الكبيـر علـى قـوة الدولـة الشـاملة وخضوعهـا لسـيطرة المعرفـة والمعلومـات والاتصـالات. وحتـى وقـت قريـب، كانـت القـوة العسـكرية تحسـب طبقًـا لحجـم وأعـداد الأسـلحة والمعـدات والقـوة البشـرية، أمـا فـي الوقـت الراهـن، فـإن هـذه القـوة أصبحـت تعتمـد بصـورة كاملـة علـى المعلومـات المبرمجـة تكنولوجيًـا فـي الأسـلحة ووسـائل الاتصـال، مـن بيـن عناصـر أخـرى.

لواء أ.ح.د./ أسامة إبراهيم

مستشار بمركز الدراسات الاستراتيجية للقوات المسلحة

أكاديمية ناصر العسكرية العليا

لقـد تطـورت الطائـرات المُسـيَّرة تطـورًا هـائلًا باخـتلاف أنواعهـا وعلـى تعـدد مهامهـا وتنـوع اسـتخداماتها التـي تخـدم بشـكل رئيسـي مفاهيـم الكفـاءة والقـدرة العمليـاتية للجيـوش. ومـع هـذا، فإنهـا، علـى تعـدد أبعادهـا القوميـة والاسـتراتيجية، وفـي ظـل العـدد المتنامـي منهـا، تثير تسـاؤلات منطقيـة تفـرض نفسـها عـن ماهيـة تلـك التكنولوجيـا التـي أدخلـت العالـم فـي مضمـار سـباق وتنافـس غيـر مسـبوقين، ومـا إن كانـت سـتعطل أو تقـوض أهميـة تقنيـات أخـرى، ومـا إن كانـت نتاجًـا للصراعـات الأخيـرة وخصوصًـا الحـرب ضـد الإرهـاب. هـذا إلـى جانـب التسـاؤل عـن طبيعـة مكوناتها ومهامها وحـدود تأثيراتها المسـتقبلية ودورهـا فـي تغييـر الأحـداث والرؤيـة الاسـتراتيجية للعمليـات العسـكرية.

أولًا: سمات واستخدامات الطائرات المُسيَّرة

تُعـدُّ الطائـرات المُسـيَّرة أحـد أبـرز معالـم أنظمـة التسـليح المتقدمـة فـي العالـم؛ لمـا تتمتـع بـه مـن خصائـص وإمكانيـات متعـددة. وقـد سـبق اسـتخدامها فـي الكثيـر مـن الحـروب والعمليـات السابقة، والتـي حققـت نجاحـات بمسـتويات عاليـة. وتعتبـر الطائـرات المُسـيَّرة سلاحًـا رئيسـيًا وفعـالًا لمـا لهـا مـن قـدرات تُمكّنهـا مـن أداء مختلـف المهـام وبكفـاءة قـد تزيـد فـي بعـض الأحيـان عـن كفـاءة الطائـرات التقليديـة، خصوصًـا تنفيـذ المهـام القتاليـة فـي المناطـق عاليـة الخطـورة التـي تعجـز عـن تنفيذهـا الطائـرات التقليديـة، وذلـك لحمايـة أطقـم الطائـرة والطائـرات، إلا أنهـا لا تمثـل بـديلًا عـن الطائـرات التقليديـة، بـل هـي مكملـة لهـا فـي تنفيـذ المهـام القتاليـة.

كمـا تُسـتخدم الطائـرات المُسـيَّرة فـي العديـد مـن المهـام القتاليـة، مثـل: الاسـتطلاع وجمـع المعلومـات، والقـذف الجـوي، والحـرب الإلكترونيـة، والاتصـالات، واسـتطلاع نتائـج الضـرب، وإدارة نيـران المدفعيـة، والكشـف عـن حقـول الألغـام، والكشـف الإشـعاعي والكيميائـي، وغيـر ذلـك. وفـي مجـال العمليـات الخاصـة، تُسـتخدم الطائـرات المُسـيَّرة فـي: متابعـة أحـداث الشـغب والوقـوف علـى نتائـج مكافحتهـا، ومراقبـة المناطـق التـي تعرضـت لكـوارث طبيعيـة أو حرائـق، ومراقبـة الحـدود الدوليـة لتحديـد أماكـن التسـلل وقطاعـات العبـور، والمعاونـة فـي المتابعـة والسـيطرة علـى الدوريـات بعيـدة المـدى، ومعاونـة الأجهـزة الأمنيـة فـي تأميـن الشـخصيات المهمـة والاحتفـالات الرسـمية. هـذا، بالإضافـة للعديـد مـن المهـام الإضافيـة والتـي تتمثـل فـي: إعـادة الإذاعـة، وإسـقاط بعـض الأجهـزة والمـواد ذات الطبيعـة الخاصـة، وخدمـة القطاعـات المدنيـة، وغيـر ذلـك.

لقـد ظهـرت أهميـة الطائـرات المُسـيَّرة فـي المعـارك والحـروب السـابقة، وذلـك علـى شـاكلة: سـهل البقـاع، وحـرب الخليـج، وحـرب لبنـان، وحـرب كوسـوفو، وحـرب أفغانسـتان، والحـرب اليمنيـة، والحـرب علـى الإرهـاب، والحـرب الروسـية-الأوكرانيـة، والحـرب الإسـرائيلية علـى غـزة، وغيـر ذلـك. وقـد حققـت نتائجًـا إيجابيـة خصوصًـا فـي مجـال نقـل المعلومـات الفوريـة مـن مسـرح العمليـات، والـذي كان لـه أكبـر الأثـر فـي اتخـاذ القـرارات السـريعة والحازمـة لتحقيـق الأهـداف المرجـوة بأقـل قـدر مـن الخسـائر كمـا تتضـح جـدوى التوسـع فـي اسـتخدام الطائـرات المُسـيَّرة عنـد اشـتراكها مـع الطائـرات التقليديـة بالقـوات الجويـة فـي تنفيـذ مهامهـا المختلفـة؛ حيـث يقلـل التوسـع فـي اسـتخدامها مـن نسـب الخسـائر فـي الطائـرات والطيارين، وبالتالـي يزيـد مـن الكفـاءة القتاليـة للقـوات الجويـة.

لقـد أصبـح اسـتخدام الطائـرة المُسـيَّرة فـي أي صـراع قـد ينشـب مسـتقبلًا فـي العالـم ضـرورة ملحـة وبخاصـة فـي منطقـة الشـرق الأوسـط، لأهميتهـا وتطورهـا والتوسـع فـي اسـتخدامها، وكذلـك لسـعي العديـد مـن دول المنطقـة للحصـول علـى الأنـواع المناسـبة والمتطـورة منهـا، ونظـرًا لأهميتهـا ولدعمهـا أعمـال القتـال وللتطـور السـريع فـي خصائصهـا.

ثانيًا: استخدامات متعددة

تزامـن التفكيـر فـي ابتـكار وسـائل طائـرة بـدون عنصـر بشـري، كـي تسـهم فـي تقليـل الخسـارة الماديـة، وتُحـدّ مـن الخسـائر البشـرية. ومـع تسـارع عجلـة التكنولوجيـا خلال القرنيـن الماضييـن، خرجـت تلـك الفكـرة إلـى الوجـود، وشـهدت السـاحة الحديثـة تطـورًا هـائلًا فـي الطائـرات المُسـيَّرة باخـتلاف أنواعهـا وتعـدد مهامهـا وتنـوع اسـتخداماتها التـي تخـدم بشـكل رئيسـي مفاهيـم الكفـاءة الشـاملة والقـدرة العمليـاتية للجيـوش.

طائرة مُسيَّرة تعمل بواسطة التحكم بالراديو

عـام 1910، قـام كل مـن الدكتـور" بتـر كوبـر" و" ايمـر سـبري" باختـراع جيروسـكوب آلـي اسـتُخدم فـي تحويـل طائـرة البحريـة الأمريكيـة (N-9) إلـى أول طائـرة مُسـيَّرة تعمـل بواسـطة التحكـم بالراديـو.

بينمـا طُـوّرت أول طائـرة مُسـيَّرة بريطانيـة عـام 1917، تـم إجـراء أول تجربـة لطائـرة مُسـيَّرة أمريكيـة عـام 1918. وقـد بـدأت محـاولات إنتـاج الطائـرة المُسـيَّرة البريطانيـة عـام 1934 عندمـا نجحـت بريطانيـا فـي تجربـة الطائـرة "ملكـة النحـل"، وأُنتـج منهـا حوالـي420 طائـرة خلال عامـي -1934 1935، وتـم اسـتخدامها مـن قبـل البحريـة البريطانيـة بسـرعة 110 ميل/سـاعة ولمـدة طيـران بلغـت 4 سـاعات.

خلال عقـد الأربعينيـات، قامـت العديـد مـن الشـركات الأمريكيـة بتصميـم وإنتـاج طائـرات مُسـيَّرة، حيـث أجـرت شـركة "تليديـن ريـان" الأمريكيـة عـام 1951 تجاربهـا علـى الطائـرات المُسـيَّرة (Fire Bee) التـي تُعـدُّ الأكثـر اسـتخدامًا علـى الإطلاق. ومنـذ ذلـك الحيـن، أُنتـج مـا يزيـد علـى 7 آلاف طائـرة مـن مختلـف الأنـواع؛ لقدراتهـا الفائقـة علـى المنـاورة، وكذلـك حمـل مـا ترغبـه مـن أجهـزة ومعـدات طبقًـا للأوزان المسـموح بها.

كمـا اسـتُخدمت الطائـرات الموجهـة بـدون طيـار فـي تنفيـذ مهـام الاسـتطلاع خلال حـرب فيتنـام فـي نوفمبـر عـام 1955، وتنامـى دورهـا فـي الصراعـات الحديثـة، لقدرتهـا علـى تنفيـذ العديـد مـن المهـام، فتحـول أسـلوب اسـتخدامها مـن مجـرد تخيـل وفكـر محـدود إلـى حقيقـة ملموسـة متعـددة الجوانـب والأبعـاد.

ثالثًا: تصنيف وأنواع الطائرات المُسيَّرة

بعـد انتهـاء الحـرب البـاردة، اتجهـت كل الـدول، وخصوصًـا الكبـرى منهـا، إلـى الاهتمـام بالطائـرات المُسيَّرة واسـتخدامها في القيـام بمهـام عسـكرية عديـدة، **يمكـن تصنيفهـا علـى النحـو التالـي:**

1. **طبقًـا لإمكانيـات وقـدرات المنـاورة:** ينـدرج تحت هـذا التصنيـف كلًا مـن: الطائـرات يدويـة الإطـلاق، والطائـرات المُسـيَّرة التكتيكيـة، والطائـرات المضـادة للصواريـخ الباليسـتية، والطائـرات التـي تُطلـق مـن الجـو، وطائـرات الإقـلاع والهبـوط العمـودي، وطائـرات النقـل (سـواء للجرحـى أو للإمـدادات)، والطائـرات مُزدوجـة الاسـتخدام.

2. **وفقًـا للشـكل:** ينـدرج تحـت هـذا المعيـار كلًا مـن: الطائـرات ذات الأجنحـة الثابتـة، والطائـرات علـى شـكل الطائـرة المروحيـة، والطائـرات علـى أشـكال خداعيـة.

3. **مـن حيـث النـوع:** ينـدرج تحت هـذا التصنيـف كلًا مـن: الطائـرات متعـددة المـراوح (وهـي أكثـر أنـواع الطائـرات المُسـيَّرة شـيوعًا)، والطائـرات المُسـيَّرة الصغيـرة، وطائـرات ميكرودرونـز (حوالي 1082.5سـم)، والطائرات المُسـيَّرة التكتيكيـة، وطائـرات الاسـتطلاع المُسـيَّرة (وتُسـمى أيضًـا الطائـرات المُسـيَّرة طويلـة المـدى ذات الارتفاعـات العاليـة).

رابعًا: دور الطائرات المُسيَّرة في الحروب الحديثة

لقـد أصبحـت الطائـرات المُسـيَّرة العسـكرية واحـدة مـن أخطـر الأسـلحة التـي تتجـه الجيـوش الحديثـة للتوسـع فـي اسـتخدامها، لقدرتهـا علـى البقـاء فـي الجـو لسـاعات طويلـة، إضافـة إلـى قدرتهـا علـى تنفيـذ هجمـات ضـد عـدة أهـداف أرضيـة. وقـد لعبـت الطائـرات المُسـيَّرة دورًا بالـغ الأهميـة فـي الحـروب الحديثـة، وبخاصـة الحـرب الروسـية-الأوكرانية. فقـد كانـت مـن أبـرز الأدوات التـي أمكنهـا تغييـر مسـار المعـارك، ممـا دفـع القـوى الدوليـة والإقليميـة، (مثـل: الولايـات المتحـدة، وبريطانيـا، والصيـن، وروسـيا، وإسـرائيل، وتركيـا، وإيـران) لتكثيـف إنتاجهـا لهـا مـن أجـل اسـتخدامها فـي مختلـف الظـروف.

لقـد بـدأ ظهـور الطائـرات المُسـيَّرة فـي الترسـانة العسـكرية الإسـرائيلية فـي بدايـة السـبعينيات. وقـد حرصـت إسـرائيل علـى اسـتخدامها فـي كل عملياتهـا العسـكرية بالمنطقـة، ومنهـا الجبهـة السـورية فـي حـرب أكتوبـر 1973، لكنهـا فشـلت فـي اسـتخدامها ضـد القـوات المصريـة بفعـل منظومـة الدفـاع الجـوي المصـري التـي عُرفـت باسـم "حائـط الصواريـخ". كمـا بـرز دورهـا فـي الحـرب علـى لبنـان فـي عـام 1982، وبخاصـة فـي مجـالات الاسـتطلاع والاسـتخبارات والقصـف الجـوي، إضافـة إلـى المشـاركة في تدمير بطاريـات الصواريـخ "سـام" السـورية فـي سـهل البقـاع اللبنانـي. ولا تـزال تلـك الطائـرات المُسـيَّرة تلعـب دورًا رئيسًـيا فـي كل العمليـات الإسـرائيلية ضـد الفلسـطينيين؛ مـن قـذف المواقـع المسـتهدفة وتنفيـذ عمليـات اغتيـال منـذ عـام 2008.

كمـا كانـت الطائـرات المُسـيَّرة عنصرًا قويًـا للولايات المتحدة في حرب أفغانستان والحرب على الإرهاب، وكذلـك فـي إطـار الآلـة العسـكرية الأمريكيـة التـي اشـتركت فـي عمليـات حـرب تحريـر الكويـت عـام 1991، المعروفـة باسـم "عاصفـة الصحـراء".

لـم يحـدث فـي تاريـخ الحـروب أن اسـتُخدمت الطائـرات المُسـيَّرة بكثافـة مثلمـا حـدث في الحـرب الروسـية-الأوكرانية. وقـد تمثلـت أبـرز مهامهـا فـي: تنفيـذ الاسـتطلاع، ودعـم تحـركات القـوات، وتحديـد مواقـع القـوات والأسـلحة والمعـدات، وتوفيـر الإحداثيـات لتنفيـذ الضربـات، واكتشـاف وتحديـد أهـداف المدفعيـة، وتوفيـر المعلومـات الخاصـة بهـا مـع تصحيـح الأخطـاء، وتحديـد نتيجـة الضـرب، وتنفيـذ الضربـة الاسـتطلاعية، وهـي اسـتخدام الاسـتطلاع والقيـادة والسـيطرة لتنسـيق الضربـات الصاروخيـة أو المدفعيـة بعيـدة المـدى ضـد هـدف مهـم فـي أعمـاق العمليـات.

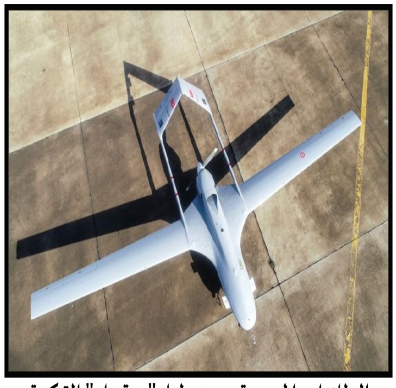

الطائرات الموجهة بدون طيار "بيرقدار" التركية

لقـد بـرز اسـتخدام القـوات الأوكرانيـة للطائـرات المُسـيَّرة بشـكل مكثـف في تلـك الحـرب، وبخاصـة فـي المراحـل الأولـى منهـا؛ حيـث رصـدت أرتـال القـوات الروسـية، وضربـت آلياتهـا عبـر الكمائـن باسـتخدام الجيـش الأوكرانـي، وتحديـدًا باسـتخدام

طائـرات "بيرقـدار" المُسـيَّرة تركيـة الصنـع، والتـي حصلـت عليهـا قبـل انـدلاع الحـرب. وقـد نشـر الجيـش الأوكرانـي تسـجيلًا مصـوّرًا يُظهـر هجومًـا بهـا ضـد رتـل عسـكري روسـي.

الطائرة المُسيَّرة الروسية Orionالقتالية

علـى الجانـب الآخـر، ظهـرت الطائـرات المُسـيَّرة الروسـية فـي كل مراحـل الحـرب، وبخاصـة الضربـة التـي أعلنـت عنهـا وزارة الدفـاع الروسـية فـي مـارس 2022؛ حيـن أطلقـت طائـرات مُسـيَّرة مـن طـراز " أوريـون " لتسـتهدف أهدافًـا عسـكرية وحيويـة أوكرانيـة مـن خلال: أعمـال الاسـتطلاع، وجمـع المعلومـات، وتنفيـذ الهجـوم، ومعاونـة أعمـال قتـال المدفعيـات والصواريـخ.

كما تصاعد استخدام الحوثيين للطائرات المُسيَّرة (وتحديـدًا الطائـرات المُسـيَّرة الإيرانيـة) بكثافـة فـي البحـر الأحمـر، وبخاصـة فـي المدخـل الجنوبـي، للهجـوم علـى السـفن المرتبطـة بإسـرائيل وحلفائهـا (التجاريـة وناقلات النفـط وحتـى السـفن الحربيـة الأمريكيـة)، تزامنًـا مـع تصعيـد الهجـوم الإسـرائيلي علـى قطـاع غـزة، الأمـر الـذي أثـر فـي حركـة الملاحـة والتجـارة الدوليـة مـع تهديـد الأمـن والسـلم الدولييـن، ممـا دفـع الولايـات المتحـدة وبريطانيـا لتشـكيل قـوة عسـكرية عُرفـت باسـم "حـارس الازدهـار" لحمايـة أمـن البحـر الأحمـر، وتوجيـه ضربـات للعديـد مـن الأهـداف الحيويـة الحوثيـة، ولا سيما أن طـول أمـد الحـرب قـد يجعـل مـن منطقـة البحـر الأحمـر بـؤرة للتوتـر.

الطائرة المُسيَّرة الحوثية "قاصف-1"

خامسًا: تغير قواعد الحرب الحالية وتأثيرات الطائرات المُسيّرة المستقبلية

نجحـت الطائـرات المُسـيَّرة فـي إثبـات أنهـا أعيـن القـوات المسـلحة فـي السـماء، وهـو مـا يصـدق للمدافع أو المهاجم على حد سواء. فقد تُستخدم -كمـا سـبق القـول- فـي مجـالات: الاسـتطلاع، وجمـع المعلومـات، ورصـد وتدميـر تحـركات القـوات، وتدميـر الأهـداف الحيويـة. كمـا أثبتـت أنهـا أداة رئيسـية ومفيـدة للغايـة لجميـع الفاعليـن فـي مختلـف ميادين الحـرب الحديثـة، وسـتظل حاضرة ومؤثـرة بقـوة لفتـرات زمنيـة ممتـدة؛ لأنهـا تكفـل الحمايـة مـن التهديـدات التكتيكيـة متزايـدة الخطـورة علـى مختلـف الاتجاهـات والمحـاور.

ارتباطًا بذلك، يجدر القول إن الدبابة كانت عنصرًا حسمًا رئيسًا في المعارك في مرحلة ما، ولكن الطائرات المُسيَّرة أضحت هي الآن واحدة من أبرز الأنظمة والأسلحة في الوقت الحاضر، وهو ما تأكد بشكل عملياتي واسع في الحرب الروسية-الأوكرانية، على الرغم من استخدام الطائرات المُسيَّرة القتالية في أماكن مختلفة حول العالم (مثل: العراق، وأفغانستان، وليبيا، واليمن، وغير ذلك).

وبشـكل عـام، فـإن الطائـرات المُسـيَّرة قـد قدمـت وستسـتمر فـي تقديـم أطـر جديـدة ستسـتخدم علـى صعيـد تخطيـط وتنفيـذ وإدارة الحـروب تكتيكيًـا واسـتراتيجيًا بعـد أن أضافـت مفاهيمًـا جديـدة فـي الحـروب والنزاعـات الحديثـة، وقـد وضـح ذلـك فـي الحـرب الروسـية-الأوكرانية، التـي تعتبـر هـي أول حـرب عسـكرية تُقـدم عرضًـا دراماتيكيًـا لـكل مـن قـدرات وحـدود تكنولوجيـا الطائـرات المُسـيَّرة، ممـا يدفعنـا للتأكيـد أنهـا لـن تكـون الحـرب الأخيـرة التـي سـتقوم فيهـا المُسـيَّرات بـدور جوهـري فـي الحـروب الحديثـة. كمـا قدمـت وسـتقدم تلـك الحـرب عـددًا مـن الـدروس الأولية التـي سـتؤثر حتمًـا فـي تفكيـر القـادة العسـكريين وهيئـة القيـادة والمخططيـن وصانعـي السياسـات العسـكرية وشـركات التصنيـع العسـكري. وبينمـا تسـتمر الحـرب فـي أوكرانيـا، قـد تظهـر أسـاليب جديـدة وأجيـال جديـدة مـن الطائـرات المُسـيَّرة مـع التقـدم العلمـي والتكنولوجـي الكبيـر، ممـا قـد يجعـل لهـا الكلمـة العليـا فـي حسـم الحـروب ارتباطًـا بنجاحاتهـا فـي تحقيـق مهامهـا ونتائجهـا العليـا علـى كل الأصعـدة جـوًا وبـرًا وبحـرًا، وفـي أوقـات السـلم والحـرب.

الخاتمـة، لقـد اكتسـبت الطائـرة المُسـيَّرة مكانـة مهمـة فـي الآونـة الأخيـرة؛ نظـرًا للـدور الكبيـر الـذي لعبتـه فـي الحـروب والصراعـات المسـلحة، وقـد كان للمجـال العسـكري نصيـب وافـر فـي تطويرهـا وتنـوع اسـتخدامها للقيـام بالمهـام المختلفـة (عسـكريًا ومدنيًـا)، ولـذا فرضـت الطائـرات المُسـيَّرة نفسـها علـى المشـهدين السياسـي والعسـكري مؤخـرًا، وسـط إقبـال كثيـر مـن الـدول علـى الدخـول فـي نـادي المصنعيـن أو المالكيـن لهـا، بسـبب قدرتهـا العاليـة علـى تنفيـذ مهـام الاسـتطلاع والاسـتخبارات والعمليـات الهجوميـة وتقليـل الخسـائر البشـرية، إضافـة إلـى تكلفتهـا المتواضعـة رغـم مميزاتهـا المتعـددة مقارنـة بغيرهـا مـن الطائـرات. وقـد وضـح دورهـا وتأثيرهـا الكبيـر فـي العديـد مـن الحـروب خاصـة الحـرب الروسـية-الأوكرانيـة، الأمـر الـذي سـيجعلها سـببًا رئيسًـا فـي مراجعـة دليـل الحـرب الحديثـة فـي الوقـت الحالـي وينـذر بتزايـد أدوارهـا فـي الحـروب المسـتقبلية.

اتفاق إثيوبيا و"أرض الصومال": أسباب وتداعيات مساعي إثيوبيا لامتلاك ميناء على البحر الأحمر

بـدأ عـام 2024 باضطرابـات سياسـية فـي منطقـة القـرن الأفريقـي، ففـي اليـوم الأول مـن هـذا العـام، وقّـع رئيـس الـوزراء الإثيوبـي "آبـي أحمـد" مذكـرة تفاهـم مـع رئيـس أرض الصومـال "موسـى بيهـي عبـدي"، تُمنـح بموجبهـا إثيوبيـا، وهـي دولـة غيـر ساحلية، إمكانيـة الوصـول التجـاري والعسـكري المباشـر إلـى البحـر الأحمـر، بعـد أن وافقـت أرض الصومـال علـى اسـتئجار ميناء عسـكري فـي خليـج عـدن و20 كـم مـن سـاحلها لصالـح إثيوبيـا لمـدة 50 عامًـا. ويزعـم عـدد مـن المسـئولين فـي أرض الصومـال، بمـن فيهـم رئيسـها، أن إثيوبيـا وعـدت بالاعتـراف بـأرض الصومـال رسـميًا كدولـة ذات سـيادة، بجانـب الحصـول علـى جـزء مـن أسـهم شـركة الطيـران الرئيسـية فـي إثيوبيـا، والمعروفـة باسـم "الخطـوط الجويـة الإثيوبيـة".

أ. أسماء عادل

باحثة بوحدة الدراسات الأفريقية،

بالمركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية

ومن الجدير بالذكر أن أرض الصومال هي منطقة تتمتع بالحكم الذاتي داخل الصومال منذ عام 1991، ولا يحظى استقلالها عن مقديشو بالاعتراف الدولي. فإن اعترفت بها إثيوبيا، كانت بذلك هي أول دولة في أفريقيا تعترف بأرض الصومال كدولة مستقلة، والدولة الثانية في العالم بعد تايوان التي تتمتع بالحكم الذاتي، وتفتقر بدورها إلى الاعتراف الدولي.

أولًا: المُحددات الحاكمة

تعد مذكرة التفاهم بيان نوايا، وليست اتفاقًا ملزمًا قانونيًا، لكن ما يبدو واضحًا منها هو أن أرض الصومال مستعدة لمنح إثيوبيا إمكانية الوصول إلى البحر من أجل حركة مرور سفنها التجارية عبر أحد الموانئ في البلاد. وهو ما يثير التساؤلات عن العوامل الدافعة لكلا الجانبين لإبرامها، **وهي العوامل التي يمكن استعراضها على النحو التالي:**

1. الأسباب والعوامل الداخلية الإثيوبية:

يحاول "آبي أحمد"، من خلال مذكرة التفاهم مع أرض الصومال، تحويل الأنظار عن الأزمات الإثيوبية الداخلية، وتخفيف الضغط على الحكومة الإثيوبية، وذلك في ظل تعدد التحديات التي تواجه إثيوبيا، **والتي يمكن الوقوف على أبرزها على النحو التالي:**

المعضلة الجغرافية: تُعد إثيوبيا، التي يبلغ عدد سكانها حوالي 120 مليون نسمة، أكبر دولة غير ساحلية في العالم من حيث عدد السكان، وقد فقدت ساحلها عندما انفصلت عنها إريتريا عام 1993. وعلى مدى العقدين الماضيين، شددت الإدارات الإثيوبية المتعاقبة على أن البلاد تعتمد بشكل مفرط على ميناء جيبوتي المجاور، حيث تمر 95% من وارداتها وصادراتها عبر جيبوتي. وقد بحثت أديس أبابا عن طرق لتنويع شركائها التجاريين في المنطقة، ولقد أعطى صعود "آبي أحمد" دفعة جديدة للطموحات الرامية للإطلال على البحر مجددًا، إذ يتصور أن بلاده ستصبح قوة بحرية مستقبلية. وربما تكون التوترات بين إثيوبيا وجيبوتي، والتي ترجع جزئيًا إلى الشكاوى الإثيوبية بشأن رسوم ميناء جيبوتي والبيروقراطية المفرطة، عاملًا حاسمًا في حسابات "آبي أحمد". وفي خطاب متلفز، في 13 أكتوبر 2023، وصف رئيس الوزراء الإثيوبي استعادة بلاده للإطلالة البحرية بأنها مسألة ذات أهمية وجودية متنامية. واعتبر العديد من المسئولين الإقليميين والدوليين خطابه هذا بمثابة تهديد ضمني بغزو إريتريا والاستيلاء على ميناء عصب الجنوبي، وإن نفى "آبي أحمد" -بعد مناشدات دبلوماسية هادئة- احتمالية ذلك[1].

- **هشاشة الأوضاع الداخلية منذ الحرب الأهلية:** اندلعت الحرب الأهلية في إثيوبيا عام 2020 بين الحكومة الفيدرالية الإثيوبية بقيادة "آبي أحمد" وجبهة تحرير شعب التيجراي. وقد أدت الحرب إلى مقتل الآلاف ونزوح الملايين، كما تسببت في أزمة إنسانية كبرى. وفي نوفمبر 2022، تم توقيع اتفاق لوقف إطلاق النار بين الحكومة الفيدرالية الإثيوبية وجبهة تحرير شعب التيجراي، مما أنهى حربًا استمرت لمدة عامين، ومع ذلك لا يزال الوضع السياسي في إثيوبيا هشًا للغاية.

- **الأوضاع الاقتصادية المأزومة:** تواجه إثيوبيا أزمة اقتصادية خانقة، تفاقمت بسبب الحرب الأهلية وجائحة "كوفيد19-". وقد أدى ذلك إلى: ارتفاع معدلات الفقر، وتزايد معدلات البطالة، ونقص الخدمات الأساسية. كما أن إثيوبيا دولة نامية تعتمد بشكل كبير على التجارة الدولية، ويحد اعتمادها على جيبوتي من تجارتها الحرة، بسبب ارتفاع تكاليف النقل من ناحية، وازدحام ممر أديس-جيبوتي من ناحية ثانية، وتأخر وبطء حركة التجارة من ناحية ثالثة، وتعرضها لضغوط سياسية واقتصادية من ناحية رابعة. لذلك، يُعدّ الوصول إلى البحر ضرورة للتنمية الاقتصادية وخلق فرص عمل جديدة[2].

- **التوترات العرقية:** تفاقمت التوترات العرقية في إثيوبيا بسبب الحرب الأهلية، وقد أدى ذلك إلى أعمال عنف واحتجاجات واسعة النطاق، إذ يشهد إقليم أمهرة في إثيوبيا احتجاجات متواصلة منذ شهور ضد الحكومة الإثيوبية، حيث يطالب المحتجون بإعادة ترسيم الحدود بين إقليم أمهرة وإقليم تيغراي، بما يتوافق مع أوضاع ما قبل الحرب. كما يطالب المحتجون بإطلاق سراح المعتقلين السياسيين من الإقليم، ويعتقدون أن الأمهريين تعرضوا للتهميش السياسي والاقتصادي من قبل الحكومة الفيدرالية.

2. أسباب أرض الصومال ودوافعها:

على الرغم من غياب الاعتراف الدولي بأرض الصومال التي انفصلت عن الصومال بشكل منفرد في مايو 1991، إلا أنها تحظى بسمعة جيدة، وتحرص على ترسيخ العملية الديمقراطية في إقليم القرن الأفريقي، بيد أنها تشهد عدة توترات سياسية في الآونة الأخيرة، بسبب الخلاف حول الانتخابات، فقد كان من المقرر إجراء انتخابات رئاسية في أرض الصومال عام 2023، لكنها تأجلت عدة مرات بسبب خلافات بين الأحزاب السياسية حول كيفية إجرائها. وقد أدى ذلك إلى احتجاجات واسعة النطاق واتهامات بالتزوير، كما تتصارع الحكومة والمعارضة حول كيفية إدارة البلاد، فبينما تتهم المعارضة الحكومة بالفساد وعدم الكفاءة، وتتهم الحكومة المعارضة بتقويض الاستقرار[3].

واتصالًا بما سبق، يحاول رئيس أرض الصومال تخفيف التوترات السياسية المتصاعدة في أرض الصومال من خلال عدة تحركات منها: التشاور مع قادة المعارضة، والتعهد بإجراء انتخابات حرة، والعمل على تعزيز صورته في الداخل والخارج من خلال إبرام صفقة مع إثيوبيا، لكونها ستؤدي إلى تهدئة الداخل بإظهار قدرة الحكومة على تحقيق مكاسب، وخلق فرص عمل جديدة، وتخفيف حدة الفقر.

ثانيًا: المكاسب المتبادلة

تتعدد المكاسب التي ستعود على إثيوبيا وأرض الصومال جرَّاء التوقيع على مذكرة التفاهم سالفة الذكر، **وهي المكاسب المحتملة التي يمكن الوقوف عليها على النحو التالي:**

- **تعزيز العلاقات المشتركة:** مع تطور مذكرة التفاهم إلى اتفاقية رسمية، من المقرر أن تُمثل إثيوبيا بوابة سياسية قوية للعلاقات الخارجية لأرض الصومال، ومن المحتمل أن يؤدي هذا إلى تعزيز العلاقات الدبلوماسية بين البلدين بشكل كبير، بل وتعزيز ظهور أرض الصومال على الساحة الدولية. كما لا يحمل الاتفاق أهمية سياسية فحسب، بل يمهد أيضًا الطريق لجهود تعاونية في مختلف القضايا الإنسانية الملحة، من خلال التصدي المشترك لتحديات مثل الجفاف والمجاعة والنزوح[4].

- **التعاون في المجال الأمني:** يدور جانب مهم من هذه الاتفاقية حول التحديات الأمنية المشتركة التي تواجهها إثيوبيا وأرض الصومال، فلطالما عانى القرن الأفريقي من صراعات وتوترات تاريخية، حيث تواجه كلتا الدولتين تهديدات من الجماعات المتطرفة في المنطقة، ويعتبر التعاون في مجال تبادل المعلومات ذات الصلة بمكافحة الإرهاب ضرورة لمكافحة هذه التهديدات من خلال توحيد مواردهما، إذ يمكن لإثيوبيا وأرض الصومال المساهمة بشكل كبير في منع الصراع وتعزيز الأمن في المنطقة[5]. كما لا يقتصر التعاون بينهما على مكافحة الجماعات المتطرفة فحسب، إذ يشمل أيضًا التعاون في المجال الأمني (إدارة وتأمين الحدود المشتركة)، لمنع الأنشطة غير القانونية، مثل التهريب والاتجار بالبشر وغير ذلك من جرائم عابرة للقومية قد تزعزع استقرار المنطقة. ويمتد الاتفاق بين البلدين إلى مكافحة التهديدات البحرية بشكل تعاوني، من خلال تبادل المعلومات وتنسيق الدوريات وتنفيذ آليات الاستجابة المشتركة، لحماية الممرات البحرية الحيوية بشكل فعال، وضمان حرية التجارة، ومنع الأعمال الإرهابية التي قد تُعطل الأنشطة البحرية.

- **التعاون الاقتصادي والاستفادة من الموانئ:** إن المبدأ الأساسي الذي يقوم عليه الاتفاق بين إثيوبيا وأرض الصومال هو المصلحة الاقتصادية المشتركة، وبما يتوافق مع رؤية أرض الصومال للتنمية الاقتصادية والاكتفاء الذاتي. ومع تحول مذكرة التفاهم إلى اتفاقية رسمية، فمن المقرر أن تستفيد إثيوبيا من موانئ أرض الصومال في ظل تنشيط حركتي الاستيراد والتصدير، فالموقع الاستراتيجي لأرض الصومال على طول البحر الأحمر يجعل منها بوابة محورية للتجارة الإثيوبية. ويضمن هذا التعاون المتبادل تدفقًا سلسًا للسلع، مما يُقلل من أوقات النقل، ويرفع الكفاءة اللوجستية، ويعزز في النهاية التوقعات الاقتصادية لكلا البلدين[6]. كما أن جزءًا لا يتجزأ من اتفاق البحر الأحمر بين إثيوبيا وأرض الصومال هو التزام الأولى بلعب دور محوري في تنمية البنية التحتية للثانية، وبالتالي خلق تعزيز التعاون الاقتصادي والنمو.

ثالثًا: ردود الأفعال على مذكرة التفاهم المُوقّعة

أثارت مذكرة التفاهم بين إثيوبيا وأرض الصومال جدلًا واسعًا، فقد أعربت العديد من الدول عن قلقها من آثارها المحتملة على استقرار المنطقة. **وبشكل عام، يمكن استعراض أبرز المواقف الإقليمية والدولية من مذكرة التفاهم تلك على النحو التالي:**

- **موقف الحكومة الصومالية:** استدعت مقديشو سفيرها لدى إثيوبيا، ووصفت الصومال ذلك الاتفاق بأنه "عمل عدواني"، لأنها تعتبر أرض الصومال جزءًا من أراضيها، فرفضت الاتفاق الموقع بين الجانبين، لأنه يُشكل هجومًا مباشرًا على سيادتها واستقلال أراضيها. كما وقع الرئيس الصومالي "حسن شيخ محمود" في السادس من يناير 2024 قانونًا يلغي الاتفاقية بين إثيوبيا وأرض الصومال. ولم تسمح السلطات الصومالية بطيران رحلة تابعة للخطوط الجوية الإثيوبية، كانت تقل وفدًا إثيوبيًا رفيع المستوى إلى هرجيسا (عاصمة أرض الصومال)، لإجراء مناقشات حول المذكرة[7]. وهو الموقف الذي أيدته ردود الفعل الإقليمية والدولية إلى حد كبير، لأن الاتفاق يتعارض مع مبادئ الحفاظ على سلامة الأراضي والسيادة وعدم التدخل في الشئون الداخلية.

- **موقف الشارع الصومالي:** انطلقت مسيرة احتجاجية في العاصمة الصومالية في 11 يناير 2024، لمناهضة الصفقة التي تم إبرامها بين الجانبين.

- **دول الجوار:** أدى سعي "آبي أحمد" للوصول إلى البحر إلى إثارة قلق الجارتين جيبوتي وإريتريا، اللتين يبدو أنهما وقفتا إلى جانب مقديشو. وعلى الرغم من أن حكومة إريتريا التزمت الصمت بشأن الصفقة، إلا أن الرئيس "أسياس أفورقي" دعا الرئيس الصومالي لزيارة أسمرة. كما عارضت جيبوتي، التي تربطها علاقات ودية مع أرض الصومال على الرغم من منافستها التجارية، بقوة مذكرة يناير 2024، وقد تحملت جيبوتي ديونًا صينية كبيرة لتحسين الطريق الذي

يربط ميناءها بإثيوبيا، على اعتبار أن حجمًا كبيرًا من التجارة سيستمر في العبور، وستخسر إيرادات كبيرة من رسوم الميناء إن صمدت الصفقة[8].

- **موقف مصر:** أكدت مصر على ضرورة احترام وحدة الصومال وسلامة أراضيه. وفي 20 يناير 2024، دعا الرئيس المصري "عبد الفتاح السيسي" الرئيس الصومالي لزيارة القاهرة، وتعهد بالدفاع عن الصومال إن طُلب منه ذلك. كما أصدرت وزارة الخارجية المصرية بيانًا أكدت فيه ضرورة الاحترام الكامل لسيادة الصومال وحقه في استغلال موارده. ويعكس موقف مصر مخاوفها من عدم الاستقرار الإقليمي المحتمل جرَّاء الاتفاق[9].

- **موقف تركيا:** في الخامس من يناير 2024، أصدرت وزارة الخارجية التركية بيانًا أدانت فيه بشدة توقيع إثيوبيا على مذكرة التفاهم مع إقليم أرض الصومال، كما أكدت تركيا على ضرورة احترام سيادة ووحدة أراضي الصومال، وأعربت عن دعمها لمقديشو في حربها ضد الإرهاب، وشددت على استمرار التعاون بين البلدين. كما وقعت تركيا والصومال اتفاقية إطارية للتعاون في مجالات الدفاع والاقتصاد ومكافحة الإرهاب في 8 فبراير 2024. وبموجب الاتفاق، ستوفر تركيا التدريب والمعدات للبحرية الصومالية حتى تتمكن من حماية مياهها الإقليمية بشكل أفضل من التهديدات مثل الإرهاب والقرصنة و"التدخل الأجنبي"[10].

- موقف منظمة "الإيجاد": أصدرت الهيئة الحكومية للتنمية (إيجاد) بيانًا رفضت فيه الانحياز لأي طرف من أطراف الأزمة، كما دعت جميع الأطراف إلى ضبط النفس والتعاون من أجل التوصل إلى حل سلمي وودي.

- **موقف الاتحاد الأفريقي:** في 4 يناير 2024، أصدر رئيس مفوضية الاتحاد الأفريقي "موسى فقيه محمد" بيانًا بشأن الأزمة بين إثيوبيا والصومال، وقد دعا فيه إلى التهدئة والاحترام المتبادل بين إثيوبيا والصومال لخفض التوتر المتصاعد، كما طالب الأطراف بالتفويض لتسوية الخلاف من خلال الحوار، وشدد على ضرورة احترام وحدة وسيادة الأراضي والسيادة الكاملة لجميع الدول الأعضاء في الاتحاد الأفريقي، كما أعرب عن دعمه لجهود الوساطة التي تقودها هيئة التنمية الحكومية لشرق أفريقيا (إيجاد).

- **موقف الجامعة العربية:** دعمت الجامعة العربية، التي يُعدُّ الصومال عضوًا فيها، مقديشو ضد إثيوبيا، واتهمت أديس أبابا بمحاولة انتهاك السيادة الصومالية، ووصفت ذلك بأنه انتهاك للقانون الدولي، وتهديد لسلامة أراضي الصومال.

- **المواقف الدولية:** أعرب الشركاء التقليديون، مثل الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة، عن دعمهم القوي للصومال، فأصدر الاتحاد الأوروبي بيانًا مُوجهًا إلى إثيوبيا، أكد فيه أهمية احترام وحدة الصومال وسيادته وسلامة أراضيه. كما أصدرت وزارة الخارجية الأمريكية بيانًا أعربت فيه عن قلقها بشأن الاتفاق، وحثت جميع الأطراف المعنية على الدخول في حوار دبلوماسي. هذا، وتتخوف الولايات المتحدة الأمريكية من أن اعتراف إثيوبيا المحتمل بأرض الصومال سيعرقل جهود مكافحة حركة الشباب الإرهابية[11].

رابعًا: التداعيات المُحتملة

لقد استنكرت أغلب المواقف الإقليمية والدولية مذكرة التفاهم التي تم توقيعها بين إثيوبيا وأرض الصومال، ويمكن تفسير ذلك في ضوء عدد من الاعتبارات، **على النحو التالي:**

- **جدلية الاعتراف بالأراضي الانفصالية:** إن مذكرة التفاهم التي تم توقيعها بين إثيوبيا وأرض الصومال قد تعني نيل الاعتراف الذي طال انتظاره له. ومع ذلك أوضحت إثيوبيا أن الاتفاق المُوقع مطلع العام الجاري لا يعترف تلقائيًا بأرض الصومال، بل يمثل "نقطة البداية للمفاوضات"، وستحتاج عملية الاعتراف إلى تقييم متعمق ومداولات برلمانية، كما أنه إذا اعترفت إثيوبيا بأرض الصومال كدولة، فإن ذلك سيشكل سابقة للاعتراف بالأراضي الانفصالية، ويمكن أن يحفز المناطق الأخرى على أن تحذو حذوها[12].

- **احتمالية تراجع جهود مكافحة الإرهاب:** قد يؤدي توتر العلاقات بين الصومال وإثيوبيا إلى احتمالية قيام إثيوبيا باتخاذ قرار بسحب القوات الإثيوبية المشاركة في مكافحة حركة الشباب الإرهابية التي تنشط في الصومال. وقد تستغل حركة الشباب توترات العلاقات بين إثيوبيا والصومال لتوسيع نشاطها في المنطقة. ونجد أن حركة الشباب الإرهابية أعلنت رفضها القاطع للاتفاق المبرم، واصفة إياه بالخطوة "غير القانونية" التي تنتهك السيادة الصومالية. ويُشير البيان الصادر عن المتحدث الرسمي باسم الحركة "علي محمود راجي" إلى أن الاتفاق مدعوم من "المرتدين والخونة"، ويهدف إلى "غزو" الصومال. وتُهدد حركة الشباب باستهداف تنفيذ الاتفاق، داعيةً جميع الصوماليين إلى "الوقوف دفاعًا عن بلادهم" و"القتال ضد الغزاة". فقد تستغل حركة الشباب الاتفاق المبرم لإثارة مشاعر العداء تجاه إثيوبيا، وقد تحشد وتجند مزيدًا من المقاتلين، لشن "حرب دينية" ضدها، مما قد يفاقم الأزمة في الصومال والمنطقة بأكملها[13].

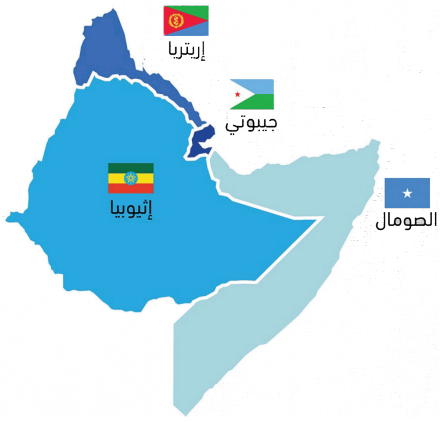

- **توتـر علاقـات إثيوبيـا مـع دول القـرن الأفريقـي:** قـد تواجـه إثيوبيـا توتـرات إقليميـة مـع الحكومـة الصوماليـة إن اعترفـت باسـتقلال أرض الصومـال، كمـا يمكـن أن تتبنـى دول إقليميـة ودوليـة نفـس الموقـف الإثيوبـي، وهـو مـا سـيؤدي إلـى تشـجيع الحـركات الانفصاليـة فـي إقليـم القـرن الأفريقـي، ومفاقمـة الصراعـات في المنطقـة. كمـا قـد يـؤدي الاتفـاق إلـى حرمـان جيبوتـي مـن مكانتهـا كميناء رئيسـي لإثيوبيـا. لـذا، قـد تخشـى إريتريـا مـن أطمـاع إثيوبيـا التوسـعية في المنطقـة. كمـا تخشـى بعـض الـدول مـن أن يـؤدي وصـول إثيوبيـا إلـى البحـر إلـى تفاقـم الصراع في المنطقـة، خاصـة مـع وجـود نـزاع إقليمـي بيـن إثيوبيـا ومصـر والسـودان بشـأن سـد النهضـة[14].

- **المخاطـر المرتبطـة بوجـود إثيوبيـا العسـكري فـي البحـر الأحمـر:** يوجـد بمنطقـة مدخـل البحـر الأحمـر العديـد مـن القواعـد العسـكرية التابعـة للعديـد مـن القـوى الدوليـة والإقليميـة، فتضـم جيبوتـي وحدهـا 6 قواعـد عسـكرية أجنبيـة، مـن بينهـا: أكبـر قاعـدة عسـكرية أمريكيـة فـي أفريقيـا، والقاعـدة العسـكرية الوحيـدة للصيـن خـارج حدودهـا، وأول قاعـدة عسـكرية خارجيـة لليابـان منـذ الحـرب العالميـة الثانيـة، وأهـم وحـدة عسـكرية فرنسـية فـي أفريقيـا، كمـا تضـم قواعـد لإسـبانيا وإيطاليـا. فـي حيـن تسـعى دول، مثـل روسـيا وتركيـا، إلـى توسـيع وجودهـا العسـكري البحـري، بالتعـاون مـع دول المنطقـة. وتسـعى هـذه الـدول مـن خلال قواعدهـا العسـكرية إلـى حمايـة مصالحهـا الاسـتراتيجية فـي المنطقـة، وتوسـيع نفوذهـا السياسـي والعسـكري، إلـى جانـب الأهـداف المعلَنـة، كالتصـدي لظاهـرة القرصنـة ومكافحـة الإرهـاب، وتأميـن الطريـق التجاريـة البحريـة المـارة بالبحـر الأحمـر[15].

ويأتـي الاتفـاق بيـن إثيوبيـا وأرض الصومـال فـي لحظـة حاسـمة للأمـن البحـري فـي المنطقـة فـي ضـوء تصاعـد هجمـات الحوثييـن علـى السـفن التجاريـة فـي منطقتـي البحـر الأحمـر وبـاب المنـدب، والتـي بـدأت في منتصـف أكتوبـر 2023، وهـو مـا أدى إلـى تراجـع معـدلات المـرور التجـاري البحـري بنسـبة 90٪ تقريبًـا مـع قيـام العديـد مـن عمالقـة الشـحن الرئيسـيين بتعليـق العبـور عبـر البحـر الأحمـر. وهـو مـا دفـع الولايـات المتحـدة لإطلاق "عمليـة حـارس الازدهـار" فـي منتصـف ديسـمبر 2023، وهـي تحالـف متعـدد الجنسـيات تحـت تفويـض قـوة المهـام المشـتركة 153 ومقرهـا البحريـن، في محاولـة لتقليـل التهديـدات التـي يتعـرض لهـا الأمـن البحـري فـي المنطقـة واسـتعادة تدفـق الملاحـة البحريـة.

- وفـي ضـوء المعطيـات السـابقة، يمكـن القـول إن العمليـات التـي ينفذهـا الحوثيـون فـي البحـر الأحمـر، وتشـكيل تحالـف بحـري جديـد فـي منطقـة مكتظـة بالوجـود العسـكري الدولـي، بالإضافـة إلـى رغبـة إثيوبيـا فـي التواجـد العسـكري فـي البحـر الأحمـر، كلهـا مؤشـرات علـى تزايـد احتماليـة وقـوع اشـتباكات بيـن القـوة البحريـة الإثيوبيـة مـع القـوات البحريـة للـدول الأخـرى الرافضـة للاتفـاق بيـن إثيوبيـا وأرض الصومـال، مـا قـد يـؤدي إلـى تصعيـد إقليمـي وزعزعـة اسـتقرار المنطقـة[16].

ختامًـــا، تسـعى إثيوبيـا إلـى توسـيع رقعتهـا الجغرافيـة الضيقـة الحبيسـة علـى حسـاب دول الجـوار، مـن خلال إيجـاد منفـذ دائـم علـى البحـر الأحمـر، بهـدف تأميـن تواصلهـا مـع العالـم الخارجـي، وتحقيـق أهدافهـا في إقليـم القـرن الأفريقـي، حيـث تسـعى إثيوبيـا لأن تصبـح قـوة إقليميـة مهيمنـة ذات اقتصـاد كبيـر فـي قـارة أفريقيـا. وقـد يـؤدي توسـيع إثيوبيـا لنفوذهـا علـى حسـاب دول الجـوار إلـى حالـة مـن عـدم الاسـتقرار في العلاقـات مـع تلـك الـدول، وقـد يصـل الأمـر إلـى صـراع مفتـوح إن تهـدد تواصـل إثيوبيـا مـع العالـم الخارجـي.

المصـــــــادر

1. Aleksi Ylönen, On the Edge: the Ethiopia-Somaliland MoU, Italian Institute for International Political Studies, January 30, 2024, Available at: https://www.ispionline.it/en/publication/on-the-edge-the-ethiopia-somaliland-mou-162032
2. Gonzalo Vázquez, The Ethiopia-Somaliland agreement and the enduring relevance of sea power, Center for Global Affairs & Strategic Studies (GASS), January 16, 2024, Available at:https://www.unav.edu/web/global-affairs/the-ethiopia-somaliland-agreement-and-the-enduring-relevance-of-sea-power
3. The Complexities of the Somaliland-Ethiopia Sea Access Deal, The Armed Conflict Location & Event Data Project (ACLED), January 15, 2024, Available at: https://acleddata.com/2024/01/26/somalia-situation-update-january-2024-the-complexities-of-the-somaliland-ethiopia-sea-access-deal/
4. IntelBrief: Tensions Growing Between Ethiopia and Somalia Over Somaliland Port Deal, The Soufan Center (TSC), January 11, 2024, Available at: https://thesoufancenter.org/intelbrief-2024-january-11
5. Harlan Hutt, The Ethiopia-Somaliland agreement: Reshaping the political order in the Horn of Africa, MCGill Journal of Political Studies, February 19, 2024, Available at: https://mjps.ssmu.ca/2024/02/19/the-ethiopia-somaliland-agreement-reshaping-the-political-order-in-the-horn-of-africa
6. Mehari Taddele, Unveiling the Ethiopia-Somaliland MoU: Hopes and Uncertainties, The Reporter, January 27, 2024, Available at: https://www.thereporterethiopia.com/38431/
7. Maxwell Webb, What the Ethiopia-Somaliland deal means for Washington's strategy in the Red Sea, Atlantic council, February 22, 2024, Available at: https://www.atlantic-council.org/blogs/africasource/what-the-ethiopia-somaliland-deal-means-for-washingtons-strategy-in-the-red-sea/
8. Teresa Nogueira Pinto, Ethiopia-Somaliland deal risks regional tensions, Geopolitical Intelligence Services, February 21, 2024, Available at: https://www.gisreportsonline.com/r/ethiopia-somaliland
9. Beatrice Farhat, Ethiopia-Somaliland deal receives wide condemnations, including from Egypt, Turkey, Al- Monitor, January 4, 2024, Available at: https://www.al-monitor.com/originals/2024/01/ethiopia-somaliland-deal-receives-wide-condemnations-including-egypt-turkey
10. Intel Brief: New port agreement between Ethiopia and Somaliland triggers tensions in the Horn of Africa, Dyami, January 12, 2024, Available at: https://www.dyami.services/post/intel-brief-new-port-agreement-between-ethiopia-and-somaliland-triggers-tensions-in-the-horn-of-afr
11. Gonzalo Vázquez, The Ethiopia-Somaliland agreement and the enduring relevance of sea power, Center for Global Affairs & Strategic Studies (GASS), January 16, 2024, Available at:https://www.unav.edu/web/global-affairs/the-ethiopia-somaliland-agreement-and-the-enduring-relevance-of-sea-power
12. Nolan Stout, White House concerned over Ethiopia-Somaliland agreement, Courthouse News Service, January 16, 2024, Available at: https://www.courthousenews.com/white-house-concerned-over-ethiopia-somaliland-agreement/
13. Samir Bhattacharya, Understanding Ethiopia's port deal with Somaliland and its geopolitical implications, Observer Research Foundation, January 25, 2024, Available at: https://www.orfonline.org/research/understanding-ethiopia-s-port-deal-with-somaliland-and-its-geopolitical-implications
14. Jutta Bakonyi, Somaliland-Ethiopia port deal: International opposition flags complex Red Sea politics, The Conversation, February 7, 2024, Available at: https://theconversation.com/somaliland-ethiopia-port-deal-international-opposition-flags-complex-red-sea-politics-221131
15. Anita Powell, White House 'Troubled' by Deal Between Ethiopia and Breakaway Somaliland Region, VOA, January 16, 2024, Available at: https://www.voanews.com/a/white-house-troubled-by-deal-between-ethiopia-and-breakaway-somaliland-region-/7443248.html
16. Alemayehu Weldemariam, Ethiopia's deal with Somaliland upends regional dynamics, risking strife across the Horn of Africa, The Conversation, January 13, 2024, Available at: https://theconversation.com/ethiopias-deal-with-somaliland-upends-regional-dynamics-risking-strife-across-the-horn-of-africa-220617

قراءة في قرارات محكمة العدل الدولية ضــد إسرائيــل

إن محكمة العدل الدولية هي إحدى الهيئات التابعة لمنظمة الأمم المتحدة، وهي الهيئة القضائية الرئيسة لمنظمة الأمم المتحدة، ويقع مقرها في "لاهاي" بهولندا، وهي الجهاز الوحيد من بين الأجهزة الستة للأمم المتحدة الذي لا يقع في نيويورك. وقد أُسست عام 1945، وإن بدأت أعمالها في العام التالي لتحل محل المحكمة الدائمة للعدالة الدولية[1] . هذا، ويجدر التمييز ما بين محكمة العدل الدولية والمحكمة الجنائية الدولية[2] .

لواء.أ.ح.طيار/عماد عبد المحسن
مستشار بمركز الدراسات الاستراتيجية للقوات المسلحة
أكاديمية ناصر العسكرية العليا

وبشكل عام، تَفْصل محكمة العدل الدولية في النزاعات القانونية التي تنشأ بين الدول طبقًا لأحكام القانون الدولي، كما تمارس وظيفةً استشارية من خلال إصدار الفتاوى للجهات التي تحال إليها من هيئات الأمم المتحدة ووكالاتها المتخصصة، ومن المعلوم أن الولايات المتحدة الأمريكية سحبت اعترافها بالسلطة القضائية لهذه المحكمة، مما يعني أنها تلتزم فقط بما تقبله من قرارات المحكمة.

ومؤخرًا، وبسبب الحرب الإسرائيلية على غزة، تقف العدالة الدولية أمام اختبار صعب وتاريخي في ظل العدوان الذي تشنه قوات الاحتلال الإسرائيلي على القطاع، والذي خلّف أكثر 29 ألف شهيد، وعشرات الآلاف من المفقودين والجرحى، هذا علاوة على النزوح القسري لأكثر من 1,9 مليون فلسطيني داخل القطاع، فضلًا عن الحصار اللاإنساني.

وفي ضوء ما سبق، سوف نعرض إلى محكمة العدل الدولية كإحدى الهيئات المهمة والرئيسة في الأمم المتحدة من حيث: تكوينها، وتشكيلها، واختصاصاتها، والدورين القضائي والاستشاري الذي تضطلع بهما، وطبيعة وقوة قراراتها، ثم سنستعرض القرارات التي أصدرتها بحق إسرائيل سابقًا، وما يخص قراراتها في القضية التي رفعتها دولة جنوب أفريقيا في عام 2024-2023 ضدها بشأن الإبادة الجماعية، وردود الأفعال مع تحليل تبعات قراراتها.

أولًا: منظمة الأمم المتحدة.. النشأة والأجهزة

إن الأمم المتحدة هي مُنظمة حُكومية دَولية وواحدة من أكبر وأشهر المنظمات الدولية في القرن العشرين، أُسِّست عام 1945 بعد الحرب العالمية الثانية. وقد حدَّد ميثاقها الغاية من تأسيسها بالمحافظة على السلم والأمن الدوليين عن طريق اتخاذ تدابير جماعية فعَّالة لمنع وإزالة الأخطار التي تهدد السلام، وتنمية العلاقات الودية بين الدول على أساس احترام مبدأ المساواة في الحقوق وتقرير المصير للشعوب وتعزيز وتشجيع احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية للجميع دون تمييز بسبب العرق أو الجنس أو اللغة أو الدين. هذا إلى جانب تقديم المساعدات الإنسانية، وتعزيز التنمية المستدامة، ودعم القانون الدولي. وبشكل عام، تحصل المنظمة على التمويل من خلال المساهمات المقررة والطوعية من الدول الأعضاء، وقد بلغت ميزانية الأمم المتحدة لعام 2020 ما يقارب 3,1 مليارات دولار، يُنفق جزء كبير منها على مهمتها الأساسية المتمثلة في إحلال السلام والأمن.

وتتكون الأمم المتحدة من ستة أجهزة رئيسة هي: الجمعية العامة، ومجلس الأمن، والمجلس الاقتصادي والاجتماعي، ومجلس الوصاية، ومحكمة العدل الدولية، والأمانة العامة. ويتبع الأمم المتحدة العديد من الوكالات المتخصصة والصناديق والبرامج، مثل: مجموعة البنك الدولي، ومنظمة الصحة العالمية، وبرنامج الغذاء العالمي، واليونيسكو، واليونيسيف. ويجوز منح المنظمات غير الحكومية كذلك صفة استشارية لدى المجلس الاقتصادي والاجتماعي والوكالات الأخرى للمشاركة في عمل الأمم المتحدة.

ثانيًا: اختصاصات محكمة العدل الدولية

تتمثل الوظيفة الأساسية لمحكمة العدل الدولية في فض المنازعات التي ترفع أمامها. وطبقًا لنظامها الأساسي، الذي ينص على أن للدول وحدها الحق في أن تكون أطرافًا في الدعوى التي ترفع أمامها، لا يحق للمنظمات الدولية والأفراد التقاضي أمامها. **وهناك ثلاث فئات من الدول لها الحق في التقاضي أمام المحكمة وهي:**

- الدول أعضاء منظمة الأمم المتحدة بوصفها أطرافًا في النظام الأساسي لمحكمة العدل الدولية، وينتمي إلى تلك الطائفة الدول التي قد تنضم في المستقبل إلى عضوية الأمم المتحدة.
- الدول التي ليست أعضاء في الأمم المتحدة، وتلك الدول يمكن أن تنضم إلى النظام الأساسي لمحكمة العدل الدولية وذلك بشروط تحددها الجمعية العامة لكل حالة بناءً على توصية مجلس الأمن.
- الدول التي ترغب في التقاضي أمام محكمة العدل الدولية دون أن تكون عضوًا في منظمة الأمم المتحدة أو عضوًا في النظام الأساسي للمحكمة، ويكون ذلك بالشروط التي يحددها مجلس الأمن.

ولمحكمة العدل الدولية اختصاصان؛ أولهما: اختصاص قضائي يتمثل في إصدار الأحكام في المنازعات التي تقع بين الدول. وثانيهما: الإفتاء وهو إبداء الرأي في المسائل القانونية التي تعرض عليها من أجهزة الأمم المتحدة.

أ- الاختصاص القضائي:

تُعد ولاية المحكمة في الأصل ولاية اختيارية؛ أي أنها قائمة على رضا جميع المتنازعين الذين يتوافقون على عرض الخلاف عليها للنظر والفصل فيه. ويمكن القول إن هذا يشكل "نقطة ضعف" في نظام المحكمة. ولتلافي ذلك يمكن النص على منح محكمة العدل الدولية صلاحية النظر في كل ما يتعلق بانتهاك أو تفسير أو تطبيق بعض الاتفاقيات، ولا سيما الاتفاقات الإنسانية مثل اتفاقية منع ومعاقبة جريمة الإبادة الجماعية.

ولمحكمة العدل الدولية أيضًا ولاية إلزامية بخصوص الدول الأطراف في هذا النظام. وبدون حاجة إلى اتفاق خاص، تقر المحكمة بولايتها الجبرية في نظر جميع المنازعات القانونية التي

تقـوم بينهـا وبيـن دولـة تقبـل الالتـزام نفسـه متـى كانـت هـذه المنازعـات تتعلـق بتفسـير معاهـدة مـن المعاهـدات، أو أيـة مسـألة مـن مسـائل القانـون الدولـي، أو التحقيـق فـي واقعـة مـن الوقائـع إذا ثبـت أنهـا كانـت خرقًـا لالتـزام دولي، أو نـوع التعويـض المترتـب علـى خـرق التـزام دولـة مـا ومـدى هـذا الالتـزام.

وتُعـد أحـكام محكمـة العـدل الدوليـة نهائيـة وغيـر قابلـة للاسـتئناف، **وتسـري علـى جميـع أطـراف النـزاع طبقًـا لمـا يلـي:**

- لا يقبـل التمـاس إعـادة النظـر فـي الحكـم إلا عنـد كشـف واقعـة حاسـمة لـم تكـن منظـورة عنـد صـدور الحكـم.
- تُفتتـح إجـراءات إعـادة النظـر بحكـم مـن المحكمـة بعـد أن يثبـت صراحـة وجـود واقعـة جديـدة وتوضيـح أسـبابها، مـع الإعـلان بعـد ذلـك عـن جـواز قبـول إعـادة النظـر بنـاءً علـى ذلـك.

ب- الاختصاص الإفتائي (الاستشاري):

بجانـب الوظيفـة القضائيـة التـي تمارسـها المحكمـة، توجـد وظيفـة أخـرى إفتائيـة تتمثـل فـي طلـب الفتـوى فـي أي مسـألة قانونيـة وطبقًـا لشـروط معينـة. فقـد نصـت الفقـرة الأولـى مـن المـادة (96) مـن ميثـاق الأمـم المتحـدة علـى أنـه لأي مـن الجمعيـة العامـة أو مجلـس الأمـن أن يطلـب مـن محكمـة العـدل الدوليـة إفتاءهـا فـي أيـة مسـألة قانونيـة. كمـا نصـت الفقـرة الثانيـة مـن المـادة (96) علـى أنـه لسـائر فـروع الهيئـة والـوكالات المتخصصـة المرتبطـة بهـا طلـب الفتـوى بعـد أن تـأذن لهـا بذلـك الجمعيـة العامـة، كمـا نصـت المـادة (65) مـن النظـام الأساسـي للمحكمـة علـى أن "للمحكمـة أن تفتـي فـي أيـة مسـألة قانونيـة بنـاءً علـى طلـب أي هيئـة رخـص لهـا ميثـاق الأمـم المتحـدة باسـتفتائها، أو حصلـت علـى ترخيـص لهـا بذلـك طبقًـا لأحـكام الميثـاق"[3].

وهكـذا، يتضـح أن طلـب الفتـوى مقصـور علـى أجهـزة الأمـم المتحـدة والـوكالات المتخصصـة المرتبطـة بهـا، هـذا إضافـة إلـى أن مجلـس الأمـن والجمعيـة العامـة لهمـا الحـق فـي طلـب الفتـوى دون الحصـول علـى إذن مـن جهـاز آخـر. وقـد عُلقـت ممارسـة هـذه الرخصـة مـن قبـل الأجهـزة الأخـرى والـوكالات المتخصصـة أو الأجهـزة الفرعيـة علـى شـرط صـدور إذن مـن الجمعيـة العامـة. وحـول الطبيعـة القانونيـة للفتـوى، يمكـن القـول إنهـا ليسـت ملزمـة، إلا أن لهـا قيمـة معنويـة وسياسـية، وقـد تكـون ملزمـة فـي بعـض الحـالات الاسـتثنائية. وقـد أصـدرت محكمـة العـدل الدوليـة العديـد مـن الآراء الاستشـارية، والتـي سـاهمت فـي تطويـر مبـادئ القانـون الدولـي الإنسـاني، مثـل الفتـوى الصـادرة بتاريـخ 28 مايـو عـام 1951، علـى آثـار التحفـظ علـى اتفاقيـة حظـر ومعاقبـة جريمـة الإبـادة الجماعيـة. وكـذا أيضًـا الفتـوى الصـادرة فـي يونيـو عـام 1971، بشـأن اسـتمرار الوجـود غيـر المشـروع لجنـوب أفريقيـا فـي ناميبيـا بنـاءً علـى طلـب مجلـس الأمـن فـي يوليـو عـام 1970.

مـن حيـث المبـدأ، فـإن رأي/قـرارات المحكمـة ذات طابـع "استشـاري" فقـط وغيـر ملزمـة، لكنهـا مؤثـرة وتحظـى باحتـرام واسـع علـى نطـاق واسـع، ويمكـن أن تنـص بعـض الصكـوك أو اللوائـح مقدمًـا علـى أن الفتـوى يجـب أن تكـون ملزمـة علـى وجـه التحديـد لـوكالات أو دول معينـة، ولكنهـا بطبيعتهـا غيـر مُلزمـة بموجـب النظـام الأساسـي للمحكمـة. وهـذا الطابـع "غيـر الملـزم" لا يعنـي أن الفتـاوى ليـس لهـا أثـر قانونـي، لأن المنطـق القانونـي المتجسـد فيهـا يعكـس وجهـات نظـر المحكمـة الرسـمية بشـأن قضايـا مهمـة. وتسـتمد الفتـوى مركزهـا الأدبي وسـلطتها مـن حقيقـة أنهـا الناطـق الرسـمي للجهـاز القضائـي الرئيسـي للأمـم المتحـدة[4].

ثالثًا: قرارات محكمة العدل الدولية بحق إسرائيل وفلسطين

فـي أعقـاب مـا يصـدر عـن محكمـة العـدل الدوليـة مـن آراء أو قـرارات استشـارية، يتعيـن علـى الـدول الأعضـاء أن تهتـم بآليـات التنفيـذ، وتبـدأ بالقبـول بهـا؛ فـإن رفضـت ذلـك، بـات مـن الصعـب التنفيـذ. فقـد تـرى تلـك الـدول أن بعـض النزاعـات ليسـت مخولـة لمحكمـة العـدل الدوليـة، وأنهـا هـي مـن وجـب عليهـا احتـرام حصانـة الـدول السـيادية، ومـن ثَـمّ لا تمتلـك سـلطة لفـرض قراراتهـا عليهـا بصـورة قسـرية.

علـى صعيـد قـرارات محكمـة العـدل الدوليـة لصالـح فلسـطين، تجـدر الإشـارة إلـى أنـه فـي عـام 2004، طلبـت الجمعيـة العامـة للأمـم المتحـدة مـن المحكمـة تقديـم المشـورة القانونيـة (طبقًـا للقانـون الدولـي) فـي قضيـة الجـدار الفاصـل كمـا سـبق القـول، وحينهـا أكـدت محكمـة العـدل الدوليـة أنـه غيـر قانونـي، وأن إسـرائيل ملزمـة بإزالتـه وتعويـض المتضرريـن. فبعـد التصويـت علـى مـدى صلاحيتهـا بالاختصـاص، أقـرّ جميـع قضـاة المحكمـة الخمسـة عشـر بالاختصـاص، ومـن ثَـمّ انتقلـت المحكمـة لبحـث موضـوع الفتـوى؛ لتقـرر بعـد ذلـك عـدم مشـروعية الجـدار العـازل وضـرورة تفكيكـه وتعويـض الفلسـطينيين المتضرريـن مـن بنائـه؛ باعتبـاره يُشـكل مخالفـة لمبـادئ القانـون الدولـي الإنسـاني، وقـد أيّـد القـرار أربعـة عشـر قاضيًـا مـن قضـاة المحكمـة. وهكـذا، يتضـح الـدور الـذي مارسـته المحكمـة مـن خـلال الأحـكام والآراء الاستشـارية الصـادرة بشـأن عـدد مـن القضايـا المعروضـة عليهـا.

وفـي عـام 2015، أعلنـت "الدولـة الفلسـطينية" انضمامهـا رسميًـا إلـى محكمـة العـدل الدوليـة، ومـن وقتهـا وبنـاءً علـى طلـب السـلطة الفلسـطينية، بـدأ التحقيـق فـي الأحـداث التـي وقعـت فـي إسـرائيل والأراضـي الفلسـطينية المحتلـة بدايـة مـن يونيـو 2014، وقـد شـهدت المحكمـة تطـورات متتاليـة فيمـا يتعلـق بالصـراع الفلسـطيني-الإسـرائيلي والتحقيقـات المتعلقـة بـه.

وعـام 2018، طلبـت الجمعيـة العامـة للأمـم المتحـدة مـن محكمـة العـدل الدوليـة إبـداء رأيهـا الاستشـاري حـول العواقـب القانونيـة لاسـتيطان اليهـود فـي الأراضـي الفلسـطينية المحتلـة. وقـد صـدر هـذا الـرأي عـام 2019، حيـث أكـدت المحكمـة أن الاسـتيطان الإسـرائيلي في الأراضي الفلسـطينية يتعـارض مـع القانـون الدولـي، ومـن ثَـمّ يتوجـب إيقافـه. ورغـم مـا صـدر مـن آراء استشـارية وقـرارات

ضد الاحتلال، إلا أنها لم تكن نهائية، ولم يتخذ حيالها إجراءات تنفيذية على أرض الواقع، لكنها في الحقيقة وجهت الرأي العام العالمي تجاه الصراع الفلسطيني-الإسرائيلي.

في ضوء ما قامت به إسرائيل من عدوان على الشعب الفلسطيني الأعزل بقطاع غزة، فقد قدمت دولة جنوب أفريقيا دعوى قضائية عام 2023 بخصوص العدوان الإسرائيلي الجائر على غزة وخطر الإبادة الجماعية للشعب الفلسطيني، وفي المقابل قدمت إسرائيل طلبًا بردّ الدعوى التي أقامتها جنوب أفريقيا. وبعد مطالعة المحكمة لما جاء في القضية من ادعاءات مدعومة بشواهد وأدلة دامغة، رفضت المحكمة الطلب الإسرائيلي بردّ الدعوى، وقررت العمل بشكل عاجل وملزم على اتخاذ إجراءات مؤقتة لمنع الإبادة الجماعيّة في غزة والتحريض المباشر عليها ووقف تصفية القضية الفلسطينية والتهجير القسري للشعب الأعزل، وضمان توفير الاحتياجات الإنسانية الأساسية والملحة في قطاع غزة بشكل فوري.

رابعًا: قرارات محكمة العدل الدولية في الميزان

يُعد قرار محكمة العدل الدولية انتصارًا لسيادة القانون، وبارقة أمل للقضية الفلسطينية، وصفعة للاحتلال ولجميع الدول التي تدعمه. فموضوعيًا، إن مجرد قبول دعوى جنوب أفريقيا يبرهن على اتهام المحكمة لإسرائيل بالإبادة الجماعية التي طالبت بوقفها وبوقف التحريض عليها، ويعني في محصلته دعوى قانونية من أعلى محكمة أممية بوقف مختلف أشكال العدوان على الشعب الفلسطيني. كما اعترفت المحكمة بخطر الإبادة الجماعية في غزة، مما يعني أن إسرائيل وداعميها سيواجهون اتهامات الإبادة الجماعية علنًا وقانونيًا في المحكمة لسنوات في شكل من أشكال الهزيمة الاستراتيجية [5]. ولكن لا يمكن القول إن قرارات المحكمة جاءت معبرة عن رغبة مؤكدة في وقف المذابح في غزة؛ ذلك أن القضاة في تصويتهم على القرار خضعوا لضغوط سياسية من الولايات المتحدة ودول الغرب جعلتهم يصيغون أوامر محددة لإسرائيل بشأن منع الإبادة الجماعية والتحريض عليها ومعاقبة المحرضين وتقديم تقرير في غضون شهر يتضمن تنفيذها لتلك الأوامر، دون أن توفر المحكمة الأداة الرئيسة الضامنة لتنفيذ تلك الأوامر "بوقف إطلاق النار"، الذي هو الضمان الأساسي لوقف المأساة في غزة، ليأتي القرار في صورة مناشدات واستجداء إسرائيل.

وعليه، فقد كرست قرارات المحكمة ازدواجية المعايير مقارنة بتعاملها مع الحرب الروسية-الأوكرانية؛ ففي الأخيرة أصدرت المحكمة -في زمن قياسي- أمرًا لروسيا بوقف إطلاق النار في 16 مارس 2022. ولاحقًا أصدرت المحكمة الجنائية الدولية في 17 مارس 2023 مذكرة توقيف بحق الرئيس الروسي "فلاديمير بوتين". أما في قطاع غزة، فقد اكتفت محكمة العدل الدولية بإصدار أمر لإسرائيل في إطار التدابير الاحترازية، لكنها لم تأت على ذكر وقف إطلاق النار، إضافةً إلى عدم الإشارة إلى حق الفلسطينيين المشروع في تحرير وطنهم، وشتان الفارق في القرارات والتقديرات.

نهايةً، تتمثل النقطة الأبرز والأهم في قبول دعوى جنوب أفريقيا في أن إسرائيل تُحاكم لأول مرة منذ نشأتها عام 1948 كمتهم في قضية إبادة جماعية بحق الشعب الفلسطيني، رغم أنها لم تلتزم منذ نشأتها بعشرات القرارات الصادرة عن الأمم المتحدة والمتعلقة بحق تقرير المصير الفلسطيني وبحق عودة اللاجئين وبعدم شرعية الاستيطان وضم القدس وتهويدها.

والجدير بالذكر أنه وفقًا للبيانات التي نشرتها وكالة "غوث وتشغيل اللاجئين التابعة للأمم المتحدة" (الأونروا) [6]، انخفض المتوسط اليومي لعدد الشاحنات التي تدخل غزة محملة بالغذاء والمساعدات والأدوية بأكثر من الثلث في الأسابيع التي تلت حكم محكمة العدل الدولية. وقد اتهمتها منظمة "هيومن رايتس ووتش" [7] بالتهرب من المسئولية باعتبارها قوة الاحتلال، ودفعت بأنها مُلزمة بتوفير الرعاية الاجتماعية للسكان الخاضعين للاحتلال، وضمان تلبية الاحتياجات الإنسانية لسكان غزة. وقد عارضت منظمة حقوق الإنسان الإسرائيلية "جيشاة-مسلك" [8] ادعاءات الحكومة الإسرائيلية بأنها لا تعرقل دخول المساعدات أو توزيعها، ووجدت أيضًا أنها لا تمتثل لأمر محكمة العدل الدولية. كما خلص المسح الذي أجرته المنظمات الإنسانية إلى أنه "لا يتم توزيع أي مساعدات تقريبًا خارج رفح" أقصى جنوب قطاع غزة. وقد قالت منظمة "هيومن رايتس ووتش" [9]: إن الحكومة الإسرائيلية لم تمتثل لإجراء واحد على الأقل في الأمر الملزم قانونًا الذي أصدرته محكمة العدل الدولية في قضية الإبادة الجماعية التي رفعتها جنوب أفريقيا.

تعليق: ليس من المستغرب أن تعترف الدول الغربية بحق إسرائيل في الدفاع عن نفسها ضد الشعب الفلسطيني، وبما يتناقض مع حق الشعب الفلسطيني في الدفاع عن نفسه وتحرير أرضه.

لم تدعُ محكمة العدل الدولية إلى وقف إطلاق النار (حسب رغبة الولايات المتحدة وإسرائيل)، ولم تتوقف إسرائيل عن ارتكاب الفظائع في غزة (فهي لم ولن ترضخ أبدًا للقانون الدولي وقرارات الأمم المتحدة سلفًا)، حيث يبقى قانون القوة (القوة تُنشئ الحق، وتحافظ عليه) الذي صاغه المفكر الإيطالي "نيقولا مكيافيللي": هو الفيصل الحقيقي للعدالة من المنظور الغربي.

إن عدم التزام إسرائيل بأوامر المحكمة يساهم بشكل كبير في عزلتها وفي تعرية التأييد الأعمى لها، ويضعها في حرج بالغ.

لقد تنامى شعور شعوب العالم وخاصةً دول العالم الثالث والدول الشرقية بعدم الثقة، ليس فقط في الدول الغربية، ولكن أيضًا في المؤسسات والمنظمات العالمية التي يسيطر عليها الغرب على مستوى العالم.

المصـــــــــادر

1. كانت محكمة العدل الدولية الدائمة، التي غالبًا ما تسمى المحكمة العالمية، موجودة من عام 1922 إلى 1946، كانت محكمة دولية ملحقة بعصبة الأمم، أنشئت في عام 1920.
2. المحكمة الجنائية الدولية: أُسّست سنة 2002 كأول محكمة قادرة على محاكمة الأفراد المتهمين بجرائم الإبادة الجماعية والجرائم ضد الإنسانية وجرائم الحرب وجرائم الاعتداء، سحبت دولتان توقيعهما على قانون المحكمة، وبذلك لم يعد هناك ما يحملهما على تنفيذ ما يترتب عليهما من التزامات تجاه المحكمة، الدولتان هما: أمريكا وإسرائيل.
3. الاختصاص الإفتائي للمحكمة بشأن مبادئ القانون الدولي الإنساني، 15 مارس 2024، https://mail.almerja.com/reading.php?idm=42818.
4. Why is the ICJ important? https://news.un.org/en/story/2024/01/1145392#:~:text=The%20ICJ%20is%20the%20only,issues%20without%20resorting%20to%20conflict.
5. موقع بوست"الأمريكي "، الميادين نت، 1-26 2024، https://www.raialyoum.com/ عليان-عليان-قرار-محكمة-العدل-الدولية-ف.
6. أنشئت الأمم المتحدة وكالة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى (الأونروا) في 1949، وحددت لها الجمعية العامة للأمم المتحدة ولاية تزويد الخدمات الأساسية مثل التعليم والصحة والإغاثة والخدمات الاجتماعية للاجئين الفلسطينيين في الشرق الأوسط.
7. هيومن رايتس ووتش: هي أكبر منظمة حقوق إنسان في الولايات المتحدة، ويجري باحثوها تحقيقاتٍ لتقصي الحقائق حول انتهاكات حقوق الإنسان في جميع أنحاء العالم، حيث تقوم بنشر النتائج التي تتوصل إليها في عشرات الكتب والتقارير كل عام.
8. "ﻴشاة - مسلك": هي مؤسسة حقوق إنسان إسرائيليّة تأسست في العام 2005 لهدف الدفاع عن حرية الفلسطينيين في التنقل، وخصوصًا سكان قطاع غزّة، في إطار القانون الدولي والقانون الإسرائيلي، تعمل جمعية "ﻴشاة-مسلك" على المستويين القانوني والجماهيري.
9. إسرائيل لا تمتثل لأمر "محكمة العدل الدولية" في قضية الإبادة الجماعية، موقع هيومن رايتس، 12مارس 2024.

text:~:#https://www.hrw.org/ar/news/2024/02/26/israel-not-complying-world-court-order-genocide-case=(لاهاي)%20-%20قالت%20"هيومن,الجماعية%20التي%20رفعتها%20جنوب%20أفريقي

تقـــــارير

يـدور قسـم "تقاريـر" حـول الحـرب الإسـرائيلية علـى غـزة؛ فيحلـل دور "الأونـروا" فـي تلـك الحـرب في ظـل تأكيداتهـا المتكررة علـى ضـرورة تغييـر آليـات تدفـق المسـاعدات الإنسـانية إلـى غـزة مـع تزايـد مخاطـر المجاعـة وتفشـي الأمـراض الفتاكـة، رغـم تعرضهـا لانتقـادات شـديدة مـن جانـب إسـرائيل. كمـا يحلـل موقـف كل مـن جنـوب أفريقيـا (التـي رفعـت قضيـة فـي محكمـة العـدل الدوليـة تتهـم فيهـا إسـرائيل بالإبـادة الجماعيـة) والبرازيـل (التـي شـبهت الحـرب الإسـرائيلية علـى غـزة بمعاملـة هتلـر لليهـود). وأخيـرًا، يناقـش هـذا القسـم الـدور الـذي لعبـه "حـزب اللّه" فـي تلـك الحـرب فـي محاولـة للوقـوف علـى حـدود دوره فيهـا والإجابـة عـن سـؤال مفـاده: لمـاذا لـم يتدخـل "حـزب اللّه" بشـكل مباشـر فـي الحـرب الدائـرة؟.

الأونروا والأوضاع الإنسانية في غزة: حدود الدور ومعوقاته

تعرف وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى اختصارًا باسم "أونروا" (UNRWA)، وهي وكالة غوث وتنمية بشرية، أُسِّست بقرار من الجمعية العامة للأمم المتحدة في عام 1949. وتعمل على تقديم الدعم والحماية وكسب التأييد لقرابة 5.6 ملايين لاجئ فلسطيني مسجَّلين لديها في الأردن ولبنان وسوريا والضفة الغربية وقطاع غزة، إلى أن تنتهيَ معاناتهم. وتعتمد الأونروا في تمويلها على التبرُّعات الطوعية التي تقدِّمها الدول الأعضاء في منظمة الأمم المتحدة. وعلى الرغم من أهمية الدور الذي تعلبه، فقد تعرضت لانتقادات حادة، بل ومعلومات مضللة، طالت موظفيها وعملياتها بفلسطين، وهو ما تفاقم سوءًا منذ بدء الحرب الإسرائيلية على غزة في 7 أكتوبر2023. ومن ثَمّ، تهدف هذه الورقة إلى الوقوف على أهم الأدوار التي لعبتها في تلك الحرب، مع تحليل الأكاذيب التي تعرضت لها.

لواء. أ.ح.د/ عز الدين عبد الرحمن عوف

مستشار مركز الدراسات الاستراتيجية للقوات المسلحة

أكاديمية ناصر العسكرية العليا

أولًا: الأونروا وفلسطين.. حدود الأدوار

الأونروا أحد أكبر برامج الأمم المتحدة، حيث يعمل بها أكثر من 30 ألف موظف في خمس مناطق عمليات، وتتفرد من نوعها كونها تقدم الخدمات إلى المستفيدين مباشرة. ويقع مقرها الرئيس في عمان وغزة، وتحتفظ بمكتب ميداني في كل منطقة من مناطق عملياتها (الأردن، ولبنان، وسوريا، والضفة الغربية، بما في ذلك القدس الشرقية، وقطاع غزة)، بجانب مكاتب اتصال في نيويورك وواشنطن وبروكسل والقاهرة.

وأكبر منصب في الوكالة هو منصب المفوض العام الذي يشغله حاليًا "فيليب لازاريني" (Philippe Lazzarini) منذ مارس 2020، وهو اقتصادي، وإداري، يحمل الجنسيتين السويسرية والإيطالية. وقد بدأ العمل لدى الأمم المتحدة في عام 2003، وقدم خدماته من خلال العديد من المناصب، كان آخرها هو منصب نائب المنسق الخاص والمنسق المقيم والإنساني في مكتب منسق الأمم المتحدة الخاص في لبنان قبل تعيينه مفوضًا عامًا للوكالة.

وعمومًا، نشأت الأونروا بموجب قرار من الجمعية العامة رقم 302 (د4-)، مع تفويض أولي يتمثل في تقديم برامج الإغاثة والتشغيل المباشرة للاجئين الفلسطينيين، من أجل منع ظروف المجاعة والضيق وتعزيز ظروف السلام والاستقرار. وتتولى مسئوليتها من وكالة الأمم المتحدة لإغاثة اللاجئين الفلسطينيين (UNRPR) التي أُسّست عام 1948. واستجابة للتطورات في المنطقة، تقوم الجمعية العامة بشكل متكرر بتمديد وتوسيع ولاية الأونروا، لتنخرط في مجموعة واسعة من الأنشطة الإنسانية والتنموية، بجانب أنشطة الحماية بناءً على احتياجات المستفيدين.

ولقد أشار قرار الجمعية العامة رقم 614 (د- 7) عام 1952 إلى الحاجة إلى زيادة نفقات الإغاثة في ميزانية الأونروا. وعام 1955، أشار القرار رقم 916 (د10-) إلى الحاجة العاجلة لتقديم الإغاثة لسكان الحدود في الأردن، وقطاع غزة، واللاجئين في مصر. ولقد أوصت قرارات الجمعية العامة عامي 1958 و1959 بأن تقوم الوكالة بزيادة البرامج المتعلقة بالتعليم والتدريب المهني والدعم الذاتي لهم.

وفي أعقاب الأعمال العدائية التي وقعت يونيو 1967، والتي أسفرت عن لجوء 300 ألف شخص، بما في ذلك حوالي 120 ألف لاجئ فلسطيني باتوا بلا مأوى أو غادروا منازلهم، طالب القرار 2252 (ES-V) من الأونروا الاستمرار في تقديم المساعدة الإنسانية لهم. وبعد غزو إسرائيل للبنان عام 1982، اتسع نطاق هذا التفويض ليشمل أولئك الذين نزحوا بسبب الأعمال العدائية اللاحقة. وفي العام نفسه، أضيف القرار 37/120 (ي) صراحة الحماية إلى قائمة مسئوليات الأونروا، وحث الوكالة على اتخاذ تدابير فعالة لضمان السلامة والأمن والحقوق القانونية والإنسانية لهم في الأراضي المحتلة.

وفي الفترة من 1992 إلى 2002، تعاونت الأونروا مع مكتب منسق الأمم المتحدة الخاص لعملية السلام في الشرق الأوسط (UNSCO) والوكالات المتخصصة الأخرى التابعة لمنظومة الأمم المتحدة للمساهمة في تنمية الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي في الأراضي الفلسطينية المحتلة. وعام 1993، بعد توقيع إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية على إعلان المبادئ بشأن ترتيبات الحكم الذاتي المؤقت، بدأت الأونروا في تطوير برنامجها لتنفيذ السلام، والذي عمل على تلبية حاجات الفلسطينيين وأولوياتهم خلال الفترة الانتقالية. وتحظى الأونروا في ذلك بتفويض بالعمل مع الحكومات على صعيد التدابير المؤقتة وتوفير الإغاثة والمساعدة للاجئين الفلسطينيين، وصولًا إلى "حل عادل" لقضية اللاجئين الفلسطينيين[1].

ثانيًا: الأونروا والأوضاع الإنسانية المتدهورة في غزة

منذ بداية الحرب الإسرائيلية على غزة، دأبت وكالات الأمم المتحدة على التأكيد على الحاجة الماسة لتغيير آليات تدفق المساعدات الإنسانية إلى غزة مع تزايد خطر المجاعة، وتعرض المزيد من الناس لتفشي الأمراض الفتاكة. فقد أكد رؤساء برنامج الأغذية العالمي، ومنظمة الأمم المتحدة للطفولة (اليونيسف)، ومنظمة الصحة العالمية، أن إيصال الإمدادات الكافية إلى غزة، يعتمد على فتح المزيد من المعابر الحدودية، والسماح لعدد أكبر من الشاحنات بالمرور عبر نقاط التفتيش الحدودية يوميًا، والحد من القيود المفروضة على حرية حركة العاملين في مجال تقديم المساعدة الإنسانية، وضمانات السلامة للأشخاص الذين يحتاجون إلى المساعدات وكذلك من يوزعونها.

إذ يعتمد جميع سكان غزة على المساعدات للبقاء على قيد الحياة في ظل غياب القدرة على إنتاج أو استيراد الغذاء، ولكن لا تستطيع المساعدات الإنسانية وحدها تلبية الاحتياجات الأساسية لسكان القطاع. بالرغم من تمكن الأمم المتحدة ووكالات المعونة الدولية والمنظمات غير الحكومية من إيصال مساعدات إنسانية محدودة، على الرغم من الظروف الصعبة للغاية، لكن الكميات أقل بكثير مما هو مطلوب لمنع مزيج قاتل من الجوع وسوء التغذية والمرض. وينتشر نقص الغذاء والمياه النظيفة والمساعدات الطبية بشكل حاد في المناطق الشمالية.

فقد ساهمت الأونروا في رسم صورة واقعية للأحوال الإنسانية المتردية في غزة في ظل الصعوبات التي تقوض العمل الإنساني بسبب إغلاق جميع المعابر باستثناء معبرين حدوديين في الجنوب من ناحية، وعملية الفحص متعددة المراحل للشاحنات القادمة إلى غزة من ناحية ثانية. فبمجرد دخول القطاع، تتقوض الجهود الرامية إلى إنشاء نقاط توزيع للمساعدات بسبب

عمليات القصف والتغير المستمر في جبهات القتال، مما يهدد سلامة سكان غزة، وكذلك العاملون في الأمم المتحدة والمجال الإنساني الذين يسعون جاهدين لإيصال المساعدات. وفي هذا الإطار، دفعت المديرة التنفيذية لبرنامج الأغذية العالمي "سيندي ماكين" بأن الفلسطينيين في غزة يواجهون خطر الموت جوعًا على بعد أميال قليلة من الشاحنات المحملة بالأغذية، وأن المجاعة لا يمكن تفاديها إلا بتوفير الإمدادات الكافية، وإتاحة الفرصة للوصول الآمن إلى كل من يحتاج إلى المساعدات أينما كانوا". ولقد أشار أحدث تقرير للتصنيف المرحلي المتكامل للأمن الغذائي (IPC) إلى انعدام الأمن الغذائي في غزة، وأكد التقرير أن جميع سكان غزة (2.2 مليون شخص) "يعانون أزمة أو مستويات أسوأ من الانعدام الحاد للأمن الغذائي". إذ إن العديد من البالغين يعانون الجوع حتى يتمكن الأطفال من تناول الطعام.

والجدير بالذكر أن وكالات الإغاثة تحتاج بشدة إلى تصريح إسرائيلي لاستخدام ميناء نشط قريب من قطاع غزة ونقاط العبور الحدودية إلى الشمال. ويتيح ميناء أشدود، الذي يقع على بعد حوالي 40 كيلومترًا إلى الشمال، إمكانية إيصال كميات أكبر بكثير من المساعدات ثم نقلها بالشاحنات مباشرة إلى المناطق الشمالية المتضررة بشدة في القطاع، والتي لم يتمكن سوى عدد قليل من القوافل من الوصول إليها. وفي هذا الإطار، يقول "لازاريني" إن "تدفق المساعدات كان شحيحًا مقارنة ببحر من الاحتياجات الإنسانية". كما أكد على عدم كفاية المساعدات لوقف الجوع المتفاقم بين السكان[2].

ثالثًا: الاتهامات بحق الأونروا في أعقاب طوفان الأقصى

وبشكل عام، فقد تعرضت الأونروا لانتقادات شديدة بعد أن اتهمت إسرائيل 12 من موظفيها بالتورط في هجوم حماس في 7 أكتوبر2023، وبعد أن علقت عدة دول مساعداتها، على الرغم من تأكيد الأمم المتحدة على أن إسرائيل لم تزودها بأي دليل. وعلى خلفية ذلك، أطلقت الأمم المتحدة تحقيقًا داخليًا مستقلًا في تلك المزاعم، إلا أنها أججت القلق بين موظفي الوكالة، ودفعت المستوطنين والمتظاهرين في الضفة الغربية المحتلة إلى استهدافهم، إلى حد المطالبة بتفكيك الوكالة نفسها، الأمر الذي ينظر له الفلسطينيون بوصفه خيانة من قبل المجتمع الدولي.

وفي 17 يناير 2024، أعلن المفوض العام للأونروا عن إجراء مراجعة مستقلة لتحديد وتقييم مدى كفاية ودرجة تنفيذ آليات وإجراءات الوكالة لضمان حيادها. ففي 5 فبراير 2024، قام الأمين العام بتعيين مجموعة مراجعة برئاسة "كاثرين كولونا"، وزيرة الخارجية الفرنسية السابقة، لتقييم ما إن كانت الوكالة تفعل كل ما في وسعها لضمان الحياد والرد على الادعاءات التي وردت شفويًا من المسئولين الإسرائيليين بشأن التورط المزعوم لـ 12 من موظفي الأونروا في هجوم 7 أكتوبر ضد إسرائيل. وبعد التأكد من أنهم بالفعل موظفون فيها، قرر المفوض العام إنهاء عملهم فورًا وفقًا لأنظمة الموظفين المعمول بها. وقد صدر هذا القرار، وعُمم من خلال بيان رسمي. وبناءً على طلب الأمين العام للأمم المتحدة، أطلق مكتب خدمات الرقابة الداخلية، وهو أعلى هيئة تحقيق في الأمم المتحدة، تحقيقًا في هذه الادعاءات المحددة، وطلب الأمين العام للأمم المتحدة تقريرًا في غضون أربعة أسابيع من بدء مكتب خدمات الرقابة الداخلية عمله. وفي 27 يناير 2024، أصدر المفوض العام للأونروا بيانًا آخر ردًا على قيام العديد من الدول المانحة بتعليق أو إيقاف أو تجميد تمويل الأونروا بشكل مؤقت.

كما أكدت الأونروا أن بعض موظفيها الذين أُطلق سراحهم من السجون الإسرائيلية في غزة بعد الاحتجاز قالوا إنهم تعرضوا لضغوط من السلطات الإسرائيلية ليدلوا بأقوال كاذبة بأن الوكالة على صلة بحركة حماس، وأن موظفين بها شاركوا في هجمات السابع من أكتوبر. وهو ما جاء في تقرير أعدته الأونروا في فبراير 2024، والذي تضمن تفاصيل مزاعم بسوء المعاملة في السجون الإسرائيلية أدلى بها فلسطينيون مجهولون، بينهم عدد من العاملين بالوكالة، وسط دعوات لفتح سلسلة من التحقيقات في انتهاكات حقوق الإنسان عندما تنتهي الحرب[3]. وذكر التقرير، الذي اطلعت وكالة أنباء رويترز على نسخة منه، أن عددًا من الموظفين الفلسطينيين في الأونروا احتجزهم الجيش الإسرائيلي، وتعرضوا لمعاملة سيئة وانتهاكات، علاوة على الضرب المبرح، والإغراق إلى حد الاختناق، والتهديد بإيذاء ذويهم.

وإلى جانب هؤلاء الموظفين، نقلت العديد من وسائل الإعلام ادعاءات مفادها أن حوالي 10% من جميع موظفي الأونروا في غزة، أو حوالي 1200 شخص، لديهم صلات بحماس أو الجهاد الإسلامي الفلسطيني. بيد أن الأونروا لم تتلق أي معلومات أو دليل من السلطات الإسرائيلية أو أي دولة عضو أخرى بشأن هذا الادعاء الذي تداولته وسائل الإعلام الدولية ثم كرره أحد المسئولين الحكوميين الإسرائيليين من خلال مؤتمر صحفي. والجدير بالذكر أن الأونروا تقوم بإجراء فحوصات مرجعية مفصلة لأي موظف تقوم بتعيينه، كما تشارك أسماء وأرقام الموظفين ووظائفهم كل عام في جميع مناطق العمليات الخمس مع السلطات المضيفة، ومع إسرائيل كقوة محتلة، وهذا يعني أن الدول المضيفة وإسرائيل على اطلاع كامل وعلى علم بتفاصيل جميع الموظفين العاملين فيها. كما تتلقى الدول الأعضاء الأخرى في الأمم المتحدة هذه القوائم عند الطلب، ولم تتلق الأونروا أي إشارة من السلطات المعنية عن أي تورط لموظفيها في الجماعات المسلحة.

وقد ذكر المسئولون الإسرائيليون أن مشكلة الأونروا لا تكمن في بعض الأفراد المتورطين في طوفان الأقصى فحسب، لأنها تشكل ملاذًا لأيديولوجية حماس المتطرفة. بيد أن الأونروا تتمسك بقيم الأمم المتحدة والمبادئ الإنسانية

الأساسية، وخصوصًا فيما يتعلق بسوء سلوك الموظفين، والادعاءات المتعلقة بانتهاكات الحياد، وتتخذ إجراءات عندما يثبت أن أي موظف قد تصرف بشكل مخالف، وتشمل مجموعة عقوبات تأديبية كالغرامات والإيقاف وخفض الرتبة، وحتى إنهاء الخدمة. ومنذ عام 2022، نُظر 66 تحقيقًا من أصل 30 ألف موظف في جميع أنحاء الأونروا وليس فقط في غزة، لمجموعة من الانتهاكات المتعلقة بالانحياز لحماس والجماعات الأخرى، ولا تزال بعض هذه التحقيقات مستمرة.

كما نقلت العديد من وسائل الإعلام ادعاءات بأن إسرائيل وثقت تعميق العلاقات بين الأونروا وحركة حماس في قطاع غزة منذ عام 2007. وكما هو الحال في أي مكان آخر حول العالم، تعمل الأمم المتحدة في بيئات معقدة، بما في ذلك المناطق الخاضعة لسيطرة حكومة الأمر الواقع أو الجماعات المسلحة، وتتعاون الأمم المتحدة مع جميع الأطراف لتسهيل تقديم الخدمات والمساعدات الإنسانية. وفي قطاع غزة، يتم الانخراط مع سلطات الأمر الواقع على المستوى التشغيلي بهدف تقديم المساعدات الإنسانية وضمان سلامة الموظفين. فتعمل الأونروا في بيئة صراعية، وتستلزم أنشطتها التنسيق وضمان عدم التعارض بين الأطراف ذات الصلة، لتمكينها من تنفيذ مهامها الإنسانية، وبالتالي فإن الوكالة على اتصال دائم مع السلطات الإسرائيلية ومع سلطات الأمر الواقع في وقت واحد لإبلاغها عن تحركاتها وعملياتها.

وإلى جانب ذلك، دفع البعض بأن حماس تُحوّل المساعدات المقدمة من الأونروا، وإن لم تتلق الأخيرة أي ادعاءات محددة فيما يتعلق بأي تحويل منهجي للمساعدات في غزة من قبل حماس أو غيرها. وفي حالة الكشف عن ذلك، ستدين الأونروا وستبلغ الجهات المانحة لها على الفور لتحديد الخطوات المناسبة. وعمومًا، تستخدم الأونروا طريقة التنفيذ المباشر (بدون وسطاء)، مما يعني أنها تتمتع بالسيطرة الكاملة على سلسلة التوريد بدءًا من استلام البضائع عند نقاط العبور في غزة وحتى إحضارها إلى مستودعاتها ونقاط التوزيع، وتسلم المساعدات مباشرة إلى المستفيدين المسجلين، وتنسق جميع تحركات المساعدات بما في ذلك الوقود من نقطة الانطلاق إلى نقطة الوصول داخل غزة بما في ذلك السلطات الإسرائيلية، من أجل تجنب النزاع وضمان المرور الآمن لتحركات قافلة المساعدات، وضمان السلامة للعاملين في المجال الإنساني. ويراقب أفراد الأمن التابعون للأمم المتحدة القوافل. كما تتخذ الأونروا إجراءات لضمان عدم وجود أي علاقات مالية لها مع أي فرد أو منظمة مدرجة على قائمة العقوبات الموحدة لمجلس الأمن التابع للأمم المتحدة.

إضافة إلى ذلك، دفعت إسرائيل بأن حماس قامت بتخزين الأسلحة في مدارس الأونروا، وحفرت الأنفاق تحت مبانيها دون أن تفعل الوكالة الكثير لوقف ذلك. والجدير بالذكر أنه منذ منتصف العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، تعرض حياد مواقع الأونروا التي يحميها القانون الدولي لانتهاكات أدانتها الأونروا بشدة. ففي عام 2014، أدانت الأونروا تخزين الصواريخ والذخائر داخل مدارسها، وقدمت احتجاجًا لسلطات الأمر الواقع، وأبلغت السلطة الفلسطينية وإسرائيل وكذلك الجهات المانحة الرئيسة لها، علاوة على التقارير السنوية المقدمة إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة. فعندما يُكتشف نفق تحت منشآت الأونروا، تتبع الوكالة بروتوكولًا مشابهًا للبروتوكول المستخدم عندما تكتشف أن منشآتها تستخدم لتخزين الذخائر، وتقوم بسد التجاويف عن طريق الأسمنت كي لا تستخدم مرافقها لأي غرض. وخلال الربعين الثاني والثالث من عام 2023، قامت الأونروا بتقييم 99% من منشآت الوكالة النشطة وتم الانتهاء من تقييم جميع منشآت غزة في سبتمبر 2023.

كما ادعت إسرائيل أن مدارس الأونروا التي تستخدم الكتب المدرسية المعتمدة من قبل السلطة الفلسطينية بها مواد تمجد الإرهابيين وتعزز الكراهية لإسرائيل. بيد أن الأونروا تستخدم الكتب المدرسية التي تقدمها الحكومة المضيفة، بما يتماشى مع أفضل ممارسات الأمم المتحدة لتوفير التعليم الجيد في بيئات اللاجئين، وتقوم بمراجعة جميع الكتب المستخدمة في مدارسها لتحديد الأقسام التي قد لا تتماشى مع قيم الأمم المتحدة ومعايير اليونسكو للتدريس، ولا تتسامح الأونروا مع خطاب الكراهية والتحريض على التمييز أو العنف، ويعد استخدام مناهج البلد المضيف في حالات اللاجئين أمرًا معتادًا بالنسبة للأمم المتحدة في جميع أنحاء العالم.

كما يُزعم أن تقرير مكتب محاسبة الحكومة الأمريكية لعام 2019 ذكر أن الأونروا لم تنفذ دائمًا تدابير لمعالجة المحتوى الإشكالي في الكتب المدرسية. في حين أكد تقرير عام 2019 على التزام الأونروا الثابت بقيم الأمم المتحدة، وتقوم بمراجعة منتظمة ودقيقة لجميع الكتب المدرسية والمواد التعليمية المستخدمة في المدارس لضمان توافقها مع قيم الأمم المتحدة ومعايير اليونسكو، وتعزيز التميز التعليمي وتعزيز التسامح وحقوق الإنسان [4].

ختامًا، تُمول الأونروا بالكامل تقريبًا من خلال المساهمات الطوعية المقدمة من الدول الأعضاء في الأمم المتحدة، وتتلقى أيضًا بعض التمويل من الميزانية العامة للأمم المتحدة، وهي وكالة فريدة من نوعها من حيث التزامها طويل الأمد تجاه اللاجئين، فقد ساهمت في التنمية البشرية لأربعة أجيال من لاجئي فلسطين.

المصـــــــــادر

1. Agence France-Presse, UN refugee agency in Gaza can't easily be replaced: chief, Al-Monitor, February 29, 2024, Available at: https://www.al-monitor.com/originals/2024/02/un-refugee-agency-gaza-cant-easily-be-replaced-chief#ixzz8V8GQuqd9

2. تحتاج غزة لوصول المساعدات بشكل أسرع وأكثر أمنًا ولمزيد من طرق الإمداد لدرء المجاعة والحد من انتشار الأمراض الفتاكة، 15 بيان صحفي مشترك صادر عن منظمة الصحة العالمية وبرنامج الأغذية العالمي واليونيسف والأونروا، كانون الثاني 2024، متاح على: https://rb.gy/dzvllu

3. الأونروا: إسرائيل أجبرت موظفين في الوكالة على الاعتراف كذبا بصلتها بحماس، بي بي سي، 9 مارس 2024، متاح على: https://www.bbc.com/arabic/articles/c9945z477k8o

4. الأونروا: المزاعم مقابل الحقائق فبراير 2024، الأونروا، متاح على: https://rb.gy/7rycul

موقف كل من جنوب أفريقيا والبرازيل تجـــاه إسرائيـــل

تسببت الانتهاكات العديدة التي ارتكبها الاحتلال الإسرائيلي بحق الفلسطينيين العُزّل طيلة عقود مضت في أصداء عالمية كثيرة شهدتها عملية "طوفان الأقصى"، التي خلقت حالة من التعاطف الشعبي التي تجاوزت العالمين العربي والإسلامي، وامتدت إلى دول أفريقيا وأمريكا اللاتينية، بجانب دول أوروبا والولايات المتحدة، وهي الدول التي لطالما تعاطفت مع الاحتلال لسنوات طويلة؛ حيث خرج العديد من المتظاهرين من مختلف أرجاء العالم إلى الشوارع، لدعم القضية الفلسطينية تزامنًا مع عملية "طوفان الأقصى".

لواء.أ.ح.طيار/عماد عبد المحسن
مستشار بمركز الدراسات الاستراتيجية للقوات المسلحة
أكاديمية ناصر العسكرية العليا

لقـد نجـح الإعلام الغربـى فـي اسـتمالة الـرأي العـام الغربي في الأسبوع الأول بعـد السـابع مـن أكتوبـر، ولكـن مـا إن بـدأت عمليـة تـداول توثيقـات الإعلام البديل/الحر عبر منصات التواصل الاجتماعي؛ حتى شـهدنا تحـولًا شـعبيًا كبيـرًا نحـو تأييـد الشـعب الغـزاوي. فلطالمـا لعـب الإعلام السـائد الموجّـه الدور الرئيس في تضليل الوعي الجمعي لمواطني الـدول الغربيـة، ولكـن مـع تعاظـم انتشـار الإعلام البديل ووسـائل التواصل الاجتماعي، بـدأت الأنظمة الغربيـة تفقـد السـيطرة علـى الوعـي الجمعـي لمواطنيهـا. وبشـكل عـام، لقـد نجـح الإعلام الحـر في نشـر الحقائـق عـن الحـرب في غـزة، وتسـبب في انقسـام الـدول الأوروبيـة بيـن مؤيـد ومعـارض. وعلى الرغـم مـن أن الاتحـاد الأوروبـي اتخـذ موقفًـا شـبه متـوازن بشـأن الصـراع بيـن الإسـرائيليين والفصائـل الفلسـطينية مـن ناحيـة، وأكـد علـى ضـرورة حمايـة المدنييـن واحتـرام القانـون الدولـي مـن ناحيـة ثانيـة، إلا أن بعضهـم طالـب بدعـم إسـرائيل، بينمـا انتقدهـا آخـرون، ومالـوا إلـى الجانـب الفلسـطيني.

وفـي ظـل تلـك التطـورات علـى السـاحة العالميـة، رفعـت جنـوب أفريقيـا قضيـة فـي محكمـة العـدل الدوليـة تتهـم فيهـا إسـرائيل بالإبـادة الجماعيـة. ولا تقتصـر أهميّـة تلـك الدعـوى فقـط علـى أهميتهـا السياسـية التـي تُركّـز علـى إدانـة إسـرائيل بجريمـة الإبـادة الجماعيّـة، وتطالبهـا فيهـا بوقـف حربهـا علـى غـزة، بـل تحمـل أيضًـا دلالات رمزيّـة تعكـس تاريخ الإبـادة الجماعيّة؛ كونهـا أكثـر الـدول معرفـة باضطهـاد دولـة لدولـة أخـرى أو لشـعب آخـر.

أولًا: طوفان الأقصى والرأي العام العالمي

فـي البدايـة، أُسِّـس الموقـف الدولـي علـى تقديـم الدعـم المطلـق لإسـرائيل. فـخلال الشـهور الأخيـرة مـن عـام 2023، كان هنـاك دعـم أوروبي-أمريكـي مطلـق لإسـرائيل فـي شـن عملياتهـا العسـكرية علـى قطـاع غـزة تحـت سـتار "الدفـاع عـن النفـس" ضـد "هجمـات حركـة حمـاس "الإرهابيـة" وكـرد فعـل علـى عمليـة "طوفـان الأقصـى" ولمنـع تكرارهـا مـرة أخـرى للحفـاظ علـى أمـن إسـرائيل، بيـد أن إسـرائيل أعملـت آلـة الحـرب الثقيلـة لتدمـر حيـاة المواطنيـن الأبريـاء فـي قطـاع غـزة دون التفرقـة بيـن الأطفـال والنسـاء أو رجـال حمـاس وباقـي الشـعب الأعـزل، فـي ظـل حمايـة الأسـطول السـادس الأمريكـي والأسـطول الحربـي البريطاني، متسـببة فـي دمـار كامـل للمبانـي والمستشـفيات ودور العبـادة والبنيـة التحتيـة للقطـاع بأكملـه، وقـد انتشـرت صـور الدمـار الرهيـب فـي جميـع أنحـاء العالـم، وشـاهدتها الشـعوب فـي ظـل السـيطرة الإعلاميـة الغربيـة علـى مـا يُنشـر.

لقـد أدى ذلـك لخـروج المظاهـرات فـي شـتى الأماكـن وفـي أوروبـا وحتـى فـي الولايـات المتحـدة للمطالبـة بوقـف القتـال وتحييـد آلـة القتـل الإسـرائيلية، ولكـن أصـر رئيـس الـوزراء الإسـرائيلي "نتنياهـو" علـى اسـتمرار القتـل والتهجيـر وتجويـع الشـعب فـي غـزة، رغـم مطالبـة زعمـاء العالـم بوقـف الاجتيـاح، حتـى أصبـح مـن المحـرج لقـادة الـدول الغربيـة الاسـتمرار فـي تأييـد إسـرائيل.

وعلـى صعيـد آخـر، وتحديـدًا فـي أمريـكا اللاتينيـة، اتخـذت عـدة دول ردود أفعـال قويـة ضـد الحـرب التـي تشـنها إسـرائيل علـى قطـاع غـزة؛ فقطعـت بوليفيـا علاقاتهـا الدبلوماسـية مـع إسـرائيل احتجاجًـا علـى سـقوط ضحايـا مـن المدنييـن فـي غـزة، واسـتدعت كولومبيـا سـفيرها لـدى إسـرائيل، وكذلـك فعلـت دولـة " تشـيلي".

ثانيًا: دعوى جنوب أفريقيا ضد إسرائيل

في ظـل تلـك الأجـواء العالميـة المشـحونة، اتهمـت دولـة جنـوب أفريقيـا إسـرائيل فـي محكمـة العـدل الدوليـة، فـي لاهـاي بهولنـدا فـي 29 ديسـمبر عـام 2023، بـارتكاب "إبـادة جماعيـة"، وانتهـاك اتفاقيّـة منـع جريمـة الإبـادة الجماعيّـة لعـام 1948؛ مُعتبـرة أن الهجـوم الـذي شـنّته حركـة حمـاس فـي 7 أكتوبـر عـام 2023 لا يُمكـن أن يُبـرِّر مـا ترتكبـه إسـرائيل فـي قطـاع غـزة، كمـا اتهمتهـا بالقـول بالنـص: "السـياق الأوسـع لسـلوك إسـرائيل تجـاه الفلسـطينيين خلال نظـام الفصـل العنصـري الـذي دام 75 عامًـا، واحتلالهـا العسـكري للأراضـي الفلسـطينيّة الـذي دام 56 عامًـا، وحصارهـا لغـزة لمـدة 16 عامًـا".

لقـد أيـدت العديـد مـن دول العالـم دعـوة دولـة جنـوب أفريقيـا ضـد اسـرائيل، وتحديـدًا: الأردن، وإندونيسـيا، وإيـران، والبرازيـل، وبلجيـكا، وأيرلنـدا، وباكسـتان، وبنغلاديـش، وبوليفيـا، وتركيـا، وتشـيلي، والجزائـر،

وجيبوتي. وعلى جانب آخر، عارضت بعض الدول الغربية والدول ذات الاتجاه الغربي، وعلى رأسها: ألمانيا، والولايات المتحدة، والمملكة المتحدة، وفرنسا، والمجر، وباراجواي، وجواتيمالا.

وقد تراوحت مواقف باقي دول الاتحاد الأوروبي بين الحيادية والسلبيّة؛ حيث أعربت حكومتا النمسا والتشيك عن شكوكهما حول القضية ورفضهما لتسييسها. في حين صرّح نائب رئيس الحكومة في إيطاليا ووزير خارجيّتها "أنتونيو تاجاني" أن: "إسرائيل استهدفت المدنيين، إلاّ أن هذا لا يُعتبر إبادة جماعيّة". وبالنسبة لروسيا، لم تعبِّر عن موقفها من الدعوى القضائيّة بشكل مباشر، كما هو بالنسبة للصين واليابان.

ثالثًا: قرارات ومتابعات المحكمة

عقب تقديم ملف القضية وإتمام المرافعات القانونية من طرفيها، وفي تدبير مؤقت، أمرت محكمة العدل الدولية إسرائيل، يوم الجمعة الموافق 26 يناير عام 2024، باتخاذ إجراءات مؤقتة لمنع الإبادة الجماعية في غزة والتحريض المباشر عليها. وقد صوتت أغلبية كبيرة من أعضاء هيئة المحكمة لصالح اتخاذ تلك الإجراءات العاجلة التي تُلبّي معظم ما طلبته جنوب أفريقيا، باستثناء توجيه الأمر بوقف الحرب على غزة بشكل صريح.

وقد حذرت المحكمة من "الظروف الكارثية" في غزة؛ فأمرت إسرائيل في 26 يناير عام 2024 باتخاذ إجراءات فورية وفعالة للسماح بتوفير الخدمات الأساسية والمساعدات الإنسانية التي تمس الحاجة إليها. ويتضمّن ذلك رفع إسرائيل تقريرًا عن التزامها بتلك الإجراءات بعد شهر، وبالرغم من أن قرار المحكمة نهائي وغير قابل للاستئناف، فلم تستجب إسرائيل لأيٍّ من قراراتها، بل ولا تزال مستمرة في أعمالها الوحشية في قطاع غزة. وطبقًا لذلك، رأت دولة جنوب أفريقيا أنها مضطرة للعودة إلى المحكمة على ضوء الحقائق والمتغيرات الجديدة في غزة، وخصوصًا أوضاع المجاعة واسعة النطاق، والتي نجمت عن الانتهاكات الإسرائيلية المستمرة لاتفاقية منع جريمة الإبادة الجماعية، وكذا انتهاك التدابير العاجلة الصادرة عن المحكمة في 26 يناير 2024.

وبناءً على ذلك، في 6 مارس عام 2024، طلبت جنوب أفريقيا من محكمة العدل الدولية إصدار أمر بتدابير إضافية لحماية الفلسطينيين في غزة، إلحاقًا بأمر المحكمة الصادر في 26 يناير 2024 والذي ألزم إسرائيل بتدابير فورية لمنع أي أعمال يمكن اعتبارها إبادة جماعية بحق الفلسطينيين، وتعديل أمر المحكمة الصادر في 26 يناير 2024 والقرار الصادر في 16 فبراير 2024 بشأن تطبيق اتفاقية منع جريمة الإبادة الجماعية والمعاقبة عليها في قطاع غزة.

إضافةً إلى أن جنوب أفريقيا طلبت من المحكمة الإشارة إلى تدابير إضافية، وتعديل التدابير المشار إليها في أمرها الصادر في 26 يناير 2024، من أجل ضمان سلامة وأمن 2,3 مليون فلسطيني في غزة، بينهم أكثر من مليون طفل. وقد طلبت من المحكمة القيام بذلك دون عقد جلسة استماع على ضوء الأوضاع الإنسانية المُلحة.

وفي السياق نفسه، طلبت الجمعية العامة للأمم المتحدة استصدار فتوى قانونية من محكمة العدل الدولية حول آثار الاحتلال الإسرائيلي المتواصل. لذلك، طلبت المحكمة الاستماع إلى إحاطات من 52 دولة، إضافة إلى: الاتحاد الأفريقي، ومنظمة التعاون الإسلامي، وجامعة الدول العربية. وستقوم كل دولة ومنظمة بتقديم إحاطتها خلال جلسات الاستماع. ومن بين الدول التي ستلقي إحاطة شفهية الولايات المتحدة وروسيا والصين وبريطانيا وفرنسا وألمانيا وإيران وكندا ومصر وجنوب أفريقيا واليابان وإسبانيا والمملكة العربية السعودية وماليزيا وباكستان وهولندا، بالإضافة إلى الاتحاد الأوروبي، والعديد من الدول في الشرق الأوسط وآسيا والمحيط الهادي.

والجدير بالذكر أنه، بعد الفتوى التي أصدرتها محكمة العدل الدولية في 2010، والتي تنص على أنه من غير الممنوع على الدول إعلان استقلالها من جانب واحد في القانون الدولي، تزايدت شرعية استقلال كوسوفو، وازداد عدد الدول التي اعترفت باستقلالها، وإذا ما قدمت محكمة العدل الدولية رأيًا ينص على أن الاحتلال مخالف للقانون الدولي، فمن المرجح أن تتزايد الضغوط على إسرائيل، وقد تضطر الدول التي تؤيدها علنًا من قبل المجتمع الدولي إلى إعادة النظر في موقفها.

رابعًا: دولة البرازيل في مواجهة العنف الإسرائيلي

خلال حضور الرئيس البرازيلي "لويس إيناسيو لولا دا سيلفا" القمة السابعة والثلاثين للاتحاد الأفريقي، صرح بأن: "ما يحدث في قطاع غزة ليس حربًا، ولكنه إبادة جماعية"، وأضاف: "ليست حرب جنود ضد جنود، إنها حرب بين جيش على درجة عالية من الاستعداد، وبين نساء وأطفال.. ما يحدث في قطاع غزة مع الشعب الفلسطيني لم يحدث في أي مرحلة أخرى في التاريخ، في الواقع، سبق أن حدث بالفعل حين قرر هتلر أن يقتل اليهود".

وفي وقت سابق، ندد "لولا" أيضًا بتعليق المساعدات الإنسانية لوكالة غوث وتشغيل

اللاجئيـن الفلسـطينيين التابعـة للأمـم المتحـدة (الأونـروا)، وحـثّ علـى التحقيـق فـي الأخطـاء دون قطـع التمويـل لمسـاعدة المتضرريـن مـن "الإبـادة الجماعيـة". هـذا، واسـتدعت البرازيـل سـفيرها لـدى إسـرائيل للتشـاور فـي خضـم أزمـة سياسـية بيـن البلديـن فـي أعقـاب تشـبيه الرئيـس البرازيلـي للحـرب الإسـرائيلية فـي غـزة بـــ "الهولوكوسـت". وردًا علـى ذلـك، أعلـن وزيـر الخارجيـة الإسـرائيلي أن الرئيـس البرازيلـي سـيظل "شـخصًا غيـر مرغـوب فيـه" فـي إسـرائيل حتـى يتراجـع عـن تصريحاتـه التـي شـبّه فيهـا الحـرب الإسـرائيلية على قطاع غـزة بالإبـادة الجماعيـة التي ارتكبهـا النازيـون خلال الحـرب العالميـة الثانيـة.

وقـد أكـدت عـدة مصـادر إعلاميـة ودبلوماسـية أن البرازيـل لا تنـوي سـحب تعليقـات رئيسـها التـي شـبه فيهـا الحـرب الإسـرائيلية علـى غـزة بمعاملـة هتلـر لليهـود. بـل وأعلنـت وزارة الخارجيـة البرازيليـة أنهـا ستسـتدعي سـفير إسـرائيل لـدى البرازيـل "دانيـال زونشـايني" لاجتمـاع فـي ريـو دي جانيـرو، حيـث حضـر الوزيـر "مـاورو فييـرا" اجتماعًـا لـدول مجموعـة العشـرين. وخلال افتتاحه لها، تحدث وزير الخارجيـة البرازيلـي عـن "شـلل" فـي مجلـس الأمـن الدولي بشـأن الحربيـن في غـزة وأوكرانيا. بمشـاركة وزيـر الخارجيـة الأمريكـي "أنتوني بلينكـن" ونظيـره الروسـي "سـيرغي لافـروف"، اعتبـر وزيـر "فييـرا" أن انفجـار النزاعـات يُظهـر أن المؤسسـات الدوليـة مثـل الأمـم المتحـدة لا تـؤدي دورهـا. وقـال خلال كلمتـه الافتتاحيـة: إن "المؤسسـات المتعـددة الأطـراف ليسـت مجهـزة بمـا يكفـي للتعامـل مـع التحديـات الحاليـة، كمـا يتضـح مـن الشـلل غيـر المقبـول لمجلـس الأمـن بشـأن النزاعـات الجاريـة. هـذا التقاعـس يتسـبب بخسـائر فـي الأرواح البشـرية".

ختامًـــــا، علـى الرغـم مـن التباين الحـاد في وجهـات النظـر الدوليـة تجـاه الحـرب الإسـرائيلية علـى غـزة، إلا أن أيًّـا مـن القـوى الدوليـة لـم تسـتطع المطالبـة بوقـف إطلاق النـار أو إدانـة الأعمـال الوحشـية ضـد شـعب غـزة الأعـزل؛ فكلهـم يـدورون فـي الفلـك الأمريكـي، ويتلمسـون مـن الآراء مـا يوافقهـا. وعلـى الرغـم مـن عـدم طلـب محكمـة العـدل الدوليـة وقـف إطلاق النـار، إلا أن مجـرد قبـول الدعـوى هـو بمثابـة اعتـراف بوحشية الأعمال الإسـرائيلية ضـد الفلسـطينيين، وقـد يأخـذ نظـر القضيـة عـدة سـنوات للبـت فيهـا، ولكـن لا شـك أن "انتفاضـة الأقصـى" أعـادت القضيـة الفلسـطينية إلـى السـاحة العالميـة؛ علّهـا تجـد حلًا فـي القريـب.

لقـد اتخـذت العديـد مـن الـدول موقفًـا حازمًـا ضـد إسـرائيل، ولكـن أتـت المواقـف الصلبـة مـن جنـوب أفريقيـا والبرازيـل اللتيـن حزمتـا أمرهمـا فـي تجمـع اقتصـادي سياسـي لقـوى "البريكـس" خـارج النظـام الاقتصـادي الأمريكـي الغربـي ومـا يـدور فـي رحـاه، وذلـك فـي إطـار نظـام عالمـي جديـد. ومـا حـدث مـن كلتيهمـا هـو عبـارة عـن تعبيـر عـن أن هنـاك قـوى أخـرى تشـكلت، ولهـا مصالـح وتطلعـات تتحـدى الهيمنـة والسـيطرة الإمبرياليـة الغربيـة.

المصـــــــادر

1. سكاي نيوز، رئيس البرازيل يصرّ على اتهام إسرائيل بارتكاب "إبادة جماعية"، سكاي نيوز، 24 فبراير 2024، متاح على: https://rb.gy/ujh68r
2. فرانس 24، قمة مجموعة العشرين: البرازيل تنتقد "شلل" مجلس الأمن بشأن الحرب في غزة وأوكرانيا، فرانس 24، 22 فبراير 2024، متاح على: https://rb.gy/p2xbw4
3. ناصر الزيادات، لماذا تتعاطف شعوب العالم مع القضية الفلسطينية؟، الجزيرة مباشر، 1 يناير 2024، متاح على: https://rb.gy/uawjt4

تقييم دور «حزب اللّه» في حرب غزة وتأثيره الإقليمي

بينما يأمل الوسطاء في التوصل إلى هدنة قريبة توقف الحرب الدائرة بين إسرائيل وحماس في قطاع غزة، تتزايد المخاوف من تصاعد الاشتباكات التي دارت طيلة عدة أشهر عبر الحدود في الشمال، وسط مخاوف من أن تتحول إلى صراع أكبر، إن انخرطت أو خاضت إسرائيل حربًا كبرى أخرى ضد "حزب الله" اللبناني؛ بوصفه حليفًا لحركة حماس. فقد طالبت إسرائيل بوقف هجمات "حزب الله" شبه اليومية، كما طالبته بسحب قواته إلى منطقة شمال نهر الليطاني اللبناني، على بعد ما يقرب من 30 كم من الحدود التي تحرسها الأمم المتحدة.

لواء. أ.ح.د/ عز الدين عبد الرحمن عوف

مستشار مركز الدراسات الاستراتيجية للقوات المسلحة

أكاديمية ناصر العسكرية العليا

وفي هـذا الصـدد، أعلـن وزيـر الدفـاع الإسـرائيلي "يـوآف غالانـت" أن الهدنـة فـي غـزة لـن توقـف العمليـات العسـكرية الإسـرائيلية فـي الشـمال. فيمـا يخشـى كثيـرون مـن أن وقـف إطلاق النـار فـي غـزة قـد يكـون فـي الواقـع فرصـة للقـوات الإسـرائيلية كـي تكثـف العمليـات الشـمالية. وفي الوقـت ذاتـه، فـإن "حـزب الله"، الـذي خـاض حروبًـا سـابقة ضـد إسـرائيل، لديـه العديـد مـن المقاتليـن المتمرسـين وترسـانة هائلـة مـن الصواريـخ والقذائـف التـي امتنـع عـن اسـتخدامها حتـى الآن. وفـي تلـك الخلفيـة، يمكـن القـول إنـه فـي أعقـاب الحـرب الإسـرائيلية علـى غـزة، دار جـدل حـاد حـول عـدم تدخـل "حـزب الله" فـي الصـراع والأسـباب الكامنـة وراء هـذا القـرار الاسـتراتيجي دون التقليـل مـن أهميـة مسـاهماته غيـر العسـكرية فـي الصـراع الدائـر، ولا سـيما محاولتـه إعـادة صياغـة الحـرب بمـا يتماشـى مـع أجنـدة السياسـة الخارجيـة الإيرانيـة لمنطقـة الشـرق الأوسـط.

أولًا: لماذا لم يتدخل "حزب الله" في الحرب؟

طـرح المبعـوث الفرنسـي إلـى سـوريا السـيناتور "فيليـب ماريني" نظريـة محتملـة بشـأن فشـل "حـزب الله" فـي التحـرك فـي خضـم الحـرب فـي غـزة، بقولـه إن الرئيـس السـوري بشـار الأسـد اسـتخدم نفـوذه الشـخصي علـى "حـزب الله" لمنعـه مـن الهجـوم علـى إسـرائيل، وقـد صـرح "ماريني" علنًـا أن الرئيـس الأسـد أخبـره أنـه مـارس نفـوذه لضمـان اعتمـاد "حـزب الله" موقفًـا مسـئولًا وضبـط النفـس خلال الأحـداث فـي غـزة، إلا أن المصـادر السـورية سـرعان مـا نفـت هـذا التقريـر.

وهنـاك طـرح آخـر يقـدم قـراءة مغايـرة لموقـف "حـزب الله" مـن الحـرب الإسـرائيلية علـى غـزة، وهـو الموقـف الـذي أشـارت لـه صحيفـة الشـرق الأوسـط التـي أكـدت -نـقلًا عـن مصـدر لبنانـي مقـرب مـن "حـزب الله" لـم يذكـر اسـمه- أن "حـزب الله" يـدرس إمكانيـة فتـح جبهـة ثانيـة ضـد إسـرائيل، وإن ارتـدع عـن القيـام بذلـك. ويعتقـد أن "حـزب الله" سـمح لطـرف ثالـث -يُعتقـد أنـه الجبهـة الشـعبية لتحريـر فلسـطين وتحديـدًا لقيادتهـا العامـة- بـإطلاق صواريـخ علـى إسـرائيل، كـي يرسـل إشـارة إلـى الإسـرائيليين مفادهـا أن حدودهـم الشـمالية غيـر مسـتقرة وقـد تنفجـر فـي أي دقيقـة. وقـد كان الهـدف مـن إطلاق الصواريـخ أيضًـا هـو اختبـار رد الفعـل الداخلي على التدخل العسـكري في الأعمال العدائيـة الجاريـة بيـن إسـرائيل وحمـاس. وبنـاءً علـى ذلـك، فـإن رد الفعـل السـلبي علـى إطلاق الصواريـخ بمـا فـي ذلـك بيـن السـكان الشـيعة، الذيـن يشـكلون العمـود الفقـري لدعـم "حـزب الله"، إلـى جانـب الحسـابات العسـكرية، أثنـت "حـزب الله" وردعتـه عـن مواصلـة هجماتـه ضـد إسـرائيل أو تصعيدهـا.

وترتكـز هـذه النظريـة علـى افتـراض مفـاده أن "حـزب الله" يسـيطر بشـكل مُحكـم علـى كامـل جنـوب لبنـان، وبالتالـي مـن غيـر المعقـول أن تتمكـن أي

جهة أو منظمة في المنطقة من إطلاق الصواريخ دون علمه. إضافة إلى ذلك، فإن هناك مجموعة من الاعتبارات السياسية والعسكرية التي أثرت على التقييم الاستراتيجي لحزب الله وقراره بالامتناع عن التورط في مواجهة مسلحة ضد إسرائيل، وتتمثل أكثر تلك العوامل أهمية في الانتخابات اللبنانية المقبلة والمعارضة الشعبية واسعة النطاق لبدء حرب أخرى ضد إسرائيل، بينما تحاول البلاد إصلاح الأضرار الكبيرة التي لحقت بالبنية التحتية في لبنان منذ عام 2006.

في الواقع، وعلى الرغم من عدم التدخل العسكري المباشر، إلا أن "حزب الله" لعب دورًا مهمًا خلال حرب غزة. فقد حافظ كل من حركة حماس و"حزب الله" على التواصل المستمر في جميع مراحل الصراع. فقد أطلق الأمين العام لحزب الله "حسن نصر الله" حملة عربية لإنهاء الحصار المفروض على غزة قبل عدة أيام من انتهاء وقف إطلاق النار بين حماس وإسرائيل. وبعد يوم واحد فقط من انتهاء وقف إطلاق النار بين حماس وإسرائيل، أعلن رئيس المكتب السياسي لحركة حماس في دمشق "خالد مشعل" رسميًا رفض "حماس" تجديد وقف إطلاق النار. وبشكل عام، يشير توقيت تلك الإعلانات إلى وجود قناة اتصال مفتوحة بين الجانبين، فضلًا عن الحد الأدنى من التنسيق بينهما.

علاوة على ذلك، يبدو أن بعض التكتيكات التي استخدمتها حماس خلال العملية العسكرية الإسرائيلية الأخيرة في غزة قد تعلمتها من "حزب الله"، وهذا ما أكده "محمد رعد" (النائب عن "حزب الله"). فعلى سبيل المثال، منذ استيلاء حماس على قطاع غزة عام 2007، اعتمدت الجماعة أكثر على الهجمات الصاروخية وبدرجة أقل على العمليات الانتحارية، وهو تغيير يمكن أن يُعزى إلى مراقبة وتطبيق التكتيكات التي يستخدمها "حزب الله" اللبناني. علاوة على ذلك، ووفقًا لصحيفة "حميات" الإيرانية، قام "حزب الله" أيضًا بتدريب حماس على التكتيكات العسكرية المستخدمة لمهاجمة دبابات ميركافا (الدبابة القتالية الرئيسية التي يستخدمها جيش الدفاع الإسرائيلي). ومع ذلك، وبصرف النظر عن الدعم اللوجستي الموجود مسبقًا والتواصل المستمر بين الجانبين، فإن مساهمة "حزب الله" الملموسة في الحرب في غزة كانت على مستوى الدعاية والعمليات النفسية؛ حيث لعب "حزب الله" دورًا مهمًا في تعبئة المجتمع العربي.

ثانيًا: الحرب النفسية لحزب الله

بمجرد بدء الأعمال العدائية، شرع "حزب الله" في حملة نفسية ضخمة لربط الحرب على غزة من ناحية ورد أفعال حماس على حرب لبنان عام 2006 من ناحية أخرى، مُعلنًا أن تلك الحرب كانت -في الواقع- بمثابة بداية التراجع العسكري الإسرائيلي داخل المنطقة، وأن ما يجري في غزة هو نسخة فلسطينية لما حدث في لبنان في يوليو 2006، وهو ما يفسر لماذا لا يجرؤ الإسرائيليون على الإعلان عن أن الهدف هو وقف إطلاق الصواريخ من غزة، ويخشون الفشل. وبغض النظر عن النتائج العسكرية على الأرض والضربة القوية التي وجهتها إسرائيل لحماس، فقد أدار "حزب الله" حملة إعلامية جيدة التخطيط للتأكيد على ضعف نموذج الردع الإسرائيلي. فقد هدف "حزب الله" إلى إعادة صياغة فهم الجمهور العربي للحرب بطريقتين على الأقل؛ **أولهما**: التأكيد على ضعف إسرائيل في مواجهة حماس و"المقاومة"، **وثانيهما**: اقتراح قراءة بديلة للحرب نفسها مفادها أن من يعتقد أن هذه الحرب تشن على حركة حماس أو على حكومة حماس مخطئ؛ فالحرب تشن على الشعب الفلسطيني، كما أن التناقض مع فصائل المقاومة الإسلامية في غزة ليس بسبب انتمائها الأيديولوجي أو الديني أو الانتماء الفكري، ولكن بسبب برنامج المقاومة، وأن ما يُحارب في غزة اليوم ليس عنوانًا إسلاميًا أو الحركة الإسلامية، بل هو برنامج المقاومة. ومن ثَمَّ، فإن الهدف هو زيادة الشعور بالتضامن والوحدة في العالم العربي.

ختامًا، على الرغم من عدم التدخل العسكري المباشر، استثمر "حزب الله" رأس مال سياسيًا كبيرًا في حرب غزة من خلال الشروع في حملة إعلامية ضخمة لدعم حماس، وإعادة صياغة الصراع، ورفع مستوى المواجهة السياسية داخل العالم العربي من خلال محاولة إضعاف حماس للموقف السياسي للأنظمة العربية المعتدلة الرئيسية مثل مصر.

المصـــــــادر

1. Guillaume Lavallée, Fears grow in Israel of war with Lebanon's Hezbollah, Al-Monitor, February 29, 2024, https://www.al-monitor.com/originals/2024/02/fears-grow-israel-war-lebanons-hezbollah#ixzz8Uui9fTtg

2. Samuel Ramani, Iran's cautious calculus on Israel's ground invasion of Gaza, New Arab, 30 October, 2023, https://www.newarab.com/analysis/irans-cautious-calculus-israels-ground-invasion-gaza

تداعيات الحرب الإسرائيلية على غزة على الدعم العسكري الغربي لإسرائيل

منـذ أن شـرعت الآلـة الحربيـة الإسـرائيلية فـي غـزة ردًا علـى عمليـة "طوفـان الأقصـى"، حظيـت إسـرائيل بدعـم عسـكري مـن دول غربيـة عـدة، وهـو الدعـم الـذي وصفـه زعمـاء تلـك الـدول بأنـه دعـم "ثابـت وموحّـد". وقـد تضمـن هـذا الدعـم تزويـد إسـرائيل بمعـدات وذخائـر عسـكرية، ونشـر سـفن حربيـة، وتقديـم معلومـات استخبارية. وبطبيعـة الحـال، يتفـاوت الدعـم العسـكري الغربـي لإسـرائيل مـن دولـة إلـى أخـرى، بيـد أن بعـض الدعـم العسـكري المقـدم لإسـرائيل يجعـل مـن الـدول التـي قدمتـه "شـريكة" فـي العـدوان علـى غـزة.

د. رغدة البهي

رئيس وحدة الأمن السيبراني،

بالمركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية

أولًا: الدعم العسكري الأمريكي

دار دعـم الولايـات المتحـدة لإسـرائيل حـول تقديـم المسـاعدات الأمنيـة والدعـم العسـكري المباشـر، وقـد تأسـس ذلـك الدعـم علـى قناعـة مفادهـا أن واشـنطن سـتكون قـادرة علـى دعـم إسـرائيل بالإمـدادات العسـكرية فـي الوقـت الـذي تقـدم فيـه الدعـم لأوكرانيـا مـن ناحيـة، وتسـاند فيـه القـوات الأمريكيـة فـي جميـع أنحـاء العالـم مـن ناحيـة أخـرى. ففـي إحاطـة إعلاميـة يـوم 9 أكتوبـر 2023، أكـد أحـد مسـئولي وزارة الدفـاع الأمريكيـة أن الولايـات المتحـدة قـادرة علـى دعـم أوكرانيـا وإسـرائيل مـع الحفـاظ علـى "التأهـب العالمـي". كمـا يتأسـس ذلـك الدعـم علـى قناعـة أخـرى مفادهـا أن الولايـات المتحـدة لـن تقاتـل بشـكل مباشـر فـي تلـك الحـرب. وكمـا صـرّح منسـق الاتصـالات الاسـتراتيجية في مجلـس الأمـن القومـي الأمريكـي "جـون كيربـي" فـي 9 أكتوبـر 2023، فـإن الولايـات المتحـدة "لا تنـوي نشـر قـوات علـى الأرض"[1].

وعليـه، زودت الولايـات المتحـدة إسـرائيل بخليـة مـن قـوات العمليـات الخاصـة التـي سـاعدتها فـي عمليـات الاسـتخبار والتخطيـط العسـكري، وقـد تشـارك فـي عمليـات تحريـر الرهائـن الإسـرائيلية إن طُلـب منهـا ذلـك. والجديـر بالذكـر أن الولايـات المتحـدة لـم تضـع شـروطًا لاسـتخدام مسـاعداتها العسـكرية لإسـرائيل. كمـا حولـت الولايـات المتحـدة مسـار حاملـة الطائـرات "جيرالـد آر. فـورد" للإبحـار باتجـاه إسـرائيل بطاقمهـا المكـون مـن حوالـي 5000 فـرد. وتوفـر حاملـة الطائـرات مجموعـة مـن الخيـارات العسـكرية؛ كونهـا تشـكل مركـزًا لعمليـات القيـادة والسـيطرة، ويمكنهـا شـن حـرب معلومـات، وإطلاق واسـتعادة طائـرات المراقبـة ((E2-Hawk-eye المعروفـة برادارهـا الـذي يوفـر نظـام إنـذار مبكـر عنـد إطلاق الصواريـخ المضـادة. وتقـوم تلـك الطائـرات بالمراقبـة وإدارة المجـال الجـوي، ولا تكتشـف طائـرات العـدو فحسـب، بـل تقـوم أيضًـا بتوجيـه التحـركات الأمريكيـة/الإسـرائيلية. وتحتضـن حاملـة الطائـرات فـورد طائـرات مقاتلـة مـن طـراز (F-18) بقدرتهـا الكبيـرة علـى ضـرب الأهـداف واعتراضهـا. ولحاملـة الطيـران قـدرة كبيـرة علـى التحـول إلـى مركـز للجهـود الإنسـانية لوجـود مستشـفى بـه ووحـدة للرعايـة المركـزة وحوالـي 40 طبيبًـا وجرّاحًـا، إضافـة إلـى طائـرات هليكوبتـر يمكـن اسـتخدامها لتمكيـن العناصـر الحيويـة جوًا أو الوصـول للضحايـا والمصابيـن. كمـا طلـب البنتاجـون تجهيـز طائـرات حربيـة إضافيـة لدعـم أسـراب طائـرات (A-10) و(F-15) و((F-16 الموجـودة فـي الشـرق الأوسـط لمسـاعدة إسـرائيل إن لـزم الأمـر [2].

وقـد أعلنـت وزارة الدفـاع الأمريكيـة عـن خطـط لتعزيـز وجـود الطائـرات المقاتلـة فـي المنطقـة، والتـي تشـمل مجموعـة مـن طائـرات "إف35-". ويعنـي ذلـك إعـادة إدخـال المقاتلـة المتقدمـة مـن الجيـل الخامـس إلـى المنطقـة. وفـضلًا عـن ذلـك، مـن المرجـح أن تضيـف "مجموعـة الناقلات الضاربـة" طبقـةً مـن الدفـاع الجـوي والتغطيـة الراداريـة إلـى شـبكة إسـرائيل، مـع توفيرهـا مسـتوى آخـر مـن المعرفـة الاسـتخباراتية لجبهـات إسـرائيل الأخـرى [3]. ووفقًـا لصحيفـة "يديعـوت أحرونـوت" الإسـرائيلية، بلـغ عـدد طائـرات وسـفن الشـحن الأمريكيـة التـي وصلـت إلـى إسـرائيل وتحمـل علـى متنهـا أسـلحة وذخائـر، منـذ بدايـة الحـرب فـي 7 أكتوبـر وحتـى أواخـر ديسـمبر 2023، عـدد 230 طائـرة و20 سـفينة شـحن أمريكيـة، تحمـل مسـاعدات عسـكرية إلـى إسـرائيل [4].

ولقـد وافـق مجلـس النـواب الأمريكـي -الـذي يسـيطر عليـه الجمهوريـون- فـي مطلـع نوفمبـر 2023 علـى طلـب إدارة الرئيـس "جـو بايـدن" بتخصيـص 14.3 مليـار دولار مسـاعدات لإسـرائيل، رغـم تأكيـد الديمقراطييـن علـى أنـه لـن يتـم المصادقـة عليـه فـي مجلـس الشـيوخ، وهـو مـا يسـلط الضـوء علـى حجـم المسـاعدات الأمريكيـة وأهدافهـا، وكيـف جـرت عمليـة مأسسـتها وتقنينهـا. فقـد كان هـذا هـو أول إجـراء تشـريعي كبيـر فـي عهـد رئيـس مجلـس النـواب الجديـد "مايـك جونسـون"، وقـد نـص صراحـة علـى إنفـاق إضافـي منفصـل لإسـرائيل فقـط، علـى الرغـم مـن طلـب "بايـدن" حزمـة تشـمل مسـاعدات لإسـرائيل وأوكرانيـا ومبالـغ مخصصـة لأمـن الحـدود وتمويـلًا لتعزيـز المنافسـة مـع الصيـن فـي منطقـة المحيطيـن الهنـدي والهـادئ. فـلا شـك أن الولايـات المتحـدة هـي أكبـر مـورد للمسـاعدات العسـكرية لإسـرائيل، حيـث سـاهمت بحوالـي 130 مليـار دولار منـذ تأسيسـها [5].

وحسـب دراسـة صـدرت فـي عـام 2023 عـن مركـز خدمـة أبحـاث الكونغـرس، فـإن الولايـات قدمـت لإسـرائيل مسـاعدات منـذ 1948 حتـى مطلـع 2023 بقيمـة 158.66 مليـار دولار دون احتسـاب معـدل التضخـم. وفـي حـال احتسـاب معـدل التضخـم، فإنهـا تصـل إلـى 260 مليـار دولار. وأغلـب تلـك المسـاعدات هـي مسـاعدات عسـكرية؛ إذ أوقفـت واشـنطن فـي 2007 مسـاعداتها الاقتصاديـة لتـل أبيـب، التـي بدأتهـا فـي 1971، وذلـك بعـد أن أصبحـت إسـرائيل واحـدة مـن أكثـر الـدول نمـوًا فـي العالـم، حيـث شـغل الناتـج المحلـي الإجمالـي للفـرد في إسـرائيل المرتبـة 14 عالميًـا في 2022 [6].

ثانيًا: الدعم العسكري الأوروبي

وضعـت ألمانيـا تحـت تصـرف إسـرائيل طائرتيـن مُسـيَّرتين حربيتيـن مـن طـراز "هيـرون تـي بـي" تحمـل كل منهمـا طنًـا مـن الذخائـر. وقـد وافقـت وزارة الدفـاع علـى اسـتخدامهما بمـا يتفـق مـع الطلـب. ووفقًـا لمجلـة "در شـبيغل"، وفيمـا يتعلـق بقـدرة إسـرائيل علـى اسـتخدام هاتيـن الطائرتيـن فـي غـزة، فـإن القـوات المسـلحة الألمانيـة اسـتأجرت حاليًـا خمـس طائـرات بـدون طيـار مـن هـذا الطـراز بشـكل خـاص لتدريـب الجنـود الألمـان فـي أحـد المواقـع فـي إسـرائيل. وفـي الوقـت ذاتـه، زودت برليـن تزويـد الإسـرائيليين بذخيـرة للسـفن. فيمـا اكتفـت باريـس بتقديـم معلومـات اسـتخبارية مـع تأكيـد وزيـر الجيـوش الفرنسـية "سيباسـتيان لوكورنـو" علـى أن بلاده لـم يُطلـب منهـا تقديـم مسـاعدات عسـكرية لإسـرائيل [7].

أمـا الحكومـة البريطانيـة، فأعلنـت أنهـا سترسـل سـفينتين تابعتيـن للبحريـة الملكيـة وطائـرات إلـى شـرق البحـر الأبيـض المتوسـط لدعـم إسـرائيل وتعزيـز الأمـن الإقليمـي ومنـع أي تصعيـد، وقـد نشـرت بالفعـل تجهيزات عسـكرية للمراقبـة البحرية

والجوية وسفينتين في شرق البحر المتوسط، وقد شمل ذلك: طائرة من طراز "بي 8"، وسفينتين تابعتين للبحرية الملكية، وثلاث مروحيات من طراز "ميرلين"، وسرية من مشاة البحرية الملكية. وقد أكد رئيس الوزراء "ريشي سوناك" في بيان أنه "إلى جانب حلفائنا، سيدعم نشر قواتنا العسكرية ذات المستوى العالي الجهود الرامية إلى ضمان الاستقرار الإقليمي ومنع المزيد من التصعيد". وأضاف "ستبدأ الدوريات البحرية وطائرات المراقبة العمل في المنطقة لرصد التهديدات للاستقرار الإقليمي، مثل نقل الأسلحة إلى جماعات إرهابية". وقد أكدت الحكومة البريطانية أن العسكريين سيكونون في وضع تأهب لتقديم دعم عملي لإسرائيل وضمان الردع، وأن الفرق العسكرية والدبلوماسية ستدعم الشركاء الدوليين لإعادة إرساء الأمن وضمان وصول المساعدات الإنسانية إلى آلاف الضحايا الأبرياء الذين خلفهم "هجوم حماس الإرهابي" [8].

أما عن إيطاليا، فقد توقفت عن إرسال الأسلحة إلى إسرائيل منذ 7 أكتوبر 2023، وإن نشر موقع "والا" الإسرائيلي معلومات تكشف حجم المشتريات الإسرائيلية من تلك الأسلحة ونوعيتها. ووفقًا له، فإن 5% من مشتريات الأسلحة الإسرائيلية خلال العقد الماضي جاءت من إيطاليا، وقد شملت طائرات ومدفعية بحرية. وفي أعقاب طوفان الأقصى، أكد وزير الخارجية الإيطالية "أنطونيو تاجاني" أن بلاده لم ترسل أي نوع من الأسلحة إلى إسرائيل منذ بداية الحرب، وهي التأكيدات التي جاءت في أعقاب الانتقادات التي وجهتها زعيمة الحزب الديمقراطي المعارض "إيلي شلاين" التي دعت حكومة بلادها إلى وقف مبيعات الأسلحة لإسرائيل، وإن أكد "تاجاني" أن بلاده مستعدة لإرسال قوات للمشاركة في مهمة حفظ السلام في غزة، كما أكد مجددًا -مع دول مجموعة السبع الأخرى- إيمانه بحق إسرائيل في الدفاع عن نفسها ضمن حدود القانون الدولي. لكن بحلول ديسمبر 2023، استخدم وزير الخارجية الإيطالي لهجة أكثر انتقادًا، وأدان إسرائيل لإطلاقها النار داخل كنيسة في غزة. وفي يناير 2024، بحث "تاجاني"، بصفته رئيسًا لمجموعة السبع، مع وزراء خارجية آخرين في المجموعة إمكانية ممارسة الضغط على إسرائيل لوضع نهاية سريعة للحرب [9].

ثالثًا: دعوات وقف الدعم العسكري

في اتجاه مضاد للدعم العسكري الأمريكي والأوروبي، تعددت الدعوات الرامية إلى وقف الدعم العسكري الغربي لإسرائيل، وقد كان منها دعوة منظمة ((CODEPIN، وهي منظمة شعبية نسوية تعمل على إنهاء الحرب ودعم مبادرات السلام وحقوق الإنسان)، إلى الوقف الفوري لجميع المساعدات العسكرية لإسرائيل، لأنها ساهمت بشكل كبير في تعميق معاناة الفلسطينيين على مدار سبعة عقود. وقد طالبت المنظمة في بيان لها الإدارة الأمريكية تحديدًا بسحب كل دعمها لإسرائيل، والدعوة بدلًا من ذلك إلى تحقيق العدالة لشعب فلسطين. وأشارت المنظمة إلى أن الولايات المتحدة مسئولة بشكل مباشر عن الحاجة إلى "المقاومة الفلسطينية"، بالنظر إلى الدور المهم الذي اختارت أن تلعبه باعتبارها أقوى مؤيد لإسرائيل. فبدلًا من محاسبتها عن العنف الذي تمارسه ضد الفلسطينيين، تقدم الولايات المتحدة المزيد من التمويل والأسلحة. وطالبت المنظمة النشطاء بالتوقيع على عريضة تدعو الإدارة الأمريكية إلى سحب كل الدعم لإسرائيل ومنع أي مساعدات إضافية لدولة الفصل العنصري [10].

إلى جانب ذلك، تعددت الأصوات الأمريكية التي طالبت هي الأخرى بوقف الدعم العسكري الأمريكي لإسرائيل، ومنها دعوة السيناتور الأمريكي عن ولاية فيرمونت "بيرني ساندرز" إلى وقف الدعم المقدر بنحو 10 مليارات دولار أمريكي، باعتبار أن الولايات المتحدة تمول الحرب غير الأخلاقية التي يشنها رئيس الوزراء "بنيامين نتنياهو" على قطاع غزة. وفي بيان له، واصل "ساندرز" توجيه الانتقادات لسياسات الحكومتين الأمريكية والإسرائيلية في غزة، ولكن مع التأكيد على إدانته لهجمات "طوفان الأقصى" في 7 أكتوبر 2023، فقال: "يجب علينا قبول أن رد الجيش الإسرائيلي كان غير متناسب للغاية وغير أخلاقي ومخالف للقانون الدولي.. هذا يكفي، يجب على الكونغرس رفض تقديم هذا التمويل الذي سيسمح لحكومة

نتنياهـو اليمينيـة بمواصلـة حربهـا الوحشـية ضـد الشـعب الفلسـطيني، وهـذا يعنـي دعمًـا عسـكريًا غيـر مشـروط". وعليـه، دعـا "سـاندرز" إلـى قطـع الدعـم العسـكري لإسـرائيل ووقـف إطلاق النـار فـي غـزة، وأعـد مشـروع قانـون للتصويـت فـي هـذا الاتجـاه فـي مجلـس الشـيوخ، لكـن مشـروع القانـون لـم يتـم وضعـه علـى جـدول الأعمـال [11].

وفـي سـياق آخـر، ووفقًـا لصحيفـة "يديعـوت أحرونـوت"، هـددت بريطانيـا تـل أبيـب بوقـف تصديـر السـلاح إليهـا، إذا لـم تسـمح لجمعيـة الصليـب الأحمـر بزيـارة أسـرى حركـة حمـاس الذيـن اعتقلهـم جيـش الاحـتلال الإسـرائيلي منـذ بدايـة الحـرب علـى قطـاع غـزة. وقـد جـاء الطلـب البريطانـي علـى خلفيـة تقاريـر تفيـد بـأن إسـرائيل ترفـض السـماح للصليـب الأحمـر بزيـارة معتقلـي الحركـة بسـبب الظـروف القاسـية التـي يحتجـزون فيهـا. وتزعـم إسـرائيل أنهـا تعتقـل عشـرات مـن عناصـر وحـدة النخبـة فـي كتائـب القسـام -الجنـاح العسـكري لحمـاس- ممـن شـاركوا بعمليـة طوفـان الأقصـى، دون أن توضـح إسـرائيل عـدد هـؤلاء الأسـرى أو مـكان احتجازهـم.

وفـي سـياق مغايـر، طالـب محامـون تابعـون لمنظمـات حقوقيـة محكمـة فـي هولنـدا بوقـف تصديـر أجـزاء مقـاتلات نفاثـة لإسـرائيل، والتـي يمكـن اسـتخدامها فـي شـن هجمـات علـى غـزة؛ ذلـك أن توريـد قطـع غيـار المقـاتلات مـن طـراز "إف35-" يجعـل هولنـدا متواطئـة فـي جرائـم حـرب محتملـة ترتكبهـا إسـرائيل فـي حربهـا ضـد حمـاس. وقـد بـدأت الدعـوى المدنيـة فـي لاهـاي مـع تجديـد الجيـش الإسـرائيلي دعواتـه لإجلاء جماعـي مـن مدينـة خـان يونـس جنوبـي قطـاع غـزة التـي فـر إليهـا عشـرات الآلاف مـن الفلسـطينيين النازحيـن فـي الأسـابيع الأخيـرة، فـي وقـت وسـع فيـه الجيـش الإسـرائيلي هجومـه البـري، وقصـف أهدافًـا فـي أنحـاء قطـاع غـزة. ويطالـب المحامـون الحقوقيـون محكمـة لاهـاي الجزئيـة بإصـدار أمـر قضائـي يحظـر تصديـر قطـع غيـار مقـاتلات مـن طـراز "إف-35" المخزنـة فـي مسـتودع ببلـدة فونسـدريخت.

ختامًـا، توقفـت بعـض الـدول بالفعـل عـن توفيـر الذخائـر القتاليـة لإسـرائيل، وتنتهـج "المقاطعـة الهادئـة"، فيمـا أعلنـت دول أخـرى أنهـا ملتزمـة بقوانينهـا التـي لا تسـمح ببيـع الأسـلحة لـدول واقعـة فـي صـراع. ومـن بيـن تلـك المواقـف يبـرز موقـف كنـدا التـي أعلنـت وقـف تصديـر الـسلاح إلـى الاحـتلال الإسـرائيلي، بجانـب التوقـف عـن تصديـر الأسـلحة المسـتقبلية إلـى إسـرائيل. ومـن ثَـمّ، تواجـه إسـرائيل فـي هـذه الآونـة عجـزًا فـي الذخائـر الحيويـة والضروريـة لمواصلـة القتـال.

المصـــــــادر

1. غرانت روملي، الدعم الأمريكي لإسرائيل في زمن الحرب: الخطوات الأولى والاعتبارات المستقبلية، معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى، 12 أكتوبر 2023، https://www.washingtoninsti-tute.org/ar/policy-analysis/aldm-alamryky-lasrayyl-fy-zmn-alhrb-alkhtwat-alawly-walatbarat-almstqblyt
2. أسلحة وطائرات وسفن وقوات خاصة.. تعرف على الدعم العسكري الأمريكي الإضافي لإسرائيل، أورونيوز، 2/10/2023، متاح على: https://arabic.euronews.com/2023/10/12/types-of-us-extra-military-aid-to-israel-after-hamas-attack-palestine
3. غرانت روملي، مرجع سبق ذكره.
4. كشف حصيلة الدعم العسكري الأميركي لإسرائيل منذ 7 أكتوبر، سكاي نيوز،25 ديسمبر 2023، https://shorturl.at/acsGU
5. الحليف المدلل" ... تفاصيل الدعم الأميركي العسكري لإسرائيل، سكاي نيوز، 4 نوفمبر 2023، https://shorturl.at/ewIM8
6. هكذا يضمن الدعم العسكري الأمريكي لإسرائيل تفوقها النوعي، الجزيرة، 14 نوفمبر 2023، https://shorturl.at/ekvJY
7. من العتاد إلى الاستخبارات ... ما نعرفه عن الدعم العسكري الغربي لإسرائيل، العربي، 16 أكتوبر 2023، https://shorturl.at/ilAG7
8. حاملات طائرات وسفن ومسيرات.. دول دعمت إسرائيل بوسائل للردع، الحرة،13 أكتوبر 2023، https://rb.gy/pya3ol
9. بعد إعلان توقفه.. ما طبيعة الدعم العسكري الإيطالي لإسرائيل؟، سكاي نيوز، 22 يناير 2024، متاح على: https://rb.gy/hhdyyv
10. منظمة نسوية داعمة للسلام تطالب الإدارة الأمريكية بوقف الدعم العسكري لإسرائيل الثلاثاء، اليوم السابع، 10 أكتوبر 2023، متاح على: https://t.ly/stDpl
11. تمويل "حرب غير أخلاقية".. ساندرز يدعو لوقف دعم لإسرائيل بـ10 مليارات دولار، الجزيرة، 3 يناير 2024، متاح على: https://t.ly/GxyvO

بروفـــــايل

يسـلط قسـم "بروفايـل" الضـوء علـى السـيرة الذاتيـة للفريـق الأول "عبـد المنعـم ريـاض" (رئيـس أركان حـرب القـوات المسلحة، والملقب بالجنـرال الذهبي) تخليـدًا لذكـراه؛ إذ تحتفـل مصـر كل عـام بيـوم الشـهيد فـي التاسـع مـن مـارس، الـذي يواكـب ذكـرى استشـهاده علـى الجبهـة عـام 1969، وتحديـدًا فـي صفوفهـا الأولـى بيـن جنـوده، وفـي أثنـاء تبـادل إطلاق النيـران مـع العـدو. لذلـك، أُختيـر هـذا اليـوم لتتذكـر فيـه مصـر والقـوات المسـلحة مـن ضحـوا فـي سـبيلها وفـاءً للمحاربيـن القدمـاء، ولمـا لهـذا التاريـخ مـن مغـزى عميـق للتضحيـة والفـداء.

ذكرى استشهاد الفريق أول «عبد المنعم رياض»: الجنرال الذهبي

تزخر العسكرية المصرية بالعديد من الأبطال الذين سطرت بطولاتهم صفحات خالدة في التاريخ المصري، كان من بينهم الفريق أول "عبد المنعم رياض" (رئيس أركان حرب القوات المسلحة خلال حرب الاستنزاف)، الذي يُعد واحدًا من أشهر وأعظم العسكريين العرب في النصف الثاني من القرن العشرين، وأحد رموز العسكرية المصرية. وقد حاز العديد من الألقاب منها: "الجنرال الذهبي"، و"الفارس النبيل"، و"نسر مصر"، و"حكيم العسكرية"، كناية عن مهارته العسكرية وعبقريته الفذة وبطولاته الناصعة خلال معارك الاستنزاف التي مهدت لنصر أكتوبر المجيد 1973، لذلك استحق عن جدارة أن يصبح يوم استشهاده الموافق 9 مارس 1969 ذكرى سنوية تحمل اسم "يوم الشهيد" تقديرًا لبطولاته وتخليدًا لاسمه.

أ. منى قشطة

باحثة بوحدة الإرهاب والصراعات المسلحة،

بالمركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية

أولًا: سيرته الذاتية

وُلـد "عبـد المنعـم ريـاض" بقريـة سـبرباي إحـدى ضواحـي مدينـة طنطـا فـي 22 أكتوبـر عـام 1919، ودرس في كُتـاب القريـة، وتنقـل بيـن عـدة مـدارس مـع تنقـل والـده المُسـتمر بحكـم طبيعـة عملـه؛ فحصل على الشهادة الابتدائية من مدرسة الرمل، والتحـق بمدرسـة الخديـوي إسـماعيل الثانويـة، ومثّلهـا فـي اللجنـة التنفيذيـة لـطلاب المـدارس التـي ضمـت كذلـك الرئيـس الراحـل "جمـال عبـد الناصـر" ونظمـت مُظاهـرات ضـد الاسـتعمار. وقـد حصـل علـى البكالوريـا عـام 1936 بمجمـوع كبيـر أهلـه لدخـول كليـة الطـب التـي التحـق بهـا تحـت ضغـط مـن أسـرته؛ إلا أنـه أصـر علـى أن يسـلك مسـلك أبيـه القائـم مقـام (وتعـادل رتبـة عقيـد حاليًـا) "محمـد ريـاض عبـد الله" (قائـد بلـوكات الطلبـة بالكليـة الحربيـة)، وبالفعـل تـرك كليـة الطـب، وتحـول إلـى الكليـة الحربيـة، وتخـرج فيهـا فـي 11 فبرايـر عـام 1938 برتبـة ملازم ثـانٍ. وقـد أسـهمت نشـأته فـي أسـرة اشـتهر عنهـا النظـام والانضبـاط، وتأثـره بوالـده الـذي عُـرف بتفانيـه فـي عملـه وقدرتـه العسـكرية المُمتـازة، فـي رسـم شـخصيته المُقاتلـة، وبـات مـن الضبـاط المعروفيـن بالانضبـاط المُطلـق، والتفانـي فـي تحمـل مسـئولياته والمهـام الموكلـة إليـه.

حصل "عبـد المنعـم ريـاض" بعـد تخرجه على شـهادة الماجسـتير في العلـوم العسـكرية عـام 1944 وكان ترتيبـه الأول، وأتـمّ دراسـته كمُعلـم مدفعيـة مُضادة للطائـرات في إنجلترا عامي 1945 و1946. ثم سـافر في بعثـة إلـى الاتحـاد السـوفيتي سـابقًا في أبريـل عـام 1958 لإتمـام دورة فـي الأكاديميـة العسـكرية العليـا بأكاديميـة فرونـز الروسـية، وحصـل حينهـا علـى تقديـر امتيـاز وكان الأول علـى دفعتـه، ولقبـه القـادة الـروس كذلـك بـ"الجنرال الذهبـي" لانبهارهم بتفكيـره وقدراتـه العسـكرية الفائقـة. وقـد مدحـه وزيـر الدفـاع الروسـي -آنـذاك- المارشـال "أندريـه أجريتشيو" عنـد الرئيـس "عبـد الناصـر" بقـولـه إن "الجنـرال ريـاض ليـس عسـكريًا مـن طـراز فريـد فقـط، وإننـي لـم أصـادف جنـرالًا عسـكريًا غيـر سـوفيتي يُجـيد اللغـة الروسـية مثلمـا يجـيدها هـو".

وقـد دفعـه شـغفه بالعلـم إلـى الانتسـاب لكليـة العلـوم لدراسـة الرياضيـات البحتـة، وانتسـب أيضًـا وهـو برتبـة فريـق إلـى كليـة التجـارة بجامعـة عيـن شـمس لدراسـة الاقتصـاد، كمـا أتـم دراسـته بأكاديميـة ناصـر العسـكرية العليـا، وحصـل علـى زمالـة كليـة الحـرب العليـا عـام 1966. وكان "عبـد المنعـم ريـاض" مُجيـدًا لعـدة لغـات منهـا الإنجليزيـة والفرنسـية والألمانيـة والروسـية، وهـو مـا أعطـاه فرصـة الاطلاع علـى أحـدث مـا كُتـب بهـذه اللغـات مـن بحـوث ودراسـات عسـكرية فـي مجـال تخصصـه. كمـا حـرص أثنـاء عملـه كمـدرس فـي مدرسـة المدفعيـة علـى إلقـاء مُحاضراتـه باللغـة الإنجليزيـة، لتزويـد طلابـه بالثقافـة التكتيكيـة باللغـة التـي يسـتطيعون أن يرجعـوا فيهـا إلـى مصـادر العلـم ومراجعـه الأساسـية.

ويُعـد "عبـد المنعـم ريـاض" أحـد أشـهر العسـكريين العـرب فـي النصـف الثانـي مـن القـرن العشـرين؛ إذ شـارك فـي 5 حـروب هـي: الحـرب العالميـة الثانيـة بيـن عامـي 1941 و1942، وحـرب فلسـطين عـام 1948، والعـدوان الثلاثـي عـام 1956، وحـرب 1967، حيـثُ كان قائـدًا للجيـش الأردنـي آنـذاك، وحـرب الاسـتنزاف التـي مهـدت الطريـق لنصـر أكتوبـر العظيـم فـي 1973. وتقديـرًا لكفاءتـه وإنجازاتـه العسـكرية، حصل "عبـد المنعـم ريـاض" علـى العديـد مـن التكريمـات والأوسـمة والنياشـين داخـل وخـارج مصـر، منهـا: ميداليـة الخدمـة الطويلـة والقـدوة الحسـنة، ووسـام نجمـة الشـرف، ووسـام الجـدارة الذهبـي، ووسـام الأرز الوطنـي بدرجـة ضابـط كبيـر مـن لبنـان، ووسـام الكوكـب الأردنـي مـن الطبقـة الأولـى.

ثانيًا: تدرجه في المناصب العسكرية

تـدرّج "عبـد المنعـم ريـاض" بخطـوات واثقـة فـي المناصـب العسـكرية، مُعـدًا نفسـه ليكـون أحـد أشـهر قـادة القـوات المسـلحة المصريـة البارزيـن؛ فبعـد تخرجـه فـي الكليـة الحربيـة، عُيـن فـي سـلاح المدفعيـة عـام 1941، والتحـق بإحـدى البطاريـات المضـادة للطائـرات فـي الإسـكندرية والسـلوم والصحـراء الغربيـة خـلال عامـي 1941 و1942، حيـثُ اشـترك فـي الحـرب العالميـة الثانيـة ضـد ألمانيـا وإيطاليـا. وعمـل خـلال عامـي 1947 و1948 فـي إدارة العمليـات والخطـط فـي القاهـرة، حيـثُ كان همـزة الوصـل والتنسـيق بينهـا وبيـن قـادة الميـدان فـي فلسـطين، ومُنـح حينهـا وسـام الجـدارة الذهبـي لقدراتـه العسـكرية الفائقـة التـي ظهـرت فـي هـذا الوقـت.

وفـي عـام 1951، تولّـى قيـادة مدرسـة المدفعيـة المضـادة للطائـرات، وكان وقتهـا يشـغل رتبـة مقـدم، ثـم عُيـن قائـدًا للـواء الأول المضـاد للطائـرات فـي الإسـكندرية عـام 1953. وخـلال الفتـرة مـن يوليـو 1954 إلـى إبريـل 1958، تولـى قيـادة الدفـاع المضـاد للطائـرات فـي سـلاح المدفعيـة. وفـي إبريـل عـام 1958، سـافر فـي بعثـة تعليميـة إلـى الاتحـاد السـوفيتي لإتمـام دورة تكتيكيـة تعبويـة فـي الأكاديميـة العسـكرية العليـا، وبعـد عودتـه شـغل منصـب رئيـس أركان سـلاح المدفعيـة. وفـي عـام 1961، عُيـن نائبًـا لرئيـس شـعبة العمليـات برئاسـة أركان حـرب القـوات المُسـلحة، وأُسـند إليـه منصـب مُستشـار قيـادة القـوات الجويـة لشـئون الدفـاع الجـوي. وخـلال عامـي 1962 و1963، اشـترك -وكان حينهـا برتبـة لـواء- فـي دورة خاصـة بالصواريـخ بمدرسـة المدفعيـة المضـادة للطائـرات، ثـم عُيـن فـي عـام 1964 رئيسًـا لأركان القيـادة العربيـة المُوحـدة، وتمـت ترقيتـه لرتبـة فريـق فـي عـام 1966.

وقـد عُيـن "عبـد المنعـم ريـاض" فـي مايـو عـام 1967 -بعـد سـفر الملـك الأردنـي آنـذاك "الحسـين بـن طلال" للقاهـرة للتوقيـع علـى اتفاقيـة الدفـاع المشـترك بيـن مصـر والأردن- قائـدًا لمركـز القيـادة المُتقـدم فـي عمـان، فوصـل إليهـا فـي الأول مـن يونيـو 1967 مـع هيئـة أركان صغيـرة مـن الضبـاط العـرب لتأسـيس مركـز القيـادة والمباشـرة بالتخطيـط. وحينمـا اندلعـت حـرب 1967، عُيـن قائـدًا عامًـا للجبهـة الأردنيـة. وفـي 11 يونيـو 1967، اسـتدعاه الرئيـس الراحـل "جمـال عبـد الناصـر" ليتولـى رئاسـة أركان حـرب القـوات المسـلحة المصريـة، وفـي العالـم التالـي عُيـن أمينًـا مُسـاعدًا لجامعـة الـدول العربيـة. وكانـت آخـر المهـام التـي أُسـندت إليـه قبـل استشـهاده

-في 9 مارس -1969 إدارة معارك المدفعية ضد القوات الإسرائيلية المتمركزة في الضفة الشرقية لقناة السويس خلال فترة حرب الاستنزاف.

ثالثًا: أبرز أدواره العسكرية

بحكم منصبه كرئيس أركان حرب القوات المُسلحة المصرية كان "عبد المنعم رياض" مسئولًا عن إعادة تسليح وتنظيم القوات المُسلحة بعد نكسة يونيو 1967، استعدادًا للثأر خلال مرحلة حرب الاستنزاف، ويأتي التركيز على أدواره انطلاقًا من كونها حدثًا محوريًا في هذه المرحلة المُهمة التي كبدت العدو خسائر جسيمة، ومهدت الطريق للنصر العسكري في حرب أكتوبر المجيدة عام 1973، **وفيما يلي أبرزها:**

1. **إغراق المُدمرة "إيلات" وتصميم الخطة (200):** سجل "عبد المنعم رياض" العديد من النجاحات والبطولات خلال معارك حرب الاستنزاف، ومن ذلك: نجاح القوات المصرية في إغراق أكبر مدمرة بحرية إسرائيلية "المدمرة إيلات" قبالة سواحل بورسعيد في 21 أكتوبر 1967، وتمكن المدفعية المصرية المضادة للطائرات من إسقاط ثلاث طائرات للعدو فوق قطاع السويس في ديسمبر 1967، عندما حاولت أربع طائرات إسرائيلية اختراق المجال الجوي، وكذا نجاح قوة صغيرة من قوات المشاة في التصدي لجيش العدو الإسرائيلي في معركة "رأس العش" لتمنعه من احتلال مدينة بور فؤاد على الضفة الشرقية لقناة السويس، وكبدته خسائر فادحة، وذلك في أواخر يونيو عام 1967.

كما يُعتبر "عبد المنعم رياض" مُهندس الخطة (200) الحربية لمواجهة العدو الإسرائيلي، والتي كانت الأصل في الخطة (جرانيت) الخاصة بعبور القوات المصرية لقناة السويس واقتحام خط بارليف والاستيلاء على حصونه والوصول إلى منطقة المضايق الجبلية الاستراتيجية في سيناء، وهي الخطة التي طُورت بعد ذلك لتُصبح خطة العمليات إبان حرب أكتوبر تحت اسم "بدر".

2. **بناء وتطوير قدرات القوات المسلحة بعد هزيمة 1967:** وضع "عبد المنعم رياض" -منذ تولية رئاسة أركان حرب القوات المسلحة المصرية- نُصب عينيه معهمة إعادة بناء وتطوير قدرات الجيش المصري بعد هزيمة يونيو 1967، واستطاع بمهارة واحترافية عالية أن يضرب أروع الأمثلة في تحمل المسئولية، ويتغلب على التحديات الكبيرة المرتبطة بإعادة الثقة إلى القوات المُسلحة المصرية بعد النكسة. وفي هذا الصدد، يُنسب إليه مجموعة من الإنجازات، وذلك من قبيل: جهوده في دعم وتطوير القطاع الجوي، والاهتمام بتطوير القواعد الجوية ومعداتها وطياريها لإعادة بنائها على النظم الحديثة، وإدخال عناصر الحرب الإلكترونية ضمن تنظيم القوات المسلحة، وتطبيق سياسة جديدة متطورة في تدريب القوات بالأساليب القتالية الحديثة.

كما شهدت فترة رئاسته لأركان حرب القوات المسلحة طفرة كبيرة في التعليم بالمعاهد العسكرية، بما يتواكب مع التطور التكنولوجي ومتطلبات المعارك الحديثة، ومن ذلك -على سبيل المثال- إنشاء المعهد الفني العالي للقوات المسلحة لتخريج كوادر ذات تخصصات عالية في مجالات الإصلاح الفني لمختلف الأجهزة والمعدات والأسلحة، وتطوير أسلوب ومناهج الكلية الحربية. وقد أسهمت تلك الجهود في إعادة بناء القوات المسلحة المصرية، ونجاحها بكفاءة في تحقيق أهداف مرحلة الصمود والردع مرورًا بحرب الاستنزاف التي كبدت العدو الإسرائيلي خسائر جمّه لم يستطع إنكارها، وصولًا إلى انتصارات أكتوبر المجيدة عام 1973.

3. **الإشراف على خطة تدمير "خط بارليف":** يُضاف إلى سجل الإنجازات العسكرية التي حققها "عبد المنعم رياض" إشرافه على الخطة المصرية لتدمير 60% من تحصينات خط بارليف، وتحوله من خط دفاعي إلى نقطة إنذار مُبكر؛ حيثُ تحدد يوم 8 مارس عام 1969 كموعد لبدء تنفيذ الخطة، وبالفعل انطلقت نيران القوات المصرية على طول خط الجبهة، وكبدت -خلال ساعات قليلة- العدو الإسرائيلي أكبر قدر من الخسائر، وتم تدمير جزء من مواقع خط بارليف وإسكات بعض مواقع مدفعيته في أعنف اشتباك شهدته الجبهة قبل معارك 1973.

وفي صبيحة اليوم التالي، قرر "عبد المنعم رياض" أن يتوجه بنفسه إلى الجبهة ليطلع على نتائج المعركة ويتفقد المواقع في الخطوط المُتقدمة، ويُشارك جنوده تطورات الموقف، ويرفع من روحهم المعنوية، حيثُ كان دائم الحرص على تفقد أحوال جنوده ومُشاركتهم الحديث لمعرفة الصعوبات التي تواجههم والعمل على تذليلها، إدراكًا منه لمردودات ذلك معنويًا في رفع مستوى أداءهم القتالي. وعليه، قرر أن يزور أكثر المواقع تقدمًا والتي لم تكن تبعد عن مرمى النيران الإسرائيلية سوى 250 مترًا، ووقع اختياره على الموقع رقم 6. وخلال تفقده، شن العدو إحدى هجماته المفاجئة، حيثُ كان هذا الموقع في طليعة المواقع التي فتحت نيرانها بشدة على دشم العدو في اليوم السابق، وانهالت نيران مدفعية ودبابات القوات الإسرائيلية على المنطقة التي تواجد بها "عبد المنعم رياض" وسط جنوده، واستمرت المعركة نحو ساعة ونصف، ما أدى إلى استشهاده متأثرًا بجراحه في 9 مارس عام 1969.

ختامًـــــا، استشهد الفريق أول "عبد المنعم رياض" بعد مسيرة عطاء استمرت نحو 32 عامًا قضاها في القوات المسلحة المصرية، ونعاه "جمال عبد الناصر" بنفسه، ومنحه رتبة الفريق أول ونجمة الشرف العسكرية التي تُعتبر أكبر وسام عسكري في مصر، واعتبر يوم 9 مارس من كل عام هو يومه؛ تخليدًا لذكراه، وسماه "يوم الشهيد". كما سُمي ميدان "عبد المنعم رياض" بالقاهرة نسبة له كنصب تذكاري، وكذلك نفق "عبد المنعم رياض" بالإسكندرية، ووضع اسمه على الكثير من الشوارع والمدارس والأماكن المهمة في مصر والدول والعربية.

حالـــة التسلـــح

يحلـل قسـم "حالـة التسـلح" النسـخة الثالثـة مـن معـرض الصناعـات الدفاعيـة "إيديكـس"، والـذي اسـتضافته العاصمـة المصريـة فـي أوائـل شـهر ديسـمبر 2023، والـذي تبـرز أهميتـه كونـه ينـدرج تحـت قائمـة أهـم المعـارض العسـكرية فـي منطقـة الشـرق الأوسـط؛ بمـا يسـتضيفه مـن عـروض الـدول فـي مجـال الصناعـات العسـكرية الحديثـة. وقـد شـهد حضـورًا دوليًـا كبيـرًا مـن قِبـل أصحـاب الشـركات المتخصصـة فـي الصناعـات الدفاعيـة، علاوة علـى قـادة الـدول العسـكريين ووزراء الدفـاع. وقـد شـمل المعـرض كل قطاعـات التصنيـع الدفاعـي والعسـكري، وعـرض كثيـرًا مـن الأسـلحة والمنظومـات الحديثـة. وقـد دلـل علـى أن الدولـة المصريـة شـهدت تطـورًا كبيـرًا فـي قدراتهـا العسـكرية، بجانـب مشـروعات تصنيـع المُسـيّرات وصناعـة السـفن الحربيـة، كمـا تتخـذ خطـوات جـادة للوصـول إلـى الاكتفـاء الذاتـي مـن تصنيـع الأسـلحة فـي ظـل التطـور المضطـرد فـي التصنيـع العسـكري المصـري.

معرض «إيديكس 2023»: الصناعات الدفاعية المصرية في طور جديد

استضافت العاصمة المصرية، أوائل شهر ديسمبر 2023، النسخة الثالثة من معرض الصناعات الدفاعية "إيديكس 2023"، والذي يندرج تحت قائمة أهم المعارض العسكرية في منطقة الشرق الأوسط، منذ إقامة نسخته الأولى عام 2018. بطبيعة الحال، ينعقد هذا المعرض في ظل ظروف إقليمية ودولية دقيقة، تتصدرها الحرب الإسرائيلية على غزة، وكذا العمليات العسكرية الروسية في أوكرانيا، وهو ما يمثل -في حد ذاته- حافزًا لشركات صناعة الأسلحة، كي تتخذ من الدروس الميدانية الناشئة عن تلك الميادين -وخصوصًا ميدان غزة- بوصلة يُمكن من خلالها تطوير وتحديث المنظومات القتالية الحالية.

أ. محمد منصور

باحث أول بالمرصد المصري،

المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية

وقـد شـهدت نسـخة هـذا العـام مـن معـرض "إيديكـس" مشـاركة عـدد أكبـر مـن الشـركات العارضـة، مقارنـة بالنسـختين السـابقتين؛ حيـث شـاركت في النسـخة الأولى مـن هـذا المعـرض عـام 2018 نحـو 376 شـركة عارضـة مـن 41 دولـة، فـي حيـن شـاركت في نسـخة هـذا العـام نحو 400 شـركة عارضـة مـن 46 دولـة حـول العالـم، وهـي الشـركات التـي تُمثـل كبـرى الشـركات المصريـة والعالميـة العاملـة فـي مجـال الصناعـات الدفاعيـة، والتـي عرضـت منتجاتهـا المتنوعـة ضمـن 22 جناحًـا دوليًـا.

لقـد شـملت مجـالات التخصـص للشـركات المشـاركة في معـرض هـذا العـام مختلـف المجـالات المتعلقـة بأنظمـة الدفـاع والأمـن، وعلـى رأسـها: المركبـات البريـة، والدفـاع الجـوي، والدفـاع السـاحلي، وبنـاء السـفن، والصيانـة والإصلاح، والأمـن السـيبراني، وأنظمـة الصواريـخ، والأنظمـة الذاتيـة وغيـر المأهولـة، والقفـز بالمـظلات، والإنـزال الجـوي، والاتصـال عبـر الأقمـار الصناعيـة، وأنظمـة البحـث والإنقـاذ، وأنظمـة المراقبـة والمعـدات التكتيكيـة، ومعـدات التدريـب والمحـاكاة، وغيـر ذلـك مـن قطاعـات تُهيـئ الفرصـة للاطلاع علـى أحـدث الابتـكارات في مختلـف المجـالات، والوقـوف علـى درجـة التطـور في التقنيـات والمنظومـات المعروضـة في هـذه النسـخة، وبخاصـة في ظـل التطـور اللافـت فـي المنظومـات القتاليـة والدفاعيـة المصريـة سـواء المنظومـات التـي سـبق عرضهـا فـي نسـخ سـابقة وتـم تطويرهـا وتحديثهـا، أو المنظومـات المسـتحدثة بالكامـل والمعروضـة للمـرة الأولـى.

"راجمة الصواريخ "رعد- 200

أولًا: المنظومات البرية

عرضـت وزارة الإنتـاج الحربـي المصريـة فـي جناحهـا بالمعـرض مجموعـة مـن المنتجـات العسـكرية الجديـدة المرتبطـة بشـكل وثيـق بـدروس المعـارك في أوكرانيـا، والمرتبطـة أيضًـا بشـكل أساسـي بالقـدرات الناريـة الصاروخيـة، والأنظمـة المُسـيَّرة، ووسـائط التشـويش عليهـا. ومـن أبـرز الأمثلـة علـى هـذا التوجـه عـرض راجمـة الصواريـخ الجديـدة "رعـد-200" مـن عيـار 122 ملـم، والتـي تُعـد تحديثًـا جذريًـا لابتـكار مصـري سـابق، تـم بموجبـه دمـج منصـات إطلاق المدفعيـة الصاروخيـة "صقـر45-" مـع بـدن مجنـزرات جـر المدفعيـة السـوفيتية الصنـع (ATS-59G)، بعـد أن تـم تطويـره وزيـادة قدرتـه وتدريعـه.

بموجـب هـذا التحديـث، تـم تطويـر كامـل بـدن المجنـزرة الحاملـة للراجمـة، وتزويدهـا بمحـرك بقـوة 385 حصانًـا، كمـا تـم تطويـر الراجمـة ذاتهـا لتكـون علـى شـكل حاويـات منفصلـة، تضـم مـا مجموعـه 30 صـاروخ عيـار 122 مـم بمـدى 45 كيلومتـر، وبالتالـي سـهّل هـذا التطويـر مـن عمليـة إعـادة مـلء الراجمـة بشـكل سـريع، دون الحاجـة لتلقيمهـا بشـكل يـدوي. كذلـك تـم تعديـل آليـة تشـغيلها لتعمـل بشـكل آلـي، مـن خـلال تزويدهـا بنظـام إدارة نيـران محلـي الصنـع، ممـا سـاهم -في المجمـل- في تخفيـض طاقـم تشـغيل هـذه المنظومـة إلـى فرديـن فقـط، يقومـا بالتحكـم فـي الراجمـة داخليًـا مـن قمـرة القيـادة المدرعـة. وبشـكل عـام، يعمـل نظـام الرمايـة بشـكل أحـادي أو بنظـام الرشـقات المتتاليـة.

لقـد كانـت ناقلـة الجنـد المجنـزرة "سـينا200-"من المنتجـات المصريـة اللافتـة فـي هـذه النسـخة مـن معـرض "إيديكـس"، والتـي سـبق عرضهـا فـي نسـخة عـام 2021 مـن هـذا المعـرض، وإن طـرأت عليهـا تطـورات لافتـة منـذ ذلـك التوقيـت؛ حيـث بـدء إنتاجهـا محليًـا داخـل مصنـع 200 الحربـي التابـع لـوزارة الإنتـاج الحربـي. مـن حيـث المبـدأ، تُعـد هـذه المجنـزرة تطويـرًا مصريًـا لناقلـة الجنـود السـوفيتية (BMP-1)، وإن تلافـى هـذا التطويـر معظـم عيـوب هـذه الناقلـة، حيـث تـم تعديـل تصميمهـا بشـكل كامـل، وتطويـع مهامهـا لتناسـب متطلبـات القـوات المسـلحة المصريـة، خصوصًـا علـى مسـتوى التدريـع، الـذي تمـت ترقيتـه، ليصـل مسـتوى الحمايـة

"ناقلة الجند المجنزرة "سينا - 200

ضـد التفجيـرات الأرضيـة إلـى (STANAG L4) عنـد الأجنـاب و(STANAG L3) مـن الأسـفل. ويبلـغ ارتفاعهـا عـن الأرض 360 ملـم. ويمكـن تركيـب تدريـع شـبكي إضافـي علـى جانبيهـا لتوفيـر حمايـة ضـد القذائـف الصاروخيـة.

فيمـا يتعلـق بتصميـم هـذه المجنـزرة، فـإن طولهـا وعرضهـا يبلغـان 6.1 أمتـار و3.4 أمتـار علـى الترتيـب، فيمـا يبلـغ وزنهـا الإجمالـي 14 طنًـا. وتضـم قمـرة للقائـد، بجانـب قمـرة رقميـة مخصصـة للسـائق ومتوافقـة مـع مناظيـر الرؤيـة الليليـة. وتتسـع مقصـورة القـوات لمـا يصـل إلـى 6 أفـراد، بشـكل يسـمح لهـم بالنظـر إلـى الخـارج لاسـتخدام الأسـلحة الفرديـة. وتختلـف النسـخة الجديـدة مـن هـذه المجنـزرة عـن سـابقتها بعـد أن اسـتبدل المحـرك الأصلـي (بقـوة 360 حصانًـا) بآخـر جديـد (بقـوة 385 حصانًـا) - وهـو المحـرك المثبـت نفسـه علـى راجمـة الصواريـخ المصريـة "رعـد200-". ويسـمح لهـا محركهـا بـأن تبلـغ سـرعات قصـوى تصـل إلـى 65 كيلـو متـر فـي السـاعة علـى الطـرق المعبـدة و45 كيلـو متـر فـي السـاعة علـى الطـرق الوعـرة. إضافـة إلـى ذلـك، فـإن الصلـب المـدرع المُسـتخدم فـي تصنيـع المركبـة المدرعـة يتـم الآن تطويـره وإنتاجـه محليًّـا فـي مصنـع 100 الحربـي، بالاشـتراك مـع إحـدى شـركات القطـاع الخـاص، وقـد سـبق اسـتيراده لإنتـاج النمـوذج الأول مـن المركبـة.

يمكـن تحويـل هـذه المجنـزرة، علـى عكـس النسـخة السـوفيتية، إلـى عـدة نسـخ مختلفـة، سـواء مركبـة مشـاه قتاليـة، أو مركبـة إسـعاف، أو منصـة إطلاق صواريـخ، أو منصـة إطلاق هـاون، أو مركبـة إشـارة وحـرب إلكترونيـة، أو مركبـة قيـادة وسـيطرة، أو حتـى مركبـة لنقـل الذخائـر والتموين. كمـا يمكـن تسـليحها بمحطـة قتاليـة كهروبصريـة، يتـم التحكـم بهـا عـن بعـد؛ حيـث ظهـرت خلال النسـخة الأخيـرة مـن معـرض "إيديكـس" وهـي مزودة بالبـرج القتالـي غيـر المأهـول (EAGLE-1)، الـذي تنتجـه الشـركة العربيـة العالميـة للبصريـات، ويتسـلح بمدفـع رشـاش مـن عيـار 12.7 ملـم مـع صنـدوق ذخيـرة بسـعة 400 طلقـة، ويتـزود بمجموعـة مـن أجهـزة الاستشـعار والرصـد الكهروبصريـة، التـي تصـور وتميـز الأهـداف فـي نطـاق 12-8 كيلومتـر، باسـتخدام كاميـرا حراريـة قـادرة علـى كشـف الأفـراد مـن مسـافة 5200 متـر وكشـف المركبـات مـن مسـافة 9.400 أمتـار، إضافـة لكاميـرا نهاريـة قـادرة علـى كشـف الأفـراد مـن مسـافة 10.600 أمتـار وكشـف المركبـات مـن مسـافة 14.300 مترًا، إضافـة لمقـدر مسـافة بالليـزر يصـل مداهـا إلـى 3.300 أمتـار.

خلال النسـخة الأولـى والثانيـة مـن معـرض "إيديكـس"، تـم عـرض عـدة أنـواع مـن العربـات المدرعـة التـي كانـت حاضـرة أيضًـا فـي معـرض هـذا العـام، منهـا عربـات (ST-500) المدرعـة، والعربـات المدرعـة "تمسـاح1-" و"تمسـاح2-"، وقـد تضمـن معـرض هـذا العـام النسـخ الأحـدث مـن هـذه السلسـلة، وهـي "تمسـاح2-" و"تمسـاح3- " وتمسـاح4-". وقـد ظهـر تأثيـر الـدروس الميدانيـة بشـكل واضـح علـى تلـك النسـخ الجديـدة، وبخاصـة العربـة المقاومـة للألغـام "تمسـاح4-" المـزودة بمختلـف وسـائل الحمايـة مـن تأثيـرات العبـوات الناسـفة، بدايـة مـن المسـتوى (BR6) مـن الحمايـة البالسـتية، مـرورًا بداعـم العـجلات والمقاعـد المـزودة بالحمايـة مـن الصدمـات الانفجاريـة. كذلـك تـم تزويـد هـذه المدرعـة بأربعـة كاميـرات خارجيـة ونظـام للقيـادة عـن طريـق منظومـة تحديـد المواقـع العالميـة. ويصـل مداهـا الأقصـى -دون التـزود بالوقـود- إلـى 500 كيلـو متـر، وسـرعتها القصـوى 95 كيلـو متـر، وزودت بمحطـة متحكـم بهـا عـن بعـد للاشـتباك القريـب مـن إنتـاج الشـركة العربيـة العالميـة للبصريـات.

إن النسـخة الأحـدث التـي تـم عرضهـا مـن هـذه السلسـلة هـي العربـة المدرعـة "تمسـاح6-"، وهـي مركبـة جديـدة تمامًـا تـم تصميمهـا وتطويرهـا علـى شاسـيه مـن تطويـر شـركة (NAVISTAR) الأمريكيـة، وهـي تُقـارب فـي تصميمهـا الخارجـي المركبـة المدرعـة الأمريكيـة (International MaxxPro)، وتمتلـك المركبـة المدرعـة مسـتوى حمايـة مُحسّـن ضـد الموجـات الانفجاريـة مـن العبـوات الناسـفة والألغـام، ومسـتوى حمايـة بالسـتي (BR7)، إضافـة لتجهيزهـا بمقاعـد للحمايـة مـن الصدمـات الانفجاريـة، وكاميـرات مراقبـة نهاريـة وحراريـة، ومحطـة قتاليـة كهروبصريـة يتـم التحكـم بهـا عـن بعـد. كمـا تسـتطيع المركبـة حمـل 7 أفـراد إلـى جانـب طاقـم مكـون مـن اثنيـن.

كذلـك تـم عـرض عربـة الدفـع الربـاعي "تويوتـا لانـدكروزر"، والتـي تـم تعديلهـا لتصبـح عربـة مضـادة للدبابـات، عبـر تجهيزهـا بقـاذف ثنائـي مسـلح بصواريـخ موجهـة مضـادة للدبابـات مـن نـوع "كونكـورس"، وتزويدهـا بمنصـة للتحكـم عـن بعـد فـي تصويـب وإطلاق صواريـخ "كونكـورس" مـن داخـل المركبـة، ومدمـج معهـا منظومـة التحكـم نظـام رصـد كهروبصـري/ حـراري لتُمكّنهـا مـن تحديـد ورصـد الأهـداف.

"العربة المدرعة "تمساح - 6

المدرعة "فهد- 300" المعدلة

تضمنـت هـذه النسـخة مـن معـرض "إيديكـس" عـرض النسـخة الأحـدث مـن ناقلـة الجنـد المدرعـة "فهـد300-" المعدلـة، والتـي تمثـل طفـرة مقارنـة بالنسخ السـابقة بعـد تعديـل تصميـم البـدن ليصبـح علـى شـكل حـرف (V) مـع زيـادة نسـبة التدريـع، ممـا يوفـر حمايـة بالسـتية أعلـى، تصـل إلـى مسـتوى (B7). ويقـي هـذا التصميـم أيضًـا مـن تأثيـر الموجـات الانفجاريـة للعبـوات الناسـفة والألغـام. وقـد عُرضـت هـذه الناقلـة بعـدة نسـخ مختلفـة خلال معـرض "إيديكـس"، منهـا نسـخة الإخلاء الطبـي التـي تسـتطيع اسـتيعاب سـائق ومسـعفين ومـا يتـراوح بيـن مريضيـن وأربعـة مرضـى حسـب حالتهـم الطبيـة، والنسـخة القتاليـة المسـلحة بمدفـع مـن عيـار 30 ملـم، وكذلـك النسـخة المجهـزة ضـد التهديـدات غيـر النمطيـة مـن مقذوفـات وصواريـخ مُوجّهـة بالليـزر وطائـرات بـدون طيـار؛ حيـث تتـزود بنظـام حـارس 2 لمجابهـة الطائـرات بـدون طيـار، وتتسـلح بالبـرج القتالـي غيـر المأهـول (EAGLE-1). ومـن ثَـمَّ، تعتبـر هـذه الناقلـة مـن أهـم العربـات المدرعـة المصريـة التـي صُـدّرت بنسـخ مختلفـة إلـى قـوات حفـظ السـلام التابعـة للأمـم المتحـدة والعاملـة بمناطـق النزاعـات المسـلحة، بجانـب القـوات المسـلحة لعـدة دول أفريقيـة (مثـل: بوروانـدي، وبوركينـا فاسـو).

ثانيًا: التقنيات المُسيّرة

مثّـل معـرض "إيديكـس" -منـذ انـطلاق نسـخته الأولى عـام -2018 شـرارة انـطلاق الجهـود المصريـة لامـتلاك قـدرات متفوقـة وهجوميـة فـي مجـال الطائـرات بـدون طيـار. ففـي النسـخة الأولـى مـن هـذا المعـرض، كانـت المعروضـات المصريـة مـن الطائـرات بـدون طيـار محـدودة للغايـة، حيـث اقتصـرت حينهـا علـى ثلاثـة أنـواع ينتجهـا مصنـع الطائـرات التابعـة للهيئـة العربيـة للتصنيـع، منهـا: نـوع يُصنّـع بترخيـص مـن الصيـن، وهـو الطائـرة الاسـتطلاعية (ASN-209)، ونوعـان مـن أنـواع الطائـرات الهدفيـة التـي تُصنّـع محليًّـا، وتسـتخدم فـي تدريـب كتائـب الدفـاع الجـوي علـى الرصـد والاشـتباك، (وهمـا: الطائرتـان "هـرم36-"، و"قائـد36-").

أمـا فـي نسـخة عـام 2021 مـن معـرض "إيديكـس"، فقـد اختلـف الوضـع تمامًـا عـن النسـخة الأولـى فيمـا يتعلـق بالطائـرات بـدون طيـار؛ حيـث شـهدت هـذه النسـخة ظهـور ثمـار الخبـرة الطويلـة التـي اكتسـبتها مصـر مـن تصنيـع عـدد مـن طائـرات الاسـتطلاع بـدون طيـار بترخيـص مـن الخـارج، وذلـك بالظهـور الأول للطائـرة الاسـتطلاعية بـدون طيـار -والمصنعـة بشـكل كامـل بمكونـات وأيـاد مصريـة- "نـوت"، وهـي تُعـد ضمـن فئـة طائـرات الاسـتطلاع متعـددة المهـام، والطائـرة الهدفيـة (EAB0-3A) المعروفـة أيضًـا باسـم "الطائـر المصـري الرشـيق"، وهـي مـن أنـواع الطائـرات الهدفيـة عاليـة الأداء. كمـا ظهـرت لأول مـرة الطائـرة الهدفيـة "عرابـي1-"، وهـي مخصصـة لتدريـب وحـدات الدفـاع الجـوي قصيـر المـدى. هـذا إلـى جانـب ظهـور أول للطائـرات الهجوميـة بـدون طيـار عبـر الطائـرة المصريـة "30 يونيـو".

أمـا فـي نسـخة عـام 2023 مـن هـذا المعـرض، عرضـت مصـر مجموعـة جديـدة مـن الطائـرات المُسيَّـرة، بشـكل يمكـن مـن خلالـه تلمـس زيـادة الانخـراط المصـري فـي هـذا المضمـار، خصوصًـا فيمـا يتعلـق بالطائـرات بـدون طيـار بعيـدة المـدى، حيـث شـهد معـرض هـذا العـام الظهـور الأول لطائـرة الاسـتطلاع "6 أكتوبـر"، التـي يصـل مداهـا إلـى 250 كيلـو متـر، وتسـتطيع التحليـق بشـكل متواصـل لمـدة 30 سـاعة علـى ارتفاعـات تصـل إلـى 7 كيلـو متـر. وتتميـز بعـدة أنظمـة للرصـد والاسـتطلاع الكهروبصـري، وكذلـك رادار مـن الفئـة (SAR)، وتسـتطيع التحليـق بسـرعات تصـل إلـى 260 كيلـو متـر فـي السـاعة علـى ارتفاعـات تصـل إلـى 7 كيلـو متـر.

تُعـد هـذه الطائـرة نموذجًـا مُطـوّرًا مـن الطائـرة بـدون طيـار "30 يونيـو" التـي ظهـرت للمـرة الأولـى

طائرة الاستطلاع بدون طيار "6 أكتوبر"

في النسخة الماضية من معرض "إيديكس"، وتم عرضها أيضًا في النسخة الأخيرة من المعرض، وهي من فئة المُسيَّرات متوسطة الارتفاع طويلة البقائية (MALE)، وتبلغ حمولتها 270 كجم، وتبلغ سرعتها القصوى 260 كيلو متر في الساعة، وتستطيع التحليق بشكل متواصل لمدة 16 ساعة، وتتزود بـ 10 نقاط تعليق لحمل تجهيزات الاستطلاع والتسليح، وتم تزويدها بنظام رصد كهروبصري جديد. وباتت تمتلك القدرة على حمل ذخائر خارجية وخزانات وقود إضافية، وبالتالي أصبح هناك نسخة مسلحة منها.

في النسخة الأخيرة من هذا المعرض، عُرضت أيضًا أنواع من المُسيَّرات الإضافية، مثل الطائرة المُسيَّرة "أحمس"، التي يصل مداها الأقصى إلى 240 كيلو متر، وتستطيع التحليق بشكل متواصل لمدة 30 ساعة، وتتزود بسبع نقاط تعليق خارجية، تمكنها من أداء المهام الاستطلاعية والهجومية كافّةً. كذلك عَرضت مصر أيضًا مجموعة من الطائرات بدون طيار التي تُستخدم كأهداف لتدريب المدفعية المضادة للطائرات وأطقم منظومات الدفاع الجوي الصاروخية، ومنها الطائرة "طابا- 1" و"طابا- 2"، حيث تبلغ سرعة الأولى 500 كيلومتر في الساعة، ويمكن أن تُحلق على ارتفاعات تصل إلى 6 كيلو متر لنحو 50 دقيقة متواصلة. أما الثانية، فتصل سرعتها القصوى إلى 850 كيلو متر، ويبدو من التصميم الخارجي لكلا النوعين أنهما يُعتبران بمثابة مقدمة لتطوير مستقبلي للذخائر الجوالة التي قد تبدأ مصر في إنتاجها قريبًا؛ لتدخل بذلك مجال أثبت نجاعته الميدانية خلال الحرب الروسية-الأوكرانية.

عائلة الطائرات الهدفية "طابا"

ثالثًا: الحرب الإلكترونية ووسائط الرصد الراداري

لم يكن التركيز المصري في هذا المعرض منصبًا فقط على التقنيات المُسيَّرة أو الوسائط المدرعة فقط، بل شمل أيضًا جانبًا مُهمًا من جوانب التسليح الإلكتروني، ألا وهو منظومات الإعاقة والتشويش المضادة للطائرات المُسيَّرة، حيث عرضت الهيئة العربية للتصنيع منظومة التشويش المضادة للطائرات بدون طيار (DJ-400V)، والتي يُمكن تثبيتها على الوسائط المدرعة والمدولبة المختلفة لتحييد التهديدات التي تُشكّلها الطائرات الصغيرة ومتناهية الصغر، من خلال تعطيل وصلة البيانات الخاصة بها وإشارات نظام الملاحة العالمي عبر الأقمار الصناعية. وتتميز هذه المنظومة بتغطية شاملة تبلغ 360 درجة أفقيًا و30 درجة عموديًا، على مسافات تصل إلى 4 كيلو متر، كما يمكن تخصيصها لتوفير تغطية في قطاعات محددة وفقًا لمتطلبات المستخدم.

كذلك عرضت الهيئة العربية للتصنيع مجموعة منظومات "حارس" للتشويش الإلكتروني على الطائرات بدون طيار، والتي تشمل منظومات حارس 1 و2 و3 و4 و5 المحمولة على متن المدرعات وناقلات الجند، ومنها ما يتم حمله عن طريق الأفراد، وتتضمن رادار ثلاثي الأبعاد يصل مداه إلى 7 كيلو متر. وتستطيع التشويش على إشارات نظام الملاحة العالمي (GPS) ضمن مدى يتراوح بين 1 و5 كيلو متر، ومواصفاتها الفنية هي كالتالي:

- **منظومة "حارس- 1":** يتم تحميلها على متن الحافلات المغلقة، وتمتلك رادار ثلاثي الأبعاد، يصل مداه إلى 7 كيلومترات، حيث تعمل المنظومة على رصد وتحديد الهدف بالرادار، ومن ثَمَّ تقوم بالتشويش على أنظمة الملاحة بالأقمار الاصطناعية ضمن مدى يتراوح بين 1.5 و5 كيلو متر، كما تمتلك إمكانية التشويش على وصلات البيانات الخاصة بالطائرات المُسيَّرة في مدى يبلغ 4 كيلو متر.
- **منظومة "حارس- 2":** تم تصميم المنظومة وتركيبها على ناقلة الجند المدرعة "فهد" لاكتشاف الطائرات الموجهة بدون طيار راداريًا وإلكترونيًا بواسطة رادار ثنائي الأبعاد، يصل مداه إلى 5 كيلو متر. وقد تم دمج أنظمة إعاقة وتشويش على أنظمة الملاحة والتحكم ووصلات البيانات في هذه المنظومة، وكذلك برج قتالي غير مأهول، يمكن تسليحه بمدفع رشاش من أعيرة مختلفة.
- **منظومة "حارس- 3":** تم تصميم المنظومة وتركيبها على المركبة المدرعة مصرية الصنع (ST-500)، لاكتشاف الطائرات الموجهة بدون طيار راداريًا وإلكترونيًا بواسطة رادار ثنائي الأبعاد يصل مداه إلى 5 كيلو متر، ومدمج في هذه المنظومة أنظمة إعاقة وتشويش على أنظمة الملاحة والتحكم ووصلات البيانات، وكذلك برج قتالي غير مأهول، يمكن تسليحه بمدفع رشاش من أعيرة مختلفة.

منظومة "حارس- 3" للتشويش الإلكتروني

- **منظومة "حارس- 4":** وهي منظومة متكاملة من وسائل الكشف ووسائل المجابهة للطائرات بدون طيار الصغيرة ومتناهية الصغر، والمصممة لاكتشاف الطائرات الموجهة بدون طيار راداريًا وإلكترونيًا.

- **منظومة "حارس- 5":** وهي منظومة مدمجة محمولة مع الأفراد صممت لاكتشاف الطائرات الموجهة بدون طيار راداريًا وإلكترونيًا، كونها موضوعة على حامل ثلاثي يَسهل نقله بواسطة الأفراد. ويصل مدى الرصد الكهروبصري في هذه المنظومة إلى 1 كيلو متر، بينما تمتلك المنظومة بندقية إعاقة موجهة بمدى يبلغ 1.5 كم.

كذلك عرضت شركة بنها للصناعات الإلكترونية جهاز الإعاقة المضاد للطائرات بدون طيار (GOA-GOB)، وهو عبارة عن محطة محمولة لقطع إشارات الملاحة بالقمر الصناعي عن الطائرات المعادية بدون طيار، خصوصًا الأنواع الصغيرة والمتناهية الصغر، مما يؤدي إلى فقدانها للتوجيه وخروجها عن السيطرة، وتتميز هذه المحطة بالقدرة على بث الترددات بشكل ثابت يضمن جودة البث وعدم انقطاعه؛ لتتراوح قدرة البث الخاصة بها بين 10 و30 وات، لمدى يصل إلى 4 كيلو متر على جميع النطاقات الخاصة بمنظومتي تحديد المواقع العالمية سواء الأمريكية "جي بي أس" أو الروسية "جلوناس".

من المنتجات الجديدة أيضًا في هذا الصدد، جهاز الإعاقة الإلكترونية المضاد للطائرات بدون طيار (DJ-400) والذي يُعدّ تطويرًا لمنظومة الإعاقة (AD-21) التي تم عرضها للمرة الأولى في نسخة عام 2018 من معرض "إيديكس"، وهو عبارة عن منصة عمودية يمكن تثبيتها في المواقع التي توجد بها شخصيات مهمة، أو على متن العربات المتحركة، بهدف التشويش في نطاق تبلغ زاويته 360 درجة على أيّ طائرة بدون طيار تقترب من نطاق يبلغ نصف قطره 4 كيلو متر، مع قدرة عالية على العمل بشكل متواصل لفترات طويلة وفي ظل ظروف جوية صعبة، مما يجعله فعالًا ضد هجمات أسراب الطائرات بدون طيار. تتميز هذه المنصة كذلك بتوفرها بنسخ متعددة، منها: النسخة المُحمّلة على عربات دفع رباعي، والنسخة البحرية التي يمكن تركيبها على متن القطع البحرية المختلفة لتوفير الحماية القريبة من الطائرات بدون طيار، وأيضًا النسخ الثابتة والتي تستخدم لتأمين: الأهداف الحيوية، ومنشآت البنية التحتية، وغير ذلك.

لم تقتصر سبل مواجهة الطائرات بدون طيار فقط على منظومات التشويش المحمولة، بل شملت

نظام النبض الكهرومغناطيسي عالي الطاقة "EDE-100A"

أيضًا أنظمة كهرومغناطيسية؛ حيث عرضت شركة بنها للصناعات الإلكترونية نظام النبض الكهرومغناطيسي عالي الطاقة (EDE-100A)، والذي يُعد أول خطوة في مجال الأسلحة المصرية الكهرومغناطيسية، وهو المجال الذي دخلته دول قليلة جدًا حول العالم؛ على رأسها الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا والصين. ولقد صُمم هذا النظام خصيصًا للتعامل مع المنصات الجوية غير المأهولة، خصوصًا الأنواع ذات القطر الراداري الصغير. وبشكل عام، يعتمد هذا النظام على تقنية النبض الكهرومغناطيسي عالي الطاقة التي يمكنها تعطيل الأجهزة الإلكترونية عن طريق توليد موجات كهرومغناطيسية قوية تصل مداها إلى مائة متر، ويمكن دمجها على الوسائط المدرعة المختلفة.

على مستوى الأنظمة الرادارية، بات واضحًا الانخراط الواسع للصناعات العسكرية المصرية في هذا المجال الدقيق، حيث عُرض في هذا المعرض الرادار (ESR-32B) المُطوّر، وهو رادار كشف ثنائي الأبعاد يصل مداه إلى 250 كيلو متر، ويستطيع رصد الأهداف الجوية التي تُحلق على ارتفاعات منخفضة ومتوسطة، حيث يصل أقصى ارتفاع للكشف إلى 12 كيلو متر. يضاف إلى ذلك، عرض رادار الكشف المتري الجديد (EMBR-16A)، الذي تم تطويره وإنتاجه بمصنع بنها للإلكترونيات التابع لوزارة الإنتاج الحربي، ويصل مدى كشفه الأقصى إلى 350 كم على ارتفاع يصل إلى 20 كم.

كذلك تم الإعلان في النسخة الأخيرة من هذا المعرض عن تطوير الرادار المصري "P-01 برداويني"، بالتعاون المشترك بين الكلية الفنية العسكرية ومصنع بنها للصناعات الإلكترونية، وهو رادار مُصمم للعمل ضمن تردد "أكس" لرصد الطائرات بدون طيار الصغيرة ومتناهية الصغر؛ حيث يمتلك القدرة على كشف طائرة بدون طيار متناهية الصغر يصل مقطعها الراداري إلى 0.01 متر من مدى يصل إلى 3 كم، بجانب إمكانية رصد الأهداف البرية على نطاقات تتراوح بين 7 و25 كيلو متر. كذلك يمتلك هذا الرادار القدرة على مقاومة وسائط التشويش والإعاقة، عبر تغيير الترددات التي يستخدمها في حيز يبلغ 150 ميجا هرتز.

يضاف إلى كل ما سبق من منظومات قتالية جديدة، الإعلان عن سلسلة القنابل الجوية الاختراقية "حافظ"، التي تتسلح بها مقاتلات (F-16) الأمريكية العاملة في سلاح الجو المصري، حيث تتضمن هذه السلسلة ثلاث نسخ من القنابل، بأحجام تتراوح من 500 إلى 2000 رطل، وهي خارقة للتحصينات بقدرة اختراق تصل إلى 2 متر في الخرسانة المسلحة قبل انفجار شحناتها المتفجرة الأساسية. وبشكل عام، يمكن الوقوف على التفاصيل الفنية لقنابل هذه العائلة **من خلال النقاط التالية:**

- **القنبلة "حافظ- 1"** زنة (500 رطل/241 كجم): وتتزود برأس حربي بقدرة اختراق تصل إلى 1 متر في الخرسانة المسلحة.
- **القنبلة "حافظ- 2"** زنة (2000 رطل/907 كجم): وتتزود برأس حربي شديد الانفجار بقدرة اختراق تصل إلى 1.2 متر في الخرسانة المسلحة، وهي مناظرة لقنبلة (MK-84) الأمريكية.
- **القنبلة "حافظ- 3"** زنة (2000 رطل/907 كجم): وتتزود برأس حربي شديد الانفجار خارق للتحصينات بقدرة اختراق تصل إلى 1.8 متر في الخرسانة المسلحة، وهي مناظرة لقنبلة (BLU-109) الأمريكية.

ومما سبق، نستخلص أن الصناعات الحربية المصرية دخلت خلال السنوات الأخيرة في طور متقدم من عمليات التطوير والإنتاج، لا يشمل فقط المنظومات التقليدية والذخائر، بل بات يشمل أيضًا أنظمة أكثر تعقيدًا على المستويين الإلكتروني والتقني، خصوصًا الأنظمة المُسيَّرة الأرضية والجوية وأنظمة الرادار والحرب الإلكترونية. ومن المتوقع أن يشهد هذا المسار مزيدًا من التطورات خلال المرحلة القادمة، خصوصًا في ظل عدة اتفاقيات تعاون وقعتها الشركات المصرية خلال معرض "إيديكس" مع شركات خارجية متخصصة في هذه الأنظمة، مثل شركة (Victor) الروسية للأنظمة المضادة للطائرات المُسيرَّة، التي اتفقت معها شركة بنها للصناعات الإلكترونية على الإنتاج المرخص للمنظومة المضادة للطائرات المُسيَّرة (Zashchita).

يسعى المركز "المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية"، الذي أُسس في عام 2018 كمركز "تفكير" مستقل؛ إلى تقديم الرؤى والبدائل المختلفة بشأن القضايا والتحولات الاستراتيجية، على الصعيد المحلي والإقليمي والدولي على حد سواء. ويولي اهتمامًا خاصًا بالقضايا والتحولات ذات الأهمية للأمن القومي والمصالح المصرية.

يستهدف المركز دوائر صنع القرار، بإمدادها بالخيارات والبدائل عند التعامل مع التحديات والقضايا الداخلية والإقليمية والدولية، وكذلك الباحثين والمتخصصين في الشئون السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والأمنية، داخل مصر وخارجها. ويرمي المركز من خلال خدماته المختلفة إلى المساهمة في تنوير وترشيد الجدال والرأي العام في مصر وإقليم الشرق الأوسط، ونشر قواعد التفكير والبحث العلمي.

ويقوم المركز بمجموعة من المهام، والأنشطة، والخدمات المتنوعة، تشمل: تقديرات المواقف، وأوراق السياسات، وعقد ورش العمل والندوات والمؤتمرات، إلى جانب عددٍ من الإصدارات الشهرية باللغتين العربية والإنجليزية، فضلًا عن الموقع الإلكتروني للمركز الذي يتضمن سلسلة من التحليلات لمختلف التطورات على الساحة المصرية، والساحتين الإقليمية والدولية، ونشر إنتاج البرامج البحثية المختلفة.

البرامج والأقسام

يُمارس المركز رسالته من خلال ثلاثة برامج بحثية أساسية، هي:

أولًا- برنامج العلاقات الدولية: ويُعنَى بدراسة التحولات الدولية الأبرز على الساحة الدولية، وعلى مستوى إقليم الشرق الأوسط، خاصة ذات الطابع الاستراتيجي، وتأثيرها على المصالح والأمن القومي المصري، وذلك في مختلف الأقاليم الجغرافية. ويضم البرنامج مجموعة من الوحدات المتخصصة، منها: وحدة الدراسات الأمريكية، وحدة الدراسات الأوروبية، وحدة الدراسات الآسيوية، وحدة الدراسات الإفريقية، وحدة الدراسات العربية والإقليمية.

ثانيًا- برنامج الأمن وقضايا الدفاع: ويحلل قضايا الأمن القومي بأبعاده المختلفة، ويضم العديد من الوحدات، منها: وحدة الأمن السيبراني، وحدة التسلح، وحدة التطرف، وحدة الإرهاب والصراعات المسلحة.

ثالثًا- برنامج السياسات العامة: ويُعنَى بدراسة القضايا والتحولات ذات الصلة بالسياسات العامة داخل مصر من خلال مجموعة من الوحدات المتنوعة، منها: وحدة الاقتصاد ودراسات الطاقة، وحدة دراسات الرأي العام، وحدة دراسات المرأة وقضايا الأسرة.

وتتسم الوحدات البحثية بدرجة من المرونة، بحيث تعكس الأجندة البحثية المعتمدة من جانب المركز خلال فترة زمنية محددة، وفقًا لتقييم موضوعي للواقع الراهن على الأصعدة المختلفة (المحلي، والإقليمي، والدولي)، وأنماط التحديات والتهديدات القائمة.

وإلى جانب البرامج البحثية، يضم المركز "المرصد المصري" لأهم القضايا التي تشغل الرأي العام، المصري والعالمي، بالإضافة إلى تقديم متابعة دقيقة تحليلية متخصصة لقضايا بعينها تشغل صناع القرار في الشرق الأوسط والعالم. وكذلك "مدونة" لشباب الباحثين والكتاب من خارج المركز، من مختلف الجنسيات، للتعبير عن رؤاهم وطرح أفكارهم فيما يخص الأحداث المتسارعة من حولهم.

جميع حقوق الملكية الفكرية محفوظة ونافذة للمركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية

للتواصل والمعلومات:

100 شارع الميرغني – مصر الجديدة – القاهرة

+20226905863 | +20226905862 |+20226905861

/ecsstudies

ECSS
المركز المصري
للفكر والدراسات الاستراتيجية
EGYPTIAN CENTER FOR STRATEGIC STUDIES

E-mail | info@ecss.com.eg
Website | ecss.com.eg
Social links | /ecsstudies
100 Al-Merghani St., Heliopolis, Cairo